مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج (٢٨-٢٩)

شوّال ١٤٠٥هـ — ربيع الثاني ١٤٠٦هـ

السنة التاسعة

تموز — كانون أول ١٩٨٥م

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج (٢٨-٢٩)

شوّال ١٤٠٥هـ — ربيع الثاني ١٤٠٦هـ

السنة التاسعة

تموز — كانون أول ١٩٨٥م

الفهرس

أولاً: البحوث:

ثانياً: مع الكتب:

ثالثاً: تعليقات ومناقشات:

رابعاً: أخبار مجمعيّة:

أولاً ـ البحوث

جهود عبد القاهر الجرجاني في الدراسات التصريفية

للدكتور علي توفيق الحمد

جامعة اليرموك

أولاً: الدافع الى البحث:

ما دفعني الى هذا البحث هو شهرة عبدالقاهر الجرجاني التي طبّقت الآفـاق، وتنـوّع مبـاحثـه في علوم العربية المختلفة: أصواتها، وصرفها، ونحوها، وبلاغتها، ونقدها، اضافة الى جهوده في علم الدلالة(١)، وإعجاز القرآن الكريم والدراسات القرآنية.

وقد توالت البحوث والمؤلفات، وتناول كلّ منها جانباً أو أكثر من هذه الجـوانب التي برع فيهـا الرجل(٢)، ونظرت في هذه البحوث فوجدتها قد

(١) أوضحنا ذلك، أو جانباً منه - في بحث بعنوان «نظرة في أثر اللغويين العرب في علم الدلالة»، نشرته مجلة أبحاث اليرموك - المجلّد الثاني/ العدد الأول ص١٧.

(٢) تنوّعت الدراسات والبحوث التي تناولت جهود عبدالقاهر العلمية، فمنها الكتب المؤلفة، والبحوث المنشورة، والرسائل الجامعية باللغة العربية أو الانجليزية، وأراها في مجملها موزعة على النحو الآتي:

أ - جهوده في النقد والبلاغة:

فمن العلماء والباحثين الذين اهتموا بهذا الجانب الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أحمد مصطفى المراغي، والدكتور طه حسين، الذي قال: «إنّ لعبدالقاهر جهداً صادقاً في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب، =

استوفت ـ أو كادت ـ الجوانب المختلفة من علمه، وقد أجمعتْ على أنّ لدى الرجل نزعات تجديدية، وأنّه سبق المحدثين في غير قضية من قضايا بحوثه. ولكني وجدت نقصاً في البحوث التي تناولت مكانته وجهوده في الجانب التصريفي.

= وقد وفّق عبدالقاهر في ما حاول توفيقا يدعو الى الإعجاب» (د. البدراوي زهران / عالِم اللغة ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ المفتنّ في العربية ونحوها ص٤ـ٥، نقلاً عن مقدمته تحت عنوان «تمهيد في البيان العربي» لكتاب نقد النثر لقدامه ـ ص٣٠ ـ وهو بحث قدّمه د. طه حسين للمؤتمر الثاني عشر لجماعة المستشرقين في سبتمبر ١٩٣٠م في مدينة ليدن، بعنوان ـ البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر ـ، قدّمه باللغة الفرنسية، وترجمه الدكتور عبدالحميد العبادي الى العربية.

أما الدكتور محمد مندور، فقال في عبدالقاهر: «مذهب عبدالقاهر أصحّ وأحدث ما وصل اليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، وهو مذهب العالم السويسري فيرديناندي سوسير، الذي توفي عام ١٩١٣م، وقول عبدالقاهر: إنّ اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها الى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم» (النقد المنهجي عند العرب ٣٣٣).

وقال أيضاً: إن رأي عبدالقاهر في «أن الألفاظ لم توضع كما أنها لا تستعمل لتعيّن الأشياء المتعينة بذواتها، وهذه هي نظرية الرمزية في اللغة، التي أوضح المفكر الألماني (فنت) حدودها». (في الميزان الجديد ١٨٦).

ود. محمد غنيمي هلال في كتابه «النقد الأدبي الحديث». ود. مصطفى ناصف في غير كتاب وبحث، وهو الذي أطلق على نظرية النظم عند عبدالقاهر اسم (النحو الثاني). ود. محمد خلف الله أحمد في كتابه «من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده». ود. محمد زغلول سلام في كتابه «تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الى العاشر الهجري». وروز غريب في «النقد الجمالي وأثره في النقد العربي». وأمين الخولي في كتابه «البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها». ود. أحمد أحمد بدوي في كتابه «عبدالقادر وجهوده في البلاغة العربية». ود. درويش الجندي في كتابه «نظرية النظم عند عبدالقاهر». ود. شوقي ضيف في كتابه «البلاغة تطور وتاريخ». ود. محمد عبدالمنعم خفاجي الذي حقّق كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقدم لهما، وله «عبدالقاهر والبلاغة العربية». ود. أحمد مطلوب في كتابه «عبدالقاهر الجرجاني ـ بلاغته ونقده». ود. عبدالفتاح لاشين في كتابه «التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر». وعبدالقادر حسين في كتابه «أثر النحاة في البحث البلاغي». ود. كمال أبو ديب في «نظرية الصورة الشعرية عند عبدالقاهر وبالانجليزية. وعبدالكريم أحمد العبدالسالم في رسالته للماجستير من الجامعة الاردنية، بعنوان «عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة».

فاستقرّ في نفسي أن أحاول تتبّع جهوده في هذا الجانب، ورأيت أنّ الأمر سيبقى ناقصاً إن لم أطّلع على مصنفاته فيه، فحصلت على مصوّرة من كتاب صغير له هو «المفتاح في الصرف»(٣)، وشغلت نفسي في تحقيقه، وهو الآن قيد الطبع والحمد لله. ثم حصلت على مصوّرة لرسالة أخرى له، وهي العمدة في التصريف(٤)، كما اطّلعت على مصورة من كتابه المقتصد في شرح الايضاح(٥).

ولفت نظري اقتصاره في بحوثه التصريفية على أبواب مخصوصة، الأمر الذي دعاني الى بحث هذه الظاهرة.

ب ـ جهوده في علوم اللغة المختلفة:
تناول هذا الجانب عدد من الباحثين، منهم:
ابراهيم مصطفى الذي قال: «ورسم عبدالقاهر في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلم وعلامات الاعراب، وبيّن أنّ للكلم نظماً، وأنّ رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هي السبيل الى الإبانة والإفهام». (إحياء النحو ١٦). ود. ابراهيم أنيس في كتابيه دلالة الألفاظ وموسيقى الشعر. ود. تمّام حسان في كتابه «اللغة بين المعيارية والوصفية»، إذ ذكر أنّ دراسة عبدالقاهر في كتابيه قامت على الوصف في كثير من أبوابها. ود. البدراوي زهران في كتابه «عالِم اللغة ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ المفتنّ في العربية ونحوها» ود. خليل عمايرة في بحثه «البنية التحتية بين عبدالقاهر وتشومسكي». وفي كتابه «في نحو اللغة وتراكيبها». ود. سمير استيتية في أطروحته للدكتوراه بعنوان «أصوات العربية الفصحى في كتاب الجرجاني ـ المقتصد ـ بالانجليزية.
ولا أشكّ أنّ كثيرين غيرهم تناولوا جهود عبدالقاهر المختلفة في البحث.

(٣) منه نسخة خطيّة وحيدة ـ فيما أعلم ـ في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق، تحت رقم ١٠٦٠٣ عام.

(٤) منه نسخة خطيّة في مكتبة لاله لي باستانبول ضمن مجموعة رقمها (٣٧٤٠).

(٥) نشر القسم الأول منه الخاص بالأبواب النحوية، والذي هو شرح للجزء المسمّى «الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي، نشره د. كاظم بحر المرجان. اما القسم الثاني الذي تناول الأبواب التصريفية والصوتية، وهو شرح القسم الثاني من الإيضاح العضدي، المسمّى «التكملة» فلا يزال مخطوطا.
وقد تفضّل الزميل د. سمير استيتية مشكوراً فأطلعني على مصوّرة للكتاب كاملاً ـ بقسميه ـ، وهي مصوّرة عن نسخة محفوظة، في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم (٣٥٤) نحو.

وكذلك ما أورده في الورقة الأولى (ظ ١ ـ و ٢) من كتابه المفتاح في الصرف، وهو قوله: والتمثيل ـ ويعني به الوزن الصرفي ـ وهو أن تقابل حروف الكلمة الثلاثية بالفاء والعين واللاّم، وتكرّر اللاّم في الرباعي مطلقاً ـ أي في الاسم والفعل ـ وكذا في الاسم الخماسي، . . . وفي البدل من الأصل جاز فيه المثالان، فمثل كساء: فعال أو فعاء، أصله كساو، قلبت الواو همزة لتطرّفها(٦).

ومما دفعني الى البحث أيضا ما أورده الرضي عن عبدالقاهر أنه يزن (قالَ) على فالَ(٧)، وهو رأي حديث، سبق عبدالقاهر غيرَه إليه، مع مخالفة المحدثين له في أنه يرى أنّ هذا الوزن على البدل، أمّا المحدثون فلم يقرّوا نظرية البدل هذه، ويرون أنّ (قالَ) ومثيلاتها لا بدل فيها(٨).

ومن دواعي هذا البحث أيضـا، أنّ بعض الباحثين الذين كتبوا عن عبدالقاهر لم يستطيعوا تبيّن حقيقة كتابه «المفتاح»، فمنهم من قال «إننا لا نعلم شيئاً، ولم يشر أحد الى موضوعاته»، ومنهم من قال: «قد يكون من مصنفاته التي تتصل بمذهبه الفقهي الشافعي، وقد تكون اتجاهاته اللغوية غلبت عليه، فجعلته يصنّفه في بعض المباحث اللغوية»(٩).

هذه جملة الدوافع الى هذا البحث، إذ اطّلعت على كتابه «المفتاح

---

(٦) هذا ما ذكره. أمّا في «اضطرب وازدجر» فوزنهما في رأيه «افتعل» بالتاء لا بالطاء والدال، ولم يذكر إجازة وزنهما على الأصل كما ذكر الرضي، الذي أجاز وزنهما «افطعل وافتعل». (شرح الشافية ١/١٨).

(٧) الموضع نفسه (شرح الشافية ١/١٨)، ود. عبدالصبور شاهين / المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٨.

(٨) د. عبدالصبور شاهين / المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٨.

(٩) د. البدراوي زهران / عالِم اللغة ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ المفتنّ في العربية ونحوها ٢٩.

في الصـرف»، وتجمّع لديّ بعض الملحوظات والأفكار عن جهوده التصريفية بشكل خاص، فوجدت أنّ الكتابة أصبحت ممكنة، لعلّها تجلو بعض الجوانب والحقائق.

ثانيا: حول المصطلح «أصرْفٌ هو أمْ تصريف»، وموضوعه، وعلاقته بمستويات البحث اللغوي الأخرى:ـ

التصريف أو الصرف: علم بأصول، يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب(١٠).

والتصريف عند عبدالقاهر: (تفعيل من الصرف، وهو أن تصرّف الكلمة المفردة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة)(١١).

وقد اضطرب إطلاق المصطلح بين القدماء من جهة، وبينهم وبين المحدثين من جهة أخرى.

فلو تتبّعنا إطلاقه عند القدماء، لوجدنا الموضوع يرد في نوعين من المؤلفات:

أ ـ الأول: المؤلفات النحوية بمفهوم النحو الواسع العام الذي يضمّ أبواباً صوتية وصرفية ونحوية، ففي تلك المؤلفات، نجد مصنفيها أطلقوا مصطلح «التصريف»على أبواب مخصوصة تتناول التغيير الذي يطرأ على بِنى الكلمات لإظهار ما في حروفها من أصالة أو زيادة أو حذف، وما يطرأ

---

(١٠) الشريف الجرجاني / التعريفات ٥٢، ١١٦. وانظر في ذلك أيضا: ابن مالك / التسهيل ٢٩٠، السيوطي / همع الهوامع ٢/ ٢١٢، والأشموني ٤/ ٢٣٦ وغيرهم.

(١١) عبد القاهر / المفتاح في الصرف (ظ١).

عليها من إبدال أو إعلال[١٢].

ومفهوم النحو بمعناه الواسع العام يشمل مستويات الدراسة اللغوية كلها (أصواتها وبناها وتراكيبها)، فأبو علي الفارسي عرّف النحو بأنه علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، وهو ينقسم قسمين:

أحدهما: تغيير يلحق أواخر الكلم.

والآخر: تغيير يلحق ذوات الكلم وأنفسها[١٣].

والى ذلك ذهب أبو حيان؛ فعلم النحو ـ عنده ـ مشتمل على أحكام الكلمة، والأحكام على قسمين:

قسم يلحقها حالة التركيب، وهو قسمان: قسم إعرابي وقسم غير إعرابي.

والثاني يلحقها حالة الإفراد، وهو قسمان أيضاً: قسم تتغير فيه الصيغ لاختلاف المعاني، نحو ضرب وضارب وتضارب واضطراب، وكالتصغير والتكسير وبناء الآلات، وأسماء المصادر وغير ذلك، وهذا جرت عادة النحويين بذكره قبل علم التصريف وإن كان منه.

وقسم تتغير فيه الكلمة لا لاختلاف المعاني كالنقص والإبدال والقلب والنقل وغير ذلك[١٤].

ولحظ عباس حسن أن جمهرة اللغويين العرب القدماء عدّوا

---

(١٢) انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:
سيبويه (ط هارون) ٤/ ٢٤٢)، والزجّاجي / الجمل ٣٩٩، وابن مالك / التسهيل ٢٩٠، والأزهري / شرح التصريح ٢/ ٣٥٢، والسيوطي / همع الهوامع ٢/ ٢١٢، والأشموني / شرح الأشموني ٤/ ٢٣٦، والخضري / حاشيته على شرح ابن عقيل ٢/ ١٧٤ وغيرهم.

(١٣) أبو علي الفارسي / التكملة ٣.

(١٤) السيوطي / الهمع ٢/ ٢١٢، وذلك هو مذهب ابن جني أيضا / الخصائص ١/ ٣٤.

التصريف بأنه التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها، ذلك التغيير الذي لا يتصل باختلاف المعاني، وقال: «فليس من التصريف عند جمهرة النحاة تحويل الكلمة الى أبنية مختلفة لتؤدي معاني مختلفة ـ كالتصغير والتكسير والتثنية والجمع والاشتقاق وغير ذلك ـ، فذلك التحويل يدخل في اختصاص النحو وبحوثه عند تلك الجمهرة[١٥].

أما الفارسي فضمّ كل الأبواب التي يلحق التغيير فيها ذوات الكلم، إن كان ذلك التغيير يسبّب اختلافاً في المعاني أو لا يسبّب، فنجده قد خصّص الجزء الثاني من كتابه (الإيضاح العضدي)، وهو ما يعرف بالتكملة، فعرض فيه أبواب التثنية والجمع السالم والنسب، وتخفيف الهمزة والمقصور والممدود والعدد والتأنيث والتذكير وجمع التكسير والتصغير والإمالة والمصادر والمشتقات وغيرها، والتصريف ـ الذي لا يحدث اختلافاً في المعاني ـ كالزيادة والإبدال والقلب والإدغام وغيرها[١٦].

وجاء بعده ابن عصفور في كتابه «المقرّب»، فكان أكثر تنظيماً في منهجه وتبويبه، فخصّص أكثر الجزء الثاني للأبواب التصريفية، فقد ذكر الأحكام التصريفية (الجزء ٢/٧٨)، وعرض النوع الأول من التصريف، وفيه: باب التصغير، وجمع التكسير والمصادر والمشتقات والمقصور والممدود والحروف الزوائد، ثم ذكر النوع الثاني من التصريف، وفيه: الإدغام، وحروف البدل، والقلب والحذف والنقل[١٧].

ولكننا نرى أنه لم يدخل بعض الأبواب التصريفية ضمن ما خصّصه

(١٥) عباس حسن / النحو الوافي ٤/٧٤٧.
(١٦) الفارسي / التكملة ٤.
(١٧) ابن عصفور / المقرب ٢/٧٨، ٢/١٥١.

لتلك الأبـواب، فلم يدخل أبواب النسب والتذكير والتأنيث والتثنية وجمع السلامة، وإنما أدخلها ضمن الأبواب النحوية.

وبـإنعـام النـظر في منهج القدماء وتبويبهم، نتبيّن أنهم خصّصوا ـ باستثناء الفارسي وابن عصفور ـ أبواب التصريف لموضوعات صوتية بحتة، والبدل والقلب والحذف والإدغام ألصق بعلم الأصوات.

وربما أحسّوا بارتباط الموضوعات التصريفية بموضوعات النحو، وان كذ ت لا أرى ما يقنع في صنيعهم ذلك، لأنهم لو أدركوا تلك الرابطة لقدموا الأبـواب التصـريفية على مبـاحث النحو والتراكيب، ولو فعلوا ذلك لكان عملهم متّسقاً الى حد كبير ووجهة النظر الحديثة، التي تعدّ الصرف مقدمة للنحو أو خطوة تمهيدية له، فهو ليس غاية في ذاته إنما هو وسيلة وطريق من طرق دراسة التركيب والنص[١٨].

ويرى د. عبـدالصبور شاهين أنه لا يفصل الصرفَ عن النحو خط عريض، بل خط رفيع جدا، بحيث تتداخل الظواهر النحوية والصرفية[١٩]، فلا يجـوز عزل أحـد هذين العلمين عن الأخـر في النظر والتطبيق، لأنّ مسائلهما متشابكة الى حدّ كبير[٢٠].

ب ـ الثـاني: المصنفـات التصـريفية التخصصية، التي قصـرهـا مصنفوها على الأبواب التصريفية، فأقدم ما وصل الينا منها هو كتاب أبي عثمان المازني الذي وسمه بالتصريف، ولو نظرنا في موضوعاته لوجدناها

---

(١٨) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة ٢٢٠، ٢٢٣.

(١٩) د. عبد الصبور شاهين / المنهج الصوتي للبنية العربية١٥.

(٢٠) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة ٢٢٠.

مقتصرة على الأبواب التصريفية بمعنى التصريف الضيق، الذي يتناول الأبواب الأكثر التصاقاً بالدراسات الصوتية، ففي ذلك الكتاب تطالعنا أبواب أبنية الأسماء والأفعال، الأصول والزيادات، حروف الزيادة، باب من مسائل الياء والواو، ومسائل من القلب والتضعيف في بنات الياء والواو، وتاء الافتعال، فهذه الأبواب في جملتها من النوع الثاني من التصريف الذي ذكره ابن عصفور وأبو حيان، وهو الذي لا يؤدي التغيير فيه الى اختلاف في المعنى.

ولم يحد ابن جني في مصنفه على شرح تصريف المازني عن منهجه أو أبوابه.

ووضع ابن جني أيضا كتابه «الملوكي» في التصريف أيضا، وقصره على أبواب التصريف الذي هو من النوع الثاني.

وسار على منهجه ابن يعيش أيضا في شرحه على الملوكي الذي وسمه «شرح الملوكي في التصريف».

وصنّف الميداني كتاباً في التصريف وسمه «نزهة الطرف في علم الصرف»، والتزم فيه منهج السابقين، واقتصر على الأبواب التصريفية بالمفهوم الضيق أيضاً.

كما صنّف ابن عصفور كتاباً متخصّصاً في التصريف اسمه «الممتع في التصريف»، فصرّح في مقدمة كتابه أنّ للتصريف قسمين، وهما القسمان اللذان ذكرهما في كتابه «المقرّب»، وذكر أن القسم الأول الذي يتناول جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، ذكر أنّ هذا القسم جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف، فلذلك لم يضمنه كتابه الممتع، مع أنّ أكثره مبني على معرفة الزائد من الأصلي، وقصر موضوعات

كتابه على النوع الثاني الذي لا يؤدي تغيير مبنى الكلمة فيه الى اختلاف في المعنى[٢١]. ولكنـه يؤكد أن التصريف يتناول القسمين، بقوله: «فاذا بيّنا جميع ما ذكرناه في هذين القسمين فقد أتينا على جملة التصريف»[٢٢].

وصنّف عبـدالقـاهـر كتـابـه المـوسـوم «المفتـاح» الـذي خصّصـه للتصريف، صنّفه على نهج من ذكرنا، أي أنّه قصره على الأبواب التصريفية التي هي من النوع الثاني.

ولم يخرج عن هذا المنهج في التصنيف من القدماء إلّا ابن الحاجب في «الشـافية»، فقد ضمّنها أبواباً تصريفية من النوعين. فالناظر فيها وفي شرح الرضي عليها تطالعه أبواب مفصلة في المصدر والمشتقات والتصغير والنسب وجمـع التكسير واسم الجنس واسم الجمع وجمع الجمع والتقاء الساكنين وهمزة الوصل والوقف والمقصور والممدود وحروف الزيادة والإمالة والإعـلال والإبـدال والإدغـام، ولكني لا أدري لِمَ أغفـل ابن الحـاجب موضوعات تصريفية أخرى كالمذكر والمؤنث والتثنية والجمع السالم مثلا.

بعد هذا الاستعراض، فانني أميل الى القول إنّ جمهرة القدماء قد فهمـوا النحـو بمعناه الواسع العام وصنّفوا فيه، وهذا الفهم يوافق ما ذكره الدكتور بشر «أن التقليد الغالب الآن جرى على مناقشة هذين العلمين معاً ـ علم التصريف وعلم النحو ـ، مع ملاحظة البدء بقضايا الصرف بوصفه مقـدمـة ضرورية، ويجمع العلمين كليهما في هذا الرأي مصطلح لغوي واحد هو جراماتيكا (Grammar) الذي يشمل كذلك ـ طبقاً لبعض الأقوال ـ

---

(٢١) ابن عصفور / الممتع ١/ ٣١ـ ٣٢.

(٢٢) نفســـه ١/ ٣٣.

علم وظائف الأصوات (Phonology) (٢٣).

صحيح أنّ منهجهم هذا افتقر الى دقة التصنيف، فكان عليهم أن يعلّموا أوّلاً الأصوات ووظائفها ـ التي أطلق القدماء على بعضها مصطلح التصريف من النوع الثاني ـ، لكني أقول: إنهم تنبّهوا الى هذه القضية، واعتذروا لتأخيرهم الأبواب التصريفية الصوتية، فهذا ابن جني يقول: «التصريف يحتاج اليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة، وبهم اليه أشدّ فاقة، لأنه ميزان العربية»(٢٤)، فهذا يدلّ على استشعارهم أهمية هذا العلم، ويقول في موضع لاحق: «... فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف... إلاّ أنّ هذا الضرب من العلم لمّا كان عويصاً صعباً بُدىء قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه وعلى تصرف الحال»(٢٥).

وذكر ابن يعيش أنّ حاجة النحوي اليه ضرورية(٢٦)، ومعنى هذا أنّ النحوي لا بدّ له من النظر فيه والتسلّح بمسائله أوّلاً.

ويقول ابن عصفور في المعنى نفسه: «وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية... إلاّ أنّه أُخر للطفه ودقّته، فجعل ما قدّم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل اليه الطالب إلاّ وهو قد تدرّب وارتاض للقياس»(٢٧).

(٢٣) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة ٢٢٠.
(٢٤) ابن جني / المنصف ١/ ٢.
(٢٥) نفسه ١/ ٤-٥.
(٢٦) ابن يعيش / شرح الملوكي ١٧.
(٢٧) ابن عصفور / الممتع ١/ ٣٠-٣١.

وأيّاً كان موقفنا من قبول اعتذارهم أو ردّه، فإنّ ما قدّموه يؤكد ـ بلا شك ـ إدراكهم لأهمية علم وظائف الأصوات والتصريف للنحو، وما يقدمانه للتراكيب. هذا الادراك منهم يستحقّ التقدير، ويقتضي الإنصافُ والموضوعيةُ أن يُسجَّل هذا لصالحهم، وهو ملحظ يتفق وما أقرّته الدراسات اللغوية الحديثة.

ولا بدّ أن نسجّل أنّ ثمة لغوياً تنبّه الى أهميّة تقديم الدراسة الصوتية فالتصريفية قبل عرض المباحث النحوية، ذلكم هو السكّاكي المتوفى (٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم)، جاء في خطبته: «وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان. . . . فعلما الصرف والنحو يرجع اليهما في المفرد والتأليف، ويرجع الى علمي المعاني والبيان في كون المركب مطابقاً لما يجب أن يتكلم له.

ولما كان علم الصرف هو المرجوع اليه في المفرد أو في ما هو في حكم المفرد، والنحو بالعكس من ذلك كما ستقف عليه، وأنت تعلم أنّ المفرد متقدّم على أن يؤلّف، وطباق المؤلّف للمعني متأخر عن نفس التأليف، لا جرم أنا قدمنا البعض على هذا الوجه وَضْعاً لمؤثر ترتّبا استحقته طبعا.»[٢٨].

فهو يدافع عن مخالفته سابقيه في المنهج بعرضه الأبواب التصريفية قبل النحو، لأنه أحسّ باقتضاء دراستها أوّلاً، فهي بطبيعتها تستحقّ التقديم، وهذا إحساس لغوي سليم، إذ إنّ دراسة بنى الكلمات تعدّ مدخلاً لدراسة

---

(٢٨) السكاكي / مفتاح العلوم ٣-٤.

التراكيب النحوية، لما لتغير تلك البنى من أثر في تغيير تراكيب الجمل، فقولنا: «أَكْرَمَ زيدٌ الضيفَ» اقتضت صيغة (أَكْرَمَ) وجود مفعول به، فإذا ما غيرناها الى صيغة المبني للمجهول قلنا: «أُكْرِمَ الضيفُ»، فإنّ تركيب الجملة بكاملها يحدث فيه التغيير، وهذا التغيير تبع تغيير صيغة الفعل «أكرم» من المعلوم الى المجهول.

أما التأليف لدى المحدثين والمعاصرين، فقد اتّسم بالتخصص والفصل بين مستويات الدراسة اللغوية، فنجد الكتب النحوية قد اقتصرت على الموضوعات النحوية، وخصّصت مصنفات خاصة لعلم وظائف الأصوات، ومصنفات أخرى مستقلة لأبواب التصريف وموضوعاته، لكنها جمعت الأبواب التصريفية بشكل عامّ وبنوعيها اللذين ذكرهما ابن عصفور وأبو حيان.

أمّا عن المصطلح، فقد تواتر لدى القدماء استخدام مصطلح التصريف، حتى أنّ كتاب (نزهة الطرف في علم الصرف)، بدأه مصنفه باستخدام مصطلح التصريف(٢٩) على الرغم من استخدام مصطلح الصرف في اسم الكتاب. وكذلك فإنّ كتاب «المفتاح» للجرجاني بدأه بعد الخطبة القصيرة بتعريف هذا العلم، واستخدم مصطلح التصريف أيضاً(٣٠)، ولا أذكر أني عثرت على استخدام واحد لمصطلح الصرف لدى القدماء عند تناولهم قضايا هذا العلم وأبوابه(٣١).

---

(٢٩) الميداني / نزهة الطرف ١/ ٤.

(٣٠) عبدالقاهر الجرجاني / المفتاح ط١.

(٣١) استخدم السكاكي من القدماء مصطلح «الصرف».

أمّا المحدثون فقد دمجوا بين المصطلحين «التصريف والصرف» في الاستخدام، فقد ذكر الشيخ محمد الطنطاوي أنّ الصرف إنما يبحث عن الكلمات العربية في ذاتها وجوهرها لمعرفة ما فيها من التغييرات العارضة، سواء أكان لداعي اللفظ أم المعنى[٣٢].

وذكر الشيخ هارون عبدالرازق أنّ الصرف قواعد يعرف بها أحوال أبنية الكلم غير الإعراب... ولا فرق بين الصرف والتصريف، وأنهما اسمان نقلا لهذا الفنّ، وكلاهما في لغة العرب يفيد التحويل والتغيير[٣٣].

أمّا الشيخ يس فقد استخدم مصطلح الصرف وأراد به المعنى العلمي، بينما رأى أن مصطلح التصريف هو المعنى العملي لفعل المصرّف.[٣٤].

وكذلك فعل الشيخ الحملاوي الذي فرّق بين المعنى العلمي والعملي كما فعل الشيخ يس.[٣٥].

وبعد، فان أردنا أن نكون اتّباعيين فإنّنا نرتضي استخدام مصطلح التصريف، الذي استخدمه القدماء، مع أنني أحسّ بالناحية العملية في دلالة هذا المصطلح، كما ذكر الشيخ يس في حاشيته على شرح التصريح، بينما يدل مصطلح الصرف على مطلق التحوّل أو التغيّر في الأبنية. وأرى أنّ عمليات التغيير التي تعتري بنية الكلمة في المعنى الثاني (الزيادة والنقص والإبدال والإعلال والقلب وغيرها)، وهي الموضوعات التي

(٣٢) محمد الطنطاوي / تصريف الاسماء ٤.

(٣٣) هارون عبدالرازق/ عنوان الظرف في علم الصرف ٤.

(٣٤) الشيخ يس / حاشيته على شرح التصريح ٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٣٥) الحملاوي/ شذا العرف في فن الصرف ١٩.

اعتـاد اللغـويون القـدماء وضعها في أواخر كتبهم، أرى التعمّل والصنعة واضحين، لا سيمـا اذا أخـذنـا بعين الاعتبار الموضوعات والأبواب التي صنّفهـا المـازني في كتـابه في التصريف، فبعضها موضوعات قصد منها المهارة في الصياغة والمماحكة والمعاياة.(٣٦) علاوة على التعريف الذي وضعه السيرافي لمصطلح التصريف اذ قال: «هو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب للحروف التي رسمنا جوازها حتى تصير على مثال كلمة أخرى»(٣٧).

كما أنّ تلك الموضوعات التي يبدو لنا فيها التعمّل والمهارة هي أدخل في الدراسة الصوتية منها في الدراسة الصرفية.

واذا اتفقنا على أنّه لا مشاحّة في الاصطلاح، فإننا لا نرى بأساً في استخدام أيّ من المصطلحين، وإن كنت الى استخدام مصطلح التصريف أميل.

عبدالقاهـر الجرجـانيّ:(٣٨)

هو الإمام أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن، الناقد البلاغي النحويّ اللغـويّ، فارسيّ الأصـل، شافعيّ المذهب، ولد بجرجانة، وأقام فيها، وتـوفي فيها سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، أو سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م. ولعلّ أبرز شيوخه هو أبو الحسين محمد بن الحسن بن عبدالوارث الفارسيّ، ابن أخت أبي عليّ الفارسيّ.

---

(٣٦) انظر على سبيل المثال: المنصف ٢/ ٢٤٢ وما بعدها «باب ما قيس من المعتل ولم يجيء مثاله إلّا من الصحيح».

(٣٧) السيرافي النحوي/ د. عبدالمنعم فائز ص٥٩٢.

(٣٨) للمزيد انظر ترجمته في: نزهة الألبّاء ٤٣٦، وإنباه الرواة ٢/ ١٨٨، والبلغة ١٢٦، وبغية الوعاة ٢/ ١٠٦، وشذرات الذهب ٣/ ٣٤٠، ومفتاح السعادة ١/ ١٧٠ وغيرها.

ونحسّ بنـزعـة أبي علي الفارسي العقلية التعمّقية الابداعية في ما صنّف عبدالقاهر، مما يحدوني الى الزعم بأنه امتداد لمذهب خاص متميز في الدراسات اللغوية، تتجلّى فيه النزعة الفكرية، تلك النزعة التي اتاحت لعبد القاهر أن يكون متميّزاً في علمه ونظراته الثاقبة وتحليلاته الصائبة، ذلك المذهب أجيز لنفسي أن أطلق عليه المذهب اليونسي، نسبة الى يونس بن حبيب، الذي تسلسل على النحو التالي:

(يونس - الأخفش الأوسط - الجرمي - المبرّد - ابن السرّاج - أبو على الفارسي فابن جني وعبدالقاهر الجرجاني)، وما قوّى لديّ هذا الزعم أنّ هؤلاء اللغـويين اشتهروا بالعمق ومخالفة معاصريهم من اللغويين من كلا المـذهبين البصـري والكـوفيّ، ومن يتتبّـع سيرة هؤلاء الـرجـال وآراءهم ومخالفاتهم يذهب مذهبنا أو يقاربه.

ومن أبـرز تلاميذ عبـدالقـاهـر علي بن زيد الفصيحي، وأبو زكريا (الخطيب) التبريزي.

أما علمه وآثاره العلمية: فقد صنّف في النحو والأدب، وهو أوّل من دوّن علم المعـاني[٣٩]، تنـاولت مصنفـاتـه علومـاً شتّى، فقـد صنّف في الدراسات القرآنية، والدراسات البلاغية، والنحو والتصريف والعروض[٤٠].

ومن أشهـر آثاره كتاب «المغني»[٤١] الذي وضعه شرحاً على كتاب (الإيضاح العضدي) للفارسي، وضعه في ثلاثين مجلّداً، ولكنه لم يصل

(٣٩) البلغة ١٢٦ - ١٢٧.

(٤٠) د. أحمد مطلوب / عبدالقاهر الجرجاني (بلاغته ونقده) ٢٥ وما بعدها.

(٤١) بغية الوعاة ٢/١٠٦، كشف الظنون ١/٢١٢ وغيرهما.

الينا، ولو وصل الينا لأطلعنا على علم غزير، يؤكّد ذلك كتاب «المقتصد»[٤٢] الذي هو مختصر لكتاب المغني، وكتاب المقتصد المختصر هذا فيه علم غزير، فماذا يكون حال المغني؟ كما خلّف لنا كتابين هما من أشهر مصنفاته، إن لم يكونا أشهرها على الإطلاق، ذانكم الكتابان هما: كتاب دلائل الإعجاز الذي أودع فيه نظريته في النظم، التي أطلق عليها د. مصطفى ناصف اسم «النحو الثاني»[٤٣]. وقد قال فيه ابراهيم مصطفى: «وعبدالقاهر رسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب»[٤٤]، وهذه لفتة متقدمة فيها تطوير للبحث النحوي عند القدماء، لو تمسّك بها اللاحقون وطوّروها لسبقوا كل النظريات اللغوية الحديثة بمئات السنين.

أمّا الكتاب الثاني فهو (أسرار البلاغة)، الذي هو صنو الدلائل، وقد ألّفه لغاية بلاغية، ووضع الأصول والقوانين وبيان الأقسام وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية . . . ولا نجد في كتب البلاغة والنقد السابقة تحليلاً كتحليل عبدالقاهر، ولا نظرة كنظرته، ولا فهماً كفهمه، وإنْ بحَثَ فنوناً سَبَقَ أنْ تحدّث عنها السابقون، وهذا هو الفرق بين عالم مجدّد وآخر مقلّد.[٤٥] وقد أقام دراسته فيه على العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ، وهي في رأيه موطن البلاغة، فاللفظ والمعنى لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض،

---

(٤٢) حققه ونشره د. كاظم بحر المرجان في مجلدين، لكنه لم يحققه جميعه، بل حقّق الجزء الخاص بالموضوعات النحوية التي وردت في الجزء الأول من كتاب الإيضاح العضدي، أما القسم الثاني الذي يتناول شرح الموضوعات التصريفية والصوتية التي ضمّها القسم الثاني من الإيضاح المعروف بالتكملة فلا يزال ينتظر التحقيق والنشر.

(٤٣) د. البدراوي زهران / عالم اللغة . . . ٦-٧.

(٤٤) ابراهيم مصطفى / إحياء النحو ١٦.

(٤٥) د. أحمد مطلوب / عبدالقاهر الجرجاني (بلاغته ونقده) ٣٨، ٤٠.

إنهما وجه الصورة وعمادها، وهذه هي نظرية الكثيرين من النقاد العالميين وبخاصة النقاد الجماليون. . . . ، وفي هذا يتلاقى عبدالقاهر مع كل النقاد الكبار في الشرق والغرب على السواء[٤٦].

هذا بعض من تعليقات المحدثين على كتابيه، أمّا ما قاله طاش كبرى زاده فيهما: «ولو لم يكن له سوى كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لكفاه شرفاً وفخراً»[٤٧]. فهذا القول أبلغ تعبير عن مكانتهما.

التعريف بجهوده التصريفية:

أمّا في الدراسات التصريفية ـ وهي موضع اهتمامنا في هذا البحث ـ فلم يصل الينا من جهوده سوى ما ورد في كتابه (المقتصد)، وخلّف لنا كتابين آخرين صغيرين، قصرهما على المسائل والأبواب التصريفية، انهما كتاب «المفتاح»، وكتاب «العمدة في التصريف»، وهو رسالة في احدى عشرة ورقة مخطوطة، ضمن مجموعة في مكتبة لاله لي، في المكتبة السليمانية في استانبول، رقم المجموعة (٣/٣٧٤٠) وتاريخ نسخ العمدة سنة ٦٨٢هـ، وفي آخر رسالة العمدة فصل في مخارج الحروف في صفحة واحدة.

أمّا أبواب تلك الرسالة، فهي:

باب الأفعال الثلاثية، باب المعتل من الأفعال: المعتل الفاء، المعتل العين، المعتل اللام، باب المعتل العين واللام غير المضاعف، باب المعتل العين واللام المضاعف، وباب أمثلة الأفعال التي فيها زيادة من الثلاثي.

---

(٤٦) د. محمد عبدالمنعم خفاجي / مقدمة أسرار البلاغة ١/ ١٧ ـ ١٨.

(٤٧) مفتاح السعادة ١/ ١٧٠.

وختم تلك الأبواب بمسائل أربع:

- مسألة «افتعل» من المعتل الفاء.
- مسألة من الأصول التي يجب لفظها.
- مسألة: كلّ واو وقعت بعد كسرة وهي لام الفعل، فانها تنقلب ياء في الفعل خصوصاً، وكذلك في الاسم.
- مسألة المفعول من المعتل العين.

أمّا ما ورد في كتابه «المقتصد»، فهو شرح وتعليقات وتعقيبات على آراء أبي علي الفارسي في تكملة الإيضاح، وقد التزم منهج الفارسي في ترتيب الأبواب، وسار في شرحه على طريقة الشرح بالنص، فهو يورد عبارة الفارسي أوّلاً، ثم يتبعها شرحه وآراءه وتعليقاته. ولكنه كان يخالف الفارسي في بعض الآراء والتوجيهات، وربما أثار رأياً طريفاً، من ذلك ما أورده في مناقشة قضية الأصل والفرع في أحوال بناء الكلمة(٤٨)، وسنعرض هذه القضية بشيء من التفصيل في موضع لاحق.

كتاب المفتاح:

هو كتاب صغير في سبع عشرة ورقة، مخطوط بخط فارسي معجم مشكول أحياناً، محفوظ في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق تحت رقم (١٠٦٠٣) عامّ.

بدأ عبدالقاهر كتابه بخطبة قصيرة مناسبة، منها قوله:

«هذا كتاب قليل الإفاضة كثير المعاني، سهل الحفظ قريب التناول»(٤٩)...

---

(٤٨) المقتصد ورقة ٤٩٩.

(٤٩) المفتاح ظ١.

وقد ضمّنه اثني عشر فصلاً، أعقبها بباب خاص، هو باب العقد، أمّا الباب الأوّل فهو علم التصريف وتعريفه وأنه مشترك بين الأسماء والأفعال، ثم التمثيل والوزن.

وتناول في الباب الثاني أبنية الأسماء، وفي الثالث أبنية الأفعال، وفي الرابع المعاني في الأفعال وزياداتها، وفي الخامس تعريف المصدر، وفي السادس الفعل، وفي السابع الاشتقاق ـ وقصره على الاشتقاق الصرفي الأصغر ـ، وفي الثامن أبنية المصادر، وفي التاسع الأمثلة ـ ويعني بها تصريف الأفعال ـ، وفي العاشر الزيادة وحروفها، وفي الحادي عشر الابدال والحروف التي تبدل، وفي الثاني عشر الحذف والحروف التي تحذف.

ثم باب العقد وهي عشر مسائل، أطلق على كل مسألة «عقدة»، وتناول أحكاماً متفرقة في إعلال بعض الكلمات.

وبعقد المقابلة بين أبواب الكتاب ومادته من جهة، وبين كتب التصريف المتخصصة المتقدمة عليه واللاحقة، نخلص الى الملحوظات الآتية :ـ

١ ـ أنّ الكتاب موجز يشبه في إيجازه كتاب الملوكي في التصريف لابن جني، وشافية ابن الحاجب.

٢ ـ أنّ موضوعاته من ضمن الموضوعات التي عدّها ابن عصفور من باب التصريف في معناه الثاني ـ التي لا يؤدّي تغيير المبنى فيها الى اختلاف في المعنى ـ ، وذلك بشكل عامّ، إلاّ أنه أضاف موضوعات من التصريف في معناه الأوّل، كما يظهر ذلك في أبواب «المعاني في الأفعال، والاشتقاق، والأمثلة».

٣ ـ خلا الكتاب من المسائل التي لم يقصد بها سوى الترويض والمهارة والمعاياة، تلك المسائل التي حفل بها كتاب المنصف مثلاً.

٤ ـ خلا الكتاب من مسائل التمرين التي وردت في آخر كتاب (الممتع) لابن عصفور، وكتاب (شرح الملوكي) لابن يعيش.

٥ ـ ضمّ الكتاب باباً للعُقَد، وهو يشبه في هذا ما جاء في كتاب (الملوكي) لابن جني وشرحه لابن يعيش، و(نزهة الطرف) للميداني.

٦ ـ ثمّة تشابه كبير بين ما أورده ابن جني في مختصره «الملوكي» وكتاب الجرجاني، حتّى أنّ العبارات كانت متماثلة علاوة على الأمثلة، وقد أشـرنا الى ذلك في مواضعه في تحقيقنا الكتاب، وهذا دليل تأثّره، وربّما إعجابه بابن جني.

ونلحظ تشـابهـاً واضحـاً بين إضـافات عبدالقاهر على ما جاء في الملوكي، وابن يعيش، وهو لاحق متأخر عن عبدالقاهر زمَنَاً.

كما نلحظ تشابهاً آخر واضحاً أيضاً بين ما في الكتاب وما في نزهة الطرف للميداني، وهو متأخر عن عبدالقاهر أيضاً.

ونـرى تشـابهـاً آخـر بين ما في الكتاب وما أورده ابن الحاجب في الشافية، وهو متأخر عن عبدالقاهر كذلك.

وقد أشرنا الى هذه التشابهات كلها في مواضعها خلال تحقيقنا للكتاب.

٧ ـ خلا الكتاب ـ شأنه شأن المختصرات ـ من الشواهد، فلم يرد فيه سوى شاهدين قرآنيين ومثل واحد.

٨ ـ من ينظر في الكتاب يجد مصطلحات صرفية، لا يجد بعضها أو أكثرها في كتب اللغويين الآخرين، منها:

أ ـ أطلق لقب «المطابق» على الفعل المضاعف (و٣)، ولقب «النبر» على المهموز العين (و٣)، و«الهمز» على المهموز اللام (و٣)، و(القطع) على المهموز الفاء (و٣).

ب ـ أطلق لقب ذي الثلاثة على الفعل الأجوف (ظ٣)، لصيرورته على ثلاثة أحرف في المتكلم، نحو: قلت.

جـ ـ أطلق لقب ذي الأربعة على الفعل المعتل الناقص، لصيرورته على أربعة أحرف في المتكلم [٥٠]، وهو: دعوت ورميت (ظ٣).

د ـ مصطلح «القلب المستوي»: وهو أن تكون حروف الثاني مثل حروف الأول، مثاله في قوله تعالى «وربّك فكبّر».

هـ ـ الأفعال المنشعبة: ويعني بها المزيدة على الأصول الثلاثة أو الأربعة[٥١].

و ـ أطلق مصطلح «الفعل الواقع والمجاوز» على المتعدي، و«غير

---

(٥٠) ذكر الفارابي هذين المصطلحين: «ذا الثلاثة وذا الأربعة»، واكتفى بالقول: ذو الثلاثة ما كانت العين منه حرفاً من حروف المدّ واللين. وذو الأربعة ما كانت اللام منه كذلك. (مقدمة ديوان الأدب للفارابي ١٣٥) وذكر د. أحمد مختار عمر أنّ الفارابي استخدم هذا المصطلح، وأنّ أصحابه هم الكوفيون، وعلى رأسهم الفرّاء وابن السكّيت. وأضاف أنه لم يجد أحداً من المتقدمين استخدمه، وأول من رآه حاول التصريح بسر هذه التسمية هو الخطيب التبريزي. (الفارابي اللغوي وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الأدب للدكتور أحمد مختار عمر منشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية، ص١١١ـ١٢٨، المجلد ٧ الجزء ٢ في نوفمبر ١٩٦١م).
وقد علّل التبريزي سبب هذه التسمية كما علّلها شيخه عبدالقاهر.

(٥١) استخدم الميداني هذا المصطلح في كتابه نزهة الطرف، ص١١، ١٩، ٢٥، ٦٤.

الواقع والمطاوع» على الفعل اللازم (و٦).

ز - «مصدر للنوع» ويعني به اسم الهيئة. (ظ٨).

حـ - فرّق بين الجحد والنفي، فالنفي عنده ما انجزم بلا، ومعناه الإخبار عن معدوم، أمّا الجحد فما انجزم بلم (و٦).

وقد فرّق الكفوي بين الجحد والنفي، فقال: والجحد هو نفي ما في القلب ثباته، وإثبات ما في القلب نفيه، وليس بمرادف للنفي من كل جهة.[٥٢].

وقال في موطن آخر «والنافي إن كان صادقاً يسمّى كلامه نفياً، ولا يُسمّى جحداً، وإن كان كاذباً يسمّى جحداً ونفياً[٥٣].

والجحد في المعاجم: إنكار الشيء مع العلم به، وهو مصطلح استخدمه الكوفيون[٥٤].

وفي هذه التراكيب - لم يفعل وإنْ يفعلْ، أي ما فَعَلَ -، يقول برجشتراسر: «والعربية فقدت استعمال المضارع بمعنى الماضي إلّا بعد لَمْ وإنْ وأخواتها، نحو: لم يفعلْ وإنْ يفعلْ، أي: ما فعلَ وإنْ فعَلَ».[٥٥].

أقول: وهذا - أي الحرف «لم+» صيغة يَفْعل - ما أطلق عليه الجحد، أما النفي فمركّب من «لا أو ما + يفعل». فالجحد إنكار، والإنكار يكون لشيء ماض. أما النفي فعلى سبيل الحاضر والاستمرار أو الاستقبال.

---

(٥٢) أبو البقاء الكفوي / الكليات ٢/ ١٧٨.

(٥٣) نفســـــه ٤/ ٣٣٤.

(٥٤) الفرّاء / معاني القرآن ١/ ٥٢، ١١٧، ١٧٥ وغيرها، كتاب الألفات (٣و) لأبي بكر ابن الأنباري، وكتاب حروف المعاني للزجّاجي (الدراسة ٣٢).

(٥٥) برجشتراسر / التطور النحوي للغة العربية ٥٧.

وثمّة رأى لعبدالقاهر جدير بالتسجيل، وهو أنه يرى أن لاسم الفاعل صيغ مبالغة تختلف عن صيغ المبالغة من اسم المفعول، فخصّ المبالغة من اسم الفاعل بفعّال وفعيل مطلقاً، أما المبالغة من اسم المفعول فخصّها بمِفْعال ومِفْعيل كمِنصار ومِنْصير مُطْلقاً. (و٩).

بعد هذا التعريف الموجز بكتاب المفتاح: أبوابه ومصطلحاته ومنهجه، ومقابلته بكتب التصريف الأخرى نخلص الى القضية الأخيرة وهي مفهوم عبدالقاهر للتصريف، وأبرز آرائه.

ولكن بقيت نقطة في جوانب حياة عبدالقاهر لا بدّ من الاشارة اليها، وهي تبرّمه من الزمان وأهله، وذمّه العصر والناس، فقد جمعت كتب التراجم والطبقات بعض أشعاره في هذا المعنى، منها قوله:

أيّ وقت هذا الذي نحن فيه ... قد دجا بالقياس والتشبيهِ
كلّما سارت العقول لكي تقـ ... ـطع تِيهاً توغّلت في تِيهِ(٥٦)

وله أيضاً:

هذا زمان ليس فيـ ... ـه سوى النذالة والجهالة
لم يَرْقَ فيه صاعد إلاّ وسُلَّمُه النذالة(٥٧)

وتصل نقمته على عصره وأهل عصره وعدم وعيهم وتقديرهم العلم أَوْجَها، فيقول:

كَبِّرْ على العلم يا خليلي ... ومِلْ الى الجهل مَيْلَ هائم
وعش حماراً تعش سعيداً ... فالسّعد في طالع البهائم(٥٨)

---

(٥٦) إنباه الرواة ٢/ ١٩٠

(٥٧) نفسه ٢/ ١٩٠.

(٥٨) البلغة ١٢٧، وقد جمع الدكتور أحمد مطلوب غيرها في كتابه (عبدالقاهر - بلاغته ونقده) ٢٠-٢٤.

ويقول في باب «الكلام على من زهّد في النحو وبيان خطئه في ما ذهب إليه» في كتاب دلائل الإعجاز(٥٩):

«ولو أنّ هؤلاء القوم إذ تركوا هذا الشأن تركوه جملة. . . ولم يخوضوا في التفسير ولم يتعاطوا التأويل لكان البلاء واحداً، ولكانوا اذا لم يبنوا لم يهدموا، وإذا لم يصلحوا لم يكونوا سبباً للفساد، ولكنهم لم يفعلوا. فجلبوا من الداء ما أعيى الطبيب، وحيّر اللبيب، وانتهى التخليط بما أتوه فيه إلى حدّ يُئِسَ من تلافيه، فلم يبق للعارف الذي يكره الشغب إلّا التعجّب والسكوت.

. . . ثم إنَّا وإن كنّا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها، وتحويل الأشياء عن حالاتها، ونقل النفوس عن طباعها، وقلب الخلائق المحمودة الى أضدادها ودهر ليس للفضل وأهله لديه إلّا الشر صرفاً، والغيظ بحتاً، والا ما يدهش عقولهم، ويسلبهم معقولهم، حتى صار أعجز الناس رأياً عند الجميع من كانت له همّة في أن يستفيد علماً أو يزداد فهماً أو يكتسب فضلاً أو يجعل له ذلك بحال شغلاً، فانّ الإلْفَ مِن طباع الكريم، وإذا كان من حقّ الصديق عليك، ولا سيّما اذا تقادمت صحبته، وصحّت صداقته أن لا تجفوه، بأن تنكبك الأيام وتضرّ بك النوائب، وتحرجك محن الزمان فتتناساه جملة، وتطويه طيّاً، فالعلم الذي هو صديق لا يحول عن العهد ولا يَدْخلُ في الودّ، وصاحب لا يصحّ عليه النكث والغدر، ولا يظنّ به الخيانة والمكر، أولى منه بذلك وأجدر، وحقّه عليك أكبر(٦٠)».

---

(٥٩) دلائل الاعجاز ٨٠.

(٦٠) دلائل الاعجاز ٨٤ ـ ٨٥.

فمن ينعم النظر في هذه الأشعار وهذا الكلام الذي أوردناه لا يشكّ في أنّ الرجل كان يعيش غريباً في عصره وبين أهل زمانه، فهم جهلة مدّعون العلم، وهم منافقون متملّقون، ويرى أنّ العلم الحقيقي لا أنصار له يقدّرونه ويفهمونه، ولذا أستطيع القول انّ عبدالقاهر بعلمه المتميّز وبصيرته الثاقبة كان له مذهب غير مذاهب معاصريه، فلم يقدّروا ما توصّل اليه وما كان يدعو اليه، فأراه كان في واد، وكان معاصروه في واد، فلم يفقهوا صرخاته ونزعاته التجديدية الثاقبة، التي لم تتكشّف إلاّ حديثاً، بعد أن جاء الشرق والغرب بنظريات لغوية ونقديّة حديثة، نستطيع أن نجد منها ملامح أو إرهاصات أو ظلالاً في مصنفات عبدالقاهر، توصّل اليها ونادى بها قبل ما يقرب من ألف عام.

أبرز آراء عبدالقاهر التصريفية:

تجلّت آراء عبدالقاهر التصريفية في كتابه (المقتصد) على شرح الإيضاح والتكملة، وقد كانت جلّ جهوده وآرائه متسقة مع آراء السابقين والمعاصرين له، وكذلك الحال في كتابيه المختصرين المتخصصين لمسائل التصريف ـ المفتاح والعمدة ـ، فهو بوجه عام يأخذ من السابقين ويوافقهم، وإن كنا نلمح محاولات ونزعات تجديدية، لكنها لم تكن واضحة كنزعاته في مجالات الدراسة اللغوية والنقدية والبلاغية الأخرى.

ومن تلك النزعات ما يتصل بالمنهج، ومنها ما يتصل بمفهومه العام للتصريف، ومنها آراء في قضايا تصريفية متفرّقة.

(١) في ما يتصل بالمنهج:

اقتفى عبدالقاهر آثار القدماء في منهجه بشكل عام، فهو لم يعرض

للمسائل الصوتية كمقدمة للدراسة التصريفية، لكنه أضاف شيئاً في موضوعاته التصريفية التي خصص لها كتابه «المفتاح»، فقد أضاف فيه موضوع المعاني في الأفعال، تلك المعاني التي تكتسبها بالزيادات، صحيح أنّ القدماء سبقوه الى ذلك، لكنهم لم يخصّصوا لها باباً مستقلاً ضمن موضوعات التصريف بالمعنى الثاني، كما أنه أدخل ضمن تلك الموضوعات باب الاشتقاق، الذي فصّل المازني وابن جني بينه وبين موضوعات التصريف[٦١]، كما اهتمّ بإيراد التصريفات والأمثلة، فاهتمّ بتصريف الأفعال إلى صيغها التصريفية الزمنية، وصرّفها مع نون التوكيد، وغيّر صيغها الى النهي والأمر والجحد والنفي[٦٢]، ثم اهتم بإيراد صيغة المبني للمفعول، وهذه الصيغ هي التي تلزم في التراكيب، ولكنه لم يدخل أبواباً تصريفية أخرى يرى البحث اللغوي الحديث ضرورة دراستها لأهميتها، وصلتها بدراسة التراكيب، كالتصغير والنسب والتثنية والجمع والتأنيث.

ولعلّ من أبرز ما يتّصل بمنهجه، أنه لم يدخل في موضوعاته المسائل التي يقصد بها الترويض والتمرين، التي تعتمد على التعمّل وكدّ الذهن، وتبرز فيها المماحكة والمعاياة. واقتصرت موضوعاته على وصف ظواهر لغوية وبنى مستخدمة ـ فعلاً ـ، وتحليلها وفق مفهومه.

وهو يصرّح بعدم أهميّة تلك المسائل، ولا يرى حرجاً في طرحها وإهمال النظر فيها، فهو يقول في (دلائل الاعجاز):

«فان بدأوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويون للرياضة،

(٦١) المنصف ١/ ٣-٤.

(٦٢) المفتاح و٦، ظ٨، و٩، ظ١١ ـ ظ١٣.

ولضـرب من تمكين المقاييس في النفوس، كقولهم: كيف تبني من كذا كذا، وكقولهم: ما وزن كذا، وتتبّعهم الألفاظ الوحشية، كقولهم: ما وزن عزويت، وما وزن أرونان؟ . . . . وأشباه ذلك. وقالوا: أتشكّون أنّ ذلك لا يجـدي إلاّ كدّ الفكـر وإضـاعة الوقت. قلنا لهم: أمّا هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن لـم تنظروا فيه، ولم تعنوا به، وليـس يهمّنا أمره». (٦٣)

(٢) مفهومـــه للتصـــريف:

المفهوم الحديث للتصريف: هو كلّ دراسة تتصل بالكلمة أو بأحد أجزائها إذا أدّت دوراً أو وظيفة في خدمة العبارة(٦٤)، ووضّح الدكتور كمال بشر معنى ذلك بأنه تلك الدراسة التي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنّما لغرض معنوي، أو للحصول على قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات(٦٥).

والغـرض المعنـوي المقصـود هو المعـاني أو القيم الصـرفية التي تكتسبها الصيغة بتغيرها الى صورة جديدة، أو قُلْ: إنّها الخواصّ الصرفية للكلمــات التي يتـرتب على وجـودهـا وجـود خواصّ معيّنـة في الجمـل والتراكيب، فلا يقصد بالعرض المعنوي المعاني المعجميّة(٦٦).

وعرّف فندريس المورفيم بأنه الوحدة النحويّة التي تقوم عليها الدراسة المـورفولوجيّة(٦٧)، وهو يرى أن تصنيف الفصائل النحوية عمل من أعمال

---

(٦٣) دلائل الاعجاز ٨٠ ـ ٨١.

(٦٤) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة (القسـم الثاني ٨٥)، ود. البدراوي زهران / عالم اللغة ـ عبدالقاهر الجرجاني ١١٦.

(٦٥) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة ٢٣١.

(٦٦) نفســـه ٢٢٩.

(٦٧) فندريس / اللغة ١٠٥ وما بعدها.

الصرف الذي لا يزال حتى الآن ينشد من يقوم بعمله[٦٨].

نلاحظ مما سبق أن المفهوم الحديث للتصريف يقوم على دراسة بنية الكلمة وتغيّرها مقدمة للنحو، أو خطوة تمهيدية له، فهو بذلك يؤكّد على صلة التصريف بالنحو، وأن معرفة قضاياه ومسائله تساعدنا في بناء التراكيب.

وقد تناول الدكتور البدراوي زهران في كتابه (عالِم اللغة ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ المفتنّ في العربية ونحوها) جانباً من الدراسة التصريفية عند عبدالقاهر، خصّص لها فصلاً في كتابه[٦٩]، وأوضح أن عبدالقاهر أدرك وظيفة التصريف وعلاقته بتصنيف الفصائل النحويّة، يتّضح ذلك في حديثه في باب تعليق الكلم بعضه ببعض[٧٠]، وفي أبواب أخرى في كتابه (دلائل الإعجاز)[٧١]، ويتجلّى ذلك أكثر في الفصل الذي أطلق عليه «الألفاظ المفردة وضعت في اللغة لكي يضمّ بعضها الى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد»[٧٢]. وهذا يدلّ على إدراك واعٍ للصلة القائمة بين الكلمة المفردة كوحدة صرفيّة والتراكيب الجمليّة، وسنوضّح ذلك في القضية التالية.

(٣) نظريّة الاقتضاء عند عبدالقاهر[٧٣]:

يقول في باب تعليق الكلم بعضها ببعض: «ألا ترى أنك اذا قلت

---

(٦٨) نفســــه ١٢٦.

(٦٩) د. البدراوي زهران / عالم اللغة.... من ١٠٥ ـ ١٣٦.

(٧٠) دلائل الاعجاز ٤٦ وما بعدها.

(٧١) دلائل الاعجاز (أبواب: مثل وغير، الذي، الحال ـ واو الحال ـ، إنّ وإنّما).

(٧٢) نفســــه ٤٩٥.

(٧٣) سأتناول هذه النظرية تفصيلاً مع موازنتها بما جاءت به المذاهب اللغوية الحديثة في التحليل اللغوي.

(كأنّ) اقتضى ذلك مشبَّهاً ومشبَّهاً به، كقولك: كأنّ زيداً الأسد»[٧٤].

ويقول في موضع آخر: (وكذلك إذا قلت «لو ولولا» وجدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية جواباً للأولى)[٧٥].

ويتحدّث عن واو الحال في موضع آخر، وهي وحدة صرفيّة، فيقول: (وتسميتنا لها واو حال لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لتضمّ جملة الى جملة)[٧٦].

وكذلك في حديثه عن الفاء الواقعة في جواب الشرط يقول: (إنّها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن تربط نفسها بنفسها)[٧٧].

وحينما يعرض باب «الذي وذو»، يركّز على مناقشة استخدامهما، فيقول: (الذي، وصلة الى وصف المعارف بالجمل، كما اجتلب «ذو» ليتوصّل به الى الوصف بأسماء الأجناس)[٧٨].

وعند مناقشته لـ«إنّ»، وما تقتضيه في الجملة بعدها، ذكر لها الخصائص التركيبيّة الآتية:[٧٩]

١ ـ ضمير الشأن يلطف ويحسن معها، كقوله تعالى: (فإنّه مَنْ يتّقِ ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين)، وذكر آيات كريمة أخرى شواهد على ذلك[٨٠].

---

(٧٤) دلائل الاعجاز ٤٩.
(٧٥) نفسه ٤٩.
(٧٦) نفسه ٢٣٥.
(٧٧) نفسه ٢٣٥.
(٧٨) نفسه ٢٢٢.
(٧٩) انظر في ذلك دلائل الاعجاز ٣١٧ وما بعدها، ود. عبدالفتاح لاشين / التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر ١٦٩، ١٧٩ وما بعدها، ود. البدراوي زهران ١٢٧ وما بعدها.
(٨٠) دلائل الاعجاز ٣١٧.

٢ ـ تهيّىء النكرة لأن يكون لها حكم المبتدأ.

٣ ـ تغني عن الخبر في بعض الكلام، كقول العرب: إنّ مالاً، أي: إنّ لهم مالاً.

٤ ـ يُقصد بها إلى الجواب، وتربط بين جملتين، كقوله تعالى: (يأيّها الناس اتّقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم)[٨١].

٥ ـ تفيد الربط، وتتبادل هي والفاء الأثر والتأثير، وضرب لذلك مثلاً قول بشّار:

بكّرا صاحبيّ قبل الهجير   إنّ ذاك النجاح في التبكير

فيقول: لو أسقطت (إنّ) من عجز البيت لم يكن الكلام شيئاً، لأن الجملتين لا يبقى بينهما صلة أو ارتباط، ولو أحللت الفاء محلّ (إنّ) لاستقام الكلام[٨٢].

وهكذا، فعبدالقاهر حينما يعرض للحديث عن أداة (وحدة صرفيّة)، فإنّه يصرف اهتمامه الى قيمتها في التركيب وصلتها به، وأثرها فيه، ولم يعتن اعتناء القدماء بعمل هذه الأداة في تغيير إعراب ما بعدها وتأثيرها فيه، وإعرابها أو بنائها، ومعناها في ذاتها مفردة. ونرى ذلك في نصّ آخر له أكثر وضوحا، إذ يقول:

(ليس الفضل للعلم بأنّ الواو للجمع، والفاء للتعقيب بغير تراخ، و(ثمّ) له بشرط التراخي، و(أنّ) لكذا، و(إذا) لكذا، ولكن لأن يؤتى لك إذا نظمت أو ألّفت رسالة أن تحسن التخيّر، وأن تعرف لكلّ

(٨١) دلائل الاعجاز ٣٢٢.

(٨٢) نفسه ٣١، ود. البدراوي زهران ١٣٠.

من ذلك موضعه)[٨٣].

فالجرجاني لا يرى ـ في هذا النصّ ـ فضلاً في التوقّف عند حدود ما قدّمته الدراسات السابقة عليه، بل جعل الفضل في معرفة اثر الوحدة الصرفية في التراكيب، وأهميّة هذه الوحدات وما تقتضيه من كلمات ـ وحدات صرفية ـ أخرى في إتمام بناء الجمل، وما تؤدّيه من معان بعد دخولها في التراكيب.

هذه النظرة ـ في رأيي ـ ثورة تجديديّة واضحة، وإدراك واع لوظيفة الوحدات الصرفيّة، وصلة الدراسة التصريفية بالنحو والتراكيب، وأنّها مقدّمة وخطوة تمهيديّة له، فهو لا يَعُدّ دراسة التصريف غاية في ذاته، وانّما يتخذه وسيلة وطريقاً مؤدّياً لدراسة التراكيب، وهذا ما يريده الدارس اللغويّ الحديث من دراسة التصريف وقضاياه[٨٤].

ونظرية الاقتضاء هذه تتجلّى الآن في اتّجاهات اللغويّين المحدثين والمعاصرين، فهم حينما يقولون: إنّ استخدام أداة التعريف (The) في الانجليزية مثلاً يقتضي وجود اسم بعدها، وهكذا في أدوات أخرى. ولعلّ من باب الاقتضاء أيضاً ما يعرف عندهم بالمطابقة (Agreement) ، من ذلك مثلاً:

I come ، الفعل المضارع (come) خال من اللّاحقة الصرفية (s) ، فإن استخدمنا (He) أو أحد ضمائر الغائب المفردة اقتضى الحال إضافة اللّاحقة الصرفيّة (S) في آخر الفعل، فيقول: (He comes) .

هذا الاستشعار ليس بعيداً عمّا قرّره عبدالقاهر من أنّ وجود كلمة معيّنة

---

(٨٣) نفســـــه ٢٦١.

(٨٤) كمال بشر / دراسات في علم اللغة ٢٢٠.

ـ وحدة صرفيّة ـ يقتضي وجود كلمات معيّنة، ونَسقاً معيّناً في بناء الجملة.

(٤) صلة دراسة الصيغة في التصريف بعلم الأساليب[٨٥]:

ثمّـة ملحظ آخـر، أراه تالياً نظرية الاقتضاء، وهو العلاقة بين دراسة الصيغة وعلم الأسلوب، وقبل أن نخوض في هذه القضية لا بدّ من بيان الفرق بين مصطلحين هما: الصيغة والوزن:

فالـوزن كمـا يذكر د. مصطفى النحاس مبنى صوتيّ يخضع للتغييرات التي تحدث للكلمة أحياناً.

أمّـا الصيغـة فمبنى صرفيّ، وتمثّـل الكلمـة في صورتهـا الصحيحة، ولا تخضع لأيّ تغيير، ولذا تعتبر الصيغة المرجع الأساسيّ للتحليل الصـرفيّ، وعليهـا يعتمـد اللغويّ في معرفة التغييرات التي تحدث للكلمة[٨٦].

ويرى الدكتور تمّام حسّان أن التفريق بينهما مهمّ جداً، فله من الأهميّة ما يكون منها للتفريق بين علمي الصرف والأصوات[٨٧].

وقد يتّفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان، فالفعل (ضَرَبَ) صيغته (فَعَلَ) وميزانه (فَعَلَ) أيضاً، ولكنّهما قد يختلفان[٨٨]، فالفعل (قالَ) وزنه فالَ، و(اسْتَعَانَ) وزنه استفالَ، لكنّ صيغة الأوّل (فَعَلَ)، وصيغة الثاني (اسْتَفْعَلَ)، وقد استشعر الجرجاني ذلك حينما

---

(٨٥) سأخصّص بحثا مستقلا عن جوانب دراسة علم الأسلوب عند عبدالقاهر، آمل أن ينشر قريبا.

(٨٦) د. مصطفى النحاس / مدخل الى دراسة الصرف العربي ٢٩.

(٨٧) د. تمام حسان / اللغة العربية معناها ومبناها ١٤٥.

(٨٨) نفســـه ١٤٥.

قال: «فوزن لَمْ يَبِعْ لَمْ يَفِلْ، ولَمْ يَقُلْ لَمْ يَفُلْ»[٨٩]. وذكر أنّ وزن (مَقول) ـ على رأي الأخفش ـ مَفول، بينما ذهب سيبويه إلى أنّه مَفُعْل[٩٠]، فرأي الأخفش موافق لوجهة النظر الحديثة، وإن اختلفت وجهات النظر في التحليل[٩١].

والكلام عن الصيغة والوزن يتطلب بعض المناقشة والتفصيل، وسنتناوله في موضع لاحق.

ونعود الى الصلة بين الصيغة وعلم الأسلوب، فقد ذكر أحد الباحثين أن دراسة الصيغة في الصرف ينبغي أن تربط بالدراسات اللغوية الحديثة لعلاقتها المباشرة بعلم أساليب اللغة[٩٢].

وأضاف باحث ثانٍ بُعْداً آخر للقضية بقوله: «إنّ الدراسات الصرفية والنحوية معاً متداخلة مع دراسة الأسلوب الى حدّ بعيد»[٩٣].

فهل أحسّ عبدالقاهر بهذه الصلة بين الدراسات التصريفية والنحوية وعلم الأسلوب؟

للإجابة عن هذا السؤال أورد الدكتور البدراوي زهران المثال الآتي الذي جاء في كتاب دلائل الإعجاز، يقول عبدالقاهر:

«وممّا يُرى تقديم الاسم فيه كاللاّزم (مثل وغير)، ومن أمثلته:

«غيري بأكثر هذا الناس ينخدع»

ويكمل: ومعلوم أنّ الشاعر لم يرد أن يعرّض بواحد كان هناك

(٨٩) المقتصد ورقة ٨٥.

(٩٠) المقتصد ورقة ٤٤٦، ٤٤٧، المفتاح و١٠ ـ ظ١٠

(٩١) د. مصطفى النحاس ٣٠.

(٩٢) نفســـــه ٩٥.

(٩٣) د. البدراوي زهران ١٣٦.

فيستنقصه، ويصفه بأنّه مضعوف يُغَرّ ويُخْدَع، بل لم يرد إلّا أن يقول: إني لست ممّن ينخدع ويغترّ.

ويتابع بقوله: وكذلك لم يرد أبو تمّام أن يعرّض بشاعر سواه، غير أنه لا يريد إلّا أن ينفي عن نفسه أنّه ممن يكفر بالنعمة ويلؤم، عندما يقول:

وغيري يأكـلُ المعـروفَ سُحْتـاً   وتُشْجَبُ عنـدَهُ بيضُ الأيادي

أفلا ترى أنك لو قلت: .... ينخدع غيري بأكثر هذا الناس، ويأكل غيري المعروف سحتا، رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته، ومغيّراً عن صورته، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه، ورأيت الطالع يأبى أن يرضاه(٩٤).

أقـول: نرى من هذا التوجيه الجرجانيّ للبيتين وغيرهما ـ ممّا أورد في كتـابه ـ أنه لاحظ أهميّة دراسة الوحدات الصرفية ومعانيها، واختيار أداة معيّنة دون غيرها لاستخدامها في التعبير عن موقف معيّن ومعنى معيّن، واهتمّ بموقعها في التركيب. وهو حينما كتب عن الفرق بين القصر بالنفي والاستثناء والقصر بإنّما ـ مثلاً ـ، فإنّما يكون قد مسّ جانباً من جوانب الدراسة الأسلوبية في الدراسات الحديثة، إذ إنّ مهمّة التمييز بين الأدوات التي تبدو متقاربة في المعنى ـ حيث يكون على القائل أن يختار أداة دون أخرى ـ هذه المهمّة تقع على عاتق علم الأسلوب(٩٥).

فاهتمـام عبـدالقـاهـر وتفريقه بين أداة وأخرى في الاستخدام

(٩٤) دلائل الاعجاز ١٧٢ ـ ١٧٣، ود. البدراوي زهران ١٣٦.

(٩٥) د. شكري محمد عياد / مدخل الى علم الأسلوب ٦٠.

للتعبير عن معنى معيّن، يدلّ على إدراكه للصلة بين دراسة الوحدات الصرفية والتراكيب من جهة، والأسلوب من جهة أخرى.

(٥) قضيّة الأصل والفرع:

عندما يتحدّث المحدثون عن الصيغة بأنّها تمثّل الكلمة في صورتها الصحيحة قبل الإعلال والتغيّر الذي حدث، يجرّنا هذا الحديث الى الحديث عن قضيّة الأصل والفرع.

فالأصل الذي تعود اليه الصيغة إمّا أن يكون أمراً افتراضيّاً لا وجود له، وإمّا أن يكون أمراً تطوّريّاً، يمثّل ما قبل مرحلة الإعلال والارتقاء اللغوي[٩٦].

فيذكر الدكتور عبده الراجحي أنه «في حين يرى الوصفيّون في بحث الأصل الافتراضي للكلمة بحثاً ميتافيزقيّاً لا يعتمد على مبدأ علمي سليم، يرى المنهج التحويليّ أن قضيّة الأصلية والفرعيّة قضية أساسيّة في فهم البنية العميقة وتحوّلها الى بنية السطح، وفي العربية مثلاً لا نستطيع أن ننظر الى الفعل (قالَ) على أنّ أصله قوَلَ، وأنّ الفعل (باع) أصله بيَع، مع وجود (يقولُ ويبيعُ)، بل علينا أن نعرف أصل الألف فيهما، ولا نستطيع أيضاً أن نغفل عن أن الطاء في (اصطبر) و(اضطرب) ليست طاء، وإنّما أصلها تاء. وليس من العلم أن يقف الدرس الوصفي المحض عند حدّ وصف الظاهرة كما هي، دون أن يجد تفسيراً لها، ومن هذا التفسير البحث عن الأصل[٩٧].

(٩٦) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة ٢٤٣، ود. مصطفى النحاس ٢٩.

(٩٧) د. عبده الراجحي / النحو العربي والدرس الحديث ١٤٣ - ١٤٤

وقـد ناقش عبـدالقـاهر قضية الأصل والفرع، فعنده أنّ: قالَ أصلها (قَوَلَ) وأن باع أصلها (بَيَعَ)، ويقول إنّ هذا أصل مرفوض من أوّل أحواله، وهو في هذا يوافق مذهب ابن جنّي[٩٨]. ويتابع عبدالقاهر كلامه بقوله: ولو كان القصد أن الأصل (قال وباع) لوجب أن يتصرف كلّه عليه، فيقـال: قالَ يَقـالُ قالاً، وبـاعَ يَباعُ باعاً، وهذا مرفوض. ويقـول: «ومَثَلُ مَن يدّعي هذا مَثَلُ مَنْ يقول إنّ رفع الفاعل ونصب المفعول وجرّ المضاف اليه ليس من قصد ووضع، وإنّما هو من شيء جرى به الألسنة على الاتفاق، وكفى بهذا فضيحة فاعرفه[٩٩].

نستنتج من نصّ عبدالقاهر هذا أن الخلاف حول هذه القضية ليس حديثا، بل كان موجوداً في زمنه، وقبل زمنه، وأن مذهبه أكّدته مناهج المدرسة التحويلية الحديثة.

وأقـول: إنّ الاقتصـار على الـوصف أمـر قد يكـون كافياً من الشخص العاديّ، أمّا العالم فعليه مهمّة التعمّق وسبر أغوار الظاهرة اللغـوية، حتى يصـل إلى كنههـا ومعرفة جوهرها، والى تفسير مقنع للعقل، لعل ذلك يوصله الى تفسير مقبول أو كشف جديد.

وقل مثل ذلك أو أكثر منه في العلوم الأخرى، فالشخص العاديّ حينما رأى تفاحة تسقط عن شجرتها، لم يثر ذلك الحدث فيه شيئا، ولم يزد على وصف ظاهر الحدث، وهو سقوط التفاحة عن الشجرة، فلو اكتفى نيوتن بذلك لما توصّل الى قانون الجاذبية، الذي غيّر مفاهيم

---

(٩٨) ابن جني / الخصائص ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٩٩) المقتصد ورقة ٤٩٩.

كثيرة، وقـاد الى كشـوف هائلة في مجـال الجـاذبية والكهـربـاء والمغناطيسية والطيران.

وما يؤكّد ـ في رأيي ـ صحّة اتجاه القول بالأصل والفرع، أني لا أرى من الصـواب أن نعزل (قالَ) مثلاً عن صيغ مادتها الأخرى، لا سيّما أن هذه الصيغ جميعاً تشترك في المعنى الأساسي، ويتغيّر ذلك المعنى قليلاً تبعاً لتغيّر الصيغة المولّدة.

(٦) قضيّة الوزن الصرفي:

ذكر الرضيّ أن الجرجاني قال في وزن (قالَ: فالَ)(١٠٠)، وأشار الدكتور عبد الصبور شاهين الى سبق عبدالقاهر في وزن (قالَ: فالَ) على البدل، ولكن الدكتور سجّل مخالفة المحدثين له، على أنه لا بدل فيها(١٠١).

ولكني لم أجـد هذا القـول لعبـدالقاهر في أيّ من كتبه التي رجعت اليها، ووجدت في كتابه (المفتاح) أنه أجاز الوزن على البدل من الأصل، فأجاز في وزن (كِساء) فِعال أو فِعاء، أصله (كِساو)(١٠٢).

وفي هذا النص دلالة على استشعار عبدالقاهر الوزن الصوتي، لكنّ تمسكه بقضية الأصل والفرع ألزمه القول بالوزن الصوتي انه على البدل.

كما أنه ذكر في كتابه (المقتصد) أنّ (لم يَبِعْ) وزنها لم يَفِلْ)،

---

(١٠٠) شرح الشافية ١/١٨.

(١٠١) د. عبدالصبور شاهين / المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٨.

(١٠٢) المفتـــــاح (و٢).

و(لَمْ يَقُلْ) وزنها لم يَفُلْ، وقد ذكرنا ذلك خلال مناقشة القضية الرابعة في موضع سابق.

وأيّاً كان الأمـر، فهـذا ملمح ذكي، وتوجيه دقيق، توصّل إليه عبدالقاهر وقرّره، وقد سُجّل له السبق فيه.

وبعد، فهذه بعض الملاحظ التي أحسسنا بنزوع عبدالقاهر الى التجديد في معالجتها، وأرى أنه لو أتيح لأفكار عبدالقاهر من تبنّاها واتّخـذها أساساً لدراساته مِن معاصريه، ومَنْ تبعهم، لتَقدَّمَ الدرس اللغويّ العربي أشواطاً كثيرة، ولتوصّل الى آفاق بعيدة، لم تصل اليها الدراسات اللغويّة إلاّ في العصر الحديث، وفي هذا القرن أو منتصفه على وجه التحديد.

ولا ندّعي الإحاطة والكمال في قضايا هذا البحث، ولعلّ الأيام تكشف لنا جوانب أكثر إقناعاً وإضاءة.

(مصادر البحث ومراجعه)

— ابراهيم مصطفى (احيـاء النحو) القاهرة، ١٩٥٩م.

— أحمد مختار عمر / دكتور

(الفارابي اللغوي، وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الأدب) مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المغرب، المجلّد السابع، الجزء الثاني، ص١١١-١٥١، جمادي الأولى ١٣٨١هـ/نوفمبر ١٩٦١م.

— أحمد مطلوب / دكتور

(عبدالقاهر الجرجاني ـ بلاغته ونقده) وكالة المطبوعات، ط١، الكويت ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

— الأزهري / الشيخ خالد

— (شرح التصريح على التوضيح) دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.

— الأشموني (شرح ألفية ابن مالك) دار احياء الكتب العربية بالقاهرة، د.ت.

— الأنباري / ابو البركات

(نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء) تحقيق د. ابراهيم السامرّائي بغداد، ١٩٥٩م.

— ابن الأنباريّ / أبو بكر

(كتاب مختصر في الألفات) مخطوط، ضمن مجموعة، مكتبة لاله لي، المكتبة السليمانية باستانبول، برقم ٣٧٤٠ / ١٢.

— البدراوي زهران / دكتور

(عالم اللغة - عبدالقاهر الجرجاني - المفتنّ في العربية ونحوها) ط٢، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨١.

— برجشتراسّر (التطور النحويّ للغة العربية) المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨١م، طبعة مصورة عن طبعة ١٩٢٩، التي عني بطبعها محمد حمدي البكري.

— تمّام حسّان / دكتور

(اللغة العربية معناها ومبناها) الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

— ابن جني (الخصائص) تحقيق محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت.

(المنصف في التصريف) تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م.

— حاجي خليفة (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)ط٣، طهران ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

— الحملاويّ / الشيخ أحمد.
(شـذا العرف في فنّ الصرف) ط١٦، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهر، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
— الحنبلـي / ابن العماد
(شذرات الذهب في أخبار من ذهب) القاهرة، ١٣٥٠هـ.
— الخضـري / الشيخ محمد
(حاشية الخضري على ابن عقيل) المطبعة الميمنيّة بالقاهرة، ١٣٠٥هـ.
— رضي الدين الأستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
— الزجّاجي (الجمل في النحو) تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسّسة الرسالة ببيروت، ودار الأمل باربد / الأردن، ١٣٠٤هـ/١٩٨٤م.
(حـروف المعـاني) تحقيق د. علي توفيق الحمـد، مؤسّسة الرسالة ببيروت ودار الامل باربد ـ الاردن، ١٣٠٤هـ/١٩٨٤م.
— السكاكي (مفتاح العلوم) دار الكتب العلمية ببيروت، د.ت.
— سيبويه (الكتاب) تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامّة بالقاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
— السيرافي (شـرح السيرافي على كتـاب سيبويه) من كتاب (السيرافي النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه)دراسة وتحقيق، د. عبدالمنعم فائز، دار الفكر / ودار نجد للنشر والتوزيع بالرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

— السيوطيّ (بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

(همع الهوامع) بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

— الشريف الجرجاني (التعريفات) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.

— شكري محمد عيّاد / دكتور

(مدخل الى علم الأسلوب) دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

— طاش كبرى زاده (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) تحقيق كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور، القاهرة.

— عباس حسن (النحو الوافي) ط٥، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.

— عبدالصبور شاهين / دكتور

(المنهج الصوتي للبنية العربية) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

— عبدالفتاح لاشين / دكتور

(التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر) دار المريخ، الرياض ـ السعودية ١٩٨٠م.

— عبدالقاهر الجرجاني

(دلائل الاعجاز) تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، الناشر مكتبة القاهرة بالقاهرة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

(العمـدة في التصريف) مخطوط، ضمن مجموعة برقم ٣/٣٧٤٠، مكتبة لاله لي بالمكتبة السليمانية في استانبول.

(المفتـاح في الصرف) مخطوط، دار الكتب الظاهرية بدمشق، رقم ١٠٦٠٣ عامّ.

(المقتصد في شرح الايضاح) مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٥٤ نحو.

— عبده الراجحي / دكتور

(النحو العربي والدرس الحديث) دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م.

— ابن عصفـور (المقـرّب) تحقيق أحمـد عبدالستار الجواري وعبدالله لجبوري، مطبعة العاني ببغداد، ط١، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

(الممتع في التصريف) تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

— علي توفيق الحمد / دكتور

(نظرة في أثر اللغويين العرب في علم الدلالة) مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الثاني، العدد الأول، ص١٧.

— الفارابي (مقدمة ديوان الأدب) تحقيق أحمد مختار عمر، مجلة معهد المخـطوطـات العـربية بالمغـرب، المجلد السـابع، الجزء الثاني، ص١٢٩ـ١٥١، جمادى الأولى ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

— الفـارسيّ (التكملة) تحقيق د. حسن شاذلي فرهـود، النـاشر عمادة شؤون المكتبـات جامعـة الـرياض، الـرياض ـ السعـودية، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

— الفرّاء (معاني القرآن) تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية العامة.

— فندريس (اللغة) ترجمة القصّاص والدواخلي، القاهرة، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.

الفيروز أبادي (البلغة في تاريخ أئمة اللغة) تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

— القفطي (انباه الرواة على أنباه النحاة) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٣٧١هـ / ١٩٧٢م.

— الكفويّ (الكليّات) تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م.

— كمال محمد بشر / دكتور
(دراسات في علم اللغة) دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.

— ابن مالك (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧.

— محمد الطنطاويّ (تصريف الأسماء) ط٥، مطبعة وادي الملوك بالقاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

— محمد عبدالمنعم خفاجي
(مقدمة تحقيق كتاب أسرار البلاغة) جـ١، (ط٢)، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، الناشر مكتبة القاهرة بالقاهرة، مطبعة الفجالة.

— محمد مندور / دكتور

(الميزان الجديد) دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة بالقاهرة ١٩٧٣م. (النقد المنهجي عند العرب) دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ١٩٦٩م.

— مصطفى النحّاس / دكتور

(مدخل الى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة) ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

— الميداني (نزهة الطرف في علم الصرف) تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ببيروت، (ط١)، ١٤٠١هـ / ١٩٨١.

— هارون عبدالرازق (عنوان الظرف في علم الصرف) مكتبة الأمل - السالمية / الكويت، د.ت.

— يسن / الشيخ

(حاشية الشيخ يسن على شرح التصريح) دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة. د.ت.

— ابن يعيش (شرح الملوكي في التصريف) تحقيق د. فخر الدين قباوة، (ط١)، المكتبة العربية بحلب، سوريا، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

المرجئة بخراسان في العصر الأموي

للدكتور حسين عطوان
الجامعة الأردنية

كان قَتْلُ عثمان بن عفان وما تَلاهُ من اختلاف المسلمين واحترابهم أخْطَرَ الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام، فقد أنهت الجدال في الخلافة بالحُجَّة والدَّليلِ، وأفْضَتْ إلى التَّنازع فيها بالقُوَّة والسَّيْفِ، وأدَّت إلى ظُهُورِ الفِرَق السياسية الإسلامية، التي أخذت تُثيرُ مسألة الخلافة، ومن يجب أنْ يَتَولَّاها، والشروط التي ينبغي أنْ تَتوافَر فيه، كما أخذت تَنْظُرُ في الإيمان والكُفْرِ، والجَبْرِ والأختيار.

وكان الخوارجُ والشيعةُ أقوى الفرقِ وأصْلبَها، وكان تَشَدُّدُهم في آرائهم الدينيةِ والسياسيةِ، وتطرُّفُ بعضِهم فيها سبباً في ظُهورِ فِرْقةِ المُرْجئةِ(1). وفي أخبارِ نفرٍ من الصحابةِ أنهم كانوا أوَّلَ مَنْ مال إلى اعتزالِ الفِتَنِ، وقال بالإرْجاءِ، وأيَّدوا مواقِفَهم بأحاديث كثيرةٍ سَمِعُوها من النبي ﷺ(2)، وفي أخبارهم أيضاً أنهم امتنعُوامن الدُّخولِ في الصِّراعِ السِّياسي

(1) انظر في المرجئة الفرق بين الفرق ص: ١٢٢، والملل والنحل ١ : ١٢٥، وفجر الإسلام ص: ٢٧٩، وضحى الإسلام ٣ : ٣١٦، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص: ٢٦٣.

(2) انظر مسند أحمد بن حنبل ١ : ١١٤-١٢٩، وصحيح البخاري ٩ : ٤٦-٦١، وصحيح مسلم ٤ : ٧-٢٢-٢٢٧١، وسنن أبي داود ٤ : ٤٤١-٤٦٨، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٢٩٥-١٣٦٨، وسنن الترمذي ٤ : ٤٦٠-٥٣١، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٥-٦٥.

الذي كَثُرَ واستطار في آخر عهد عثمان بن عفان، ثم انْتَحَوْا بأنفسهم عن الفتنـة بعد قَتْلِهِ، وفارقوا علياً ومعاوية، ولم يَنْصُرُوا أحدهما على الآخر، فمنهم عبدالله بن عمر بن الخطاب المتوفى سنة ثلاث وسبعين[1]، قال سَلاَّم ابن مسكين الأزدي البصري[2]: «لما قُتِلَ عثمان بن عفان قالوا لعبدالله بن عمر: إنك سَيِّدُ الناسَ وابن سَيِّد، فاخرجْ نُبايِعْ لك الناس. قال: إني والله لئن استطعت لا يُهْراق في سببي مِحْجمةٌ من دمٍ. فقالوا: لتخرجنَّ أو لنقتلنَّكَ على فراشـك! فقـال لهم مثل قوله الأول، فأطمعوه وخوَّفوه فما استقبلوا منه شيئاً حتى لحق بالله». وقال سيف المازني[3]: «كان ابن عمر يقول: لا أقاتلُ في الفِتنة، وأصَلِّي وراء من غَلَبَ». وروى زيد بن أسلم العَدَوي: «أنَّ ابن عمرُ كان في زمان الفتنة لا يأتي أميرٌ إلاَّ صَلَّى خلفهُ، وأدَّى إليه زكاة ماله»[4]. وقد كتب إلى معاوية بن أبي سفيان حين حثَّهُ على الانتصار للخليفة المظلوم، واستعداه على عليٍّ[5]: «أما بعد، فإن الرَّأْي الـذي أطمعك فيَّ هو الذي صيَّركَ إلى ما صيَّرك إليه أني تركتُ علياً في المهـاجـرين والأنصـار، وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين واتبعتُك. أمّا

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٢ : ٣٧٣، ٤ : ١٤٢، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٤٩، والتاريخ الكبير ٣ : ١ : ١٢٥، والمعارف ص: ١٨٥، والجرح والتعديل ٢ : ٢ : ١٠٧، وحلية الأولياء ٢ : ٧، والاستيعاب ص: ٩٥٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص: ٤٩، وأسد الغابة ٣ : ٢٢٧، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٨، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٧، والبداية والنهاية ٩ : ٤، والإصابة ٢ : ٣٤٧، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٢٨، وتقريب التهذيب ١ : ٤٣٥، والنجوم الزاهرة ١ : ١٩٢، وشذرات الذهب ١ : ٨١.

(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ١٥١، وانظر تذكرة الحفاظ ١ : ٣٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٤ : ١٤٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٤ : ١٤٩، وانظر أخبارا أخرى تدل على حِيْدة ابن عمر ومسالمته للأمويين ص: ١٥١، ١٦٩، ١٨٣.

(٥) وقعة صفين ص: ٧٢، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩، وشرح نهج البلاغة ٣ : ١١٣.

زعمُـكَ أني طعنتُ على عليٍّ فلعمـري ما أنا كعليٍّ في الإيمان والهجرة ومكانه من رسول الله ﷺ، ونكايته في المشركين، ولكن حدثَ أمرٌ لم يكن من رسول الله ﷺ إليَّ فيه عهد، ففزعتُ فيه إلى الوقوف، وقلت: إنْ كان هُدىً ففضّل تركتُه، وإنْ كان ضلالة فشرّ نجوْت منه، فأغْنِ عنا نفسك».

ومنهم سعد بن أبي وقّاص الزهري المتوفى سنة خمس وخمسين على المشهور[1]، وكان يقول في الفتنة[2] «ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، قد جاهدت إذ أنا أعرفُ الجهاد، ولا أبخعُ نفسي إنْ كان رجلٌ خيراً مني، لا أقاتل حتى تأتوني بسيفٍ له عينان ولسان وشفتان فيقول: هذا مؤمنٌ وهـذا كافـرٌ». وقال يحيى بن الحصين البَجَليُّ[3]: «سمعت الحيَّ يتحـدثون أن أبي قال لسعد: ما يمنعُكَ من القتال؟ قال: حتى تجيئوني بسيفٍ يعرف المؤمن من الكافر». وقد كتب إلى معاوية حين حرَّضه على الأخذ بثأر عثمان[4]: «أما بعد، فإن عمر لم يُدْخِل في الشورى إلَّا مَنْ يحلُّ له الخلافة من قريش، فلم يكن أحدٌ منّا أحقَّ بها من صاحبه إلَّا باجتماعنا عليه، غير أنّ عليّاً قد كان فيه ما فينا، ولم يكُ فينا ما فيه. وهذا أمرٌ قد كَرِهْنا أوّلَهُ وكرهنا آخره. فأمّا طلحة والزبير فلو لَزِمَا بُيوتهما كان خيراً لهما، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتَتْ».

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣: ١٣٩، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٣٤، والمعارف ص: ٢٤١، والجرح والتعديل ٢: ١: ٩٣، وحلية الأولياء ١: ٩٢، والاستيعاب ص: ٦٠٦، وأسد الغابة ٢: ٢٩٠، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٢، والبداية والنهاية ٨: ٧٢، والإصابة ٢: ٣٣، وتهذيب التهذيب ٣: ٤٨٣، وتقريب التهذيب ١: ٢٩٠، والنجوم الزاهرة ١: ١٤٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣: ١٤٣، وحلية الأولياء ١: ٩٤، وانظر البداية والنهاية ٨: ٧٢، والإصابة ٢: ٣٣. وراجع سنن الترمذي ٤: ٤٨٦، وسنن أبي داود ٤: ٤٥٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣: ١٤٤، وانظر في اعتزاله الفتنة الاستيعاب ص: ٦٠٩، وأسد الغابة ٢: ٢٩١، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٢، والبداية والنهاية ٨: ٧٧.

(٤) وقعة صفين ص: ٧٥، والإمامة والسياسة ١: ١٠٠، وشرح نهج البلاغة ٣: ١١٤.

ومنهم محمد بن مسلمة الأنصاري المتوفى سنة ست وأربعين أو قبلها(١)، قال زيد بن أسْلم العدويُّ(٢): «قال محمد بن مسلمة: أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال: يا محمد بن مسلمة، جاهد بهذا السيف في سبيل الله حتى إذا رأيت من المسلمين فِئَتَيْن تقتتلان فاْضرب به الحجر حتى تكسره، ثم كُفَّ لسانك ويدك حتى تأتيكَ مَنِيَّةٌ قاضيةٌ أو يدٌ خاطئة. فلما قُتِلَ عثمان، وكان من أمرِ الناس ما كان خرج إلى صخرةٍ في فنائه، فضربَ الصَّخرة بسيفه حتى كسره». وقد كتب إلى معاوية حين أغراه بالانضمام إليه(٣): «فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله ﷺ مثلُ الذي في يدي، فقد أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن قبل أن يكون، فلمّا كان كسرتُ سيفي، وجلست في بيتي، واتّهمتُ الرأي على الدين، إذ لم يصحّ لي معروف آمُرُ به، ولا منكرٌ أنهىٰ عنه. وأمّا أنت فلعمري ما طلبتَ إلاّ الدنيا، ولا اتبعت إلاَّ الهوى. فإن تَنْصُرْ عثمان ميتاً فقد خَذَلْتَهُ حياً، فما أخرجني الله من نعمةٍ، ولا صَيَّرني إلى شكٍ. إنْ كنت أبصرت خلافَ ما تُحبني به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار، فنحن أوْلىٰ بالصَّواب منك».

ومنهم أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي المتوفى سنة أربع وخمسين(٤)،

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣: ٤٤٥، وطبقات خليفة بن خياط ص: ١٨٥، والمعارف ص: ٢٦٩، والجرح والتعديل ٤: ١: ٧١، والاستيعاب ص: ١٣٧٧، وأسد الغابة ٤: ٣٣٠، والبداية والنهاية ٨: ٢٥، والإصابة ٣: ٤٠١، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٥٤، وتقريب التهذيب ٢: ٢٠٨، والنجوم الزاهرة ١: ١٢٥، وشذرات الذهب ١: ٥٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣: ٤٤٥، وانظر الاستيعاب ص: ١٣٧٧، وأسد الغابة ٤: ٣٣١، وشذرات الذهب ١: ٥٣، وراجع سنن ابن ماجة ٢: ١٣١٠.

(٣) وقعة صفين ص: ٨٦، والإمامة والسياسة ١: ١٠١، وشرح نهج البلاغة ٣: ١١٥.

(٤) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤: ٦١، وطبقات خليفة بن خياط ص: ١٤، والتاريخ الكبير ١: ٢: ٢٠، والمعارف ص: ١٤٥، والجرح والتعديل ١: ١: ٢٨٣، والاستيعاب ص: ٧٥، وأسد الغابة ١: ٦٤، والإصابة ١: ٣١، وتهذيب التهذيب ١: ٢٠٨، وتقريب التهذيب ١: ٥٣، والنجوم الزاهرة ١: ١٤٥، وشذرات الذهب ١: ٥٩.

قال إبراهيم التَّيْمي عن أبيه(١): «قال أسامة بن زيد: لا أُقاتلُ رجلاً يقول لا إله إلَّا الله أبداً. فقال سعد بن مالك: وأنا والله لا أُقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً. فقال لهما رجل: ألَمْ يقل الله: وقاتلوهم حتى لا تكون فِتْنةٌ ويكون الـدينُ كله لله؟ فقالا: قد قاتلْنا حتى لم تكن فتنةٌ وكان الدينُ لله». وقال حَرْمَلة مولى أسامة(٢): «أرسلني أسامة إلى علي فقال: اقرأه السلام، وقل له: إنك لو كنت في شِدْق الأسد، لأَحْبَبْتُ أن أدخُلَ معك فيه، ولكن هذا أمرٌ لم أَرَه».

ومنهم عمران بن حُصَيْن الخزاعي المتوفى سنة اثنتين وخمسين(٣)، وكان يُثَبِّطُ الناس عن الفتنة، ويدعوهم إلى القعود عنها، قال أبو قتادة(٤): «قال لي عمران بن حصين: الْزمْ مسجدك. قلت: فإن دُخِلَ علي؟ قال: فالْزَمْ بيتك. قال: فإن دُخِلَ علي بيتي؟ قال: فقال عمران بن حصين: لو دخلَ عليَّ رجلٌ بيتي يريد نفسي ومالي لرأيتُ أن قد حلَّ لي قتالُهُ». وروى حميد بن هلال عن حجير بن الربيع «أنَّ عمران بن حصين أرسله إلى بني عدي أن ائتهمْ أجمـعَ ما يكونون في مسجدهم، وذلك عند العصر، فقُمْ قائمـاً، قال: فقـام قائماً فقال: أرْسلني إليكم عمران بن حصين صاحبُ رسول الله ﷺ، يقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ويخبركم أني لكم ناصحٌ، ويحلف بالله الذي لا إله إلَّا هو لأنْ يكون عبداً حبشياً مُجدعا يرعى أعْنزاً

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٦٩.
(٢) طبقات ابن سعد ٤ : ٧١.
(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤ : ٢٨٧، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٢٣٤، والتاريخ الكبير ٣ : ٢ : ٤٠٨، والمعارف ص: ٣٠٩، والجرح والتعديل ٣ : ١ : ٢٩٦، والاستيعاب ص: ١٢٠٨، وأسد الغابة ٤ : ١٣٧، والإصابة ٣ : ٢٦، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٢٦، وتقريب التهذيب ٢ : ٨٢ والنجوم الزاهرة ١ : ١٤٣، وشذرات الذهب ١ : ٥٨
(٤) طبقات ابن سعد ٤ : ٢٨٨، وانظر أسد الغابة ٤ : ١٣٨

حَضَنياتٍ في رأس جبل حتى يُدْركَهُ الموت أحبُّ إليه من أن يَرْمي في أحد الفريقين بسهمٍ أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فِدىً لكم أبي وأمي».

ومنهم أبو بَكْرة نُفَيْعُ بن الحارث الثقفي المتوفى سنة اثنتين وخمسين[1]، وكان يُزَيِّنُ للناس تجنُّبَ الفتنة[2]، وكان يقول[3]: «قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون فِتَنٌ القاعدُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي إليها، ألاَ فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبلٌ فليلحقْ بإبله، ومن كان له غنم فليلحقْ بغنمه، ومن كان له أرضٌ فليلحقْ بأرضه». قال: فقال رجل: يا رسول الله، ومن لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: يعمد إلى سَيْفِهِ فيدقُّ على حَدِّهِ بحجر، ثم لِيَنْجُ إن استطاع النَّجاء». وكان يقول[4]: «قال رسول الله ﷺ: إذا التقى المسلمان فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار».

وفي بعض الروايات أنّ الوليد بن عُقْبة أخا عثمان لأُمِّه المتوفى في خلافة معاوية[5] كان من الصحابة الذين ابتعدوا عن الفتنة، ولم يشاركوا فيها، قال ابن سعد[6]: «لما كان من عليٍّ ومعاوية ما كان، خرجَ الوليد بن

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ١٥. وطبقات خليفة بن خياط ص: ١٢٥. والتاريخ الكبير ٤: ٢: ١١٢، والمعارف ص: ٢٨٨. والجرح والتعديل ٤: ١: ٤٨٩، والاستيعاب ص: ١٦١٤، وأسد الغابة ٥: ١٥١، والإصابة ٣: ٥٧١، . ونهذيب التهذيب ١٠: ٤٦٩، وتقريب التهذيب ٢: ٣٠٦، وشذرات الذهب ١: ٥٨.

(٢) صحيح البخاري ٩: ٥١، وصحيح مسلم ٤: ٢٢١٣، ٢٢١٤، وسنن أبي داود ٤: ٤٦٢. وسنن ابن ماجة ٢: ١٣١١.

(٣) صحيح مسلم ٤: ٢٢١٢، وسنن أبي داود ٤: ٤٥٥.

(٤) أسد الغابة ٥: ١٥١.

(٥) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ٢٤، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨١٨. والجرح والتعديل ٤: ٢: ٨، والأغاني ٥: ١٢٢، والاستيعاب ص: ١٥٥٢. وأسد الغابة ٥: ٩٠، والإصابة ٣: ٦٣٧، ونهذيب التهذيب ١١: ١٤٢، وتقريب التهذيب ٢: ٣٣٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٦: ٢٤، وانظر المعارف ص: ٣٢٠، والاستيعاب ص: ١٥٥٦، وأسد الغابة ٥: ٩٢

عُقبـة إلى الرِّقَّة معتزلاً لهما، فلم يكنْ مع واحدٍ منهما حتى تصرَّمَ الأمر، ومات بالرَّقَّة». ولكن ما ينسبُ إليه من شعرٍ يشير إلى أنه كان ممَّن حمَّسوا معاوية على قتال علي[1]، وهو بحاجةٍ إلى كثيرٍ من التَّمحيص والتَّوثيق. شأنُهُ في ذلـك شأنُ كثيرٍ من أخبـاره. وقال ابن حجر العسقلاني[2]: «لما قُتِلَ عثمـان اعتـزلَ الوليد الفتنة، فلم يشهدْ مع عليٍّ ولا مع غيره، ولكنه كان يُحرِّضُ معاوية على قتال عليٍّ بِكُتبه وبشعره».

ومنهم خُرَيم بن الأخْزَم الأسدي المتوفَّى في خلافة معاوية بن أبي سفيان[3] فقـد كان أحـد من اعتزل حرب الجمل وصفِّين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها[4].

ومنهم أيمن بن خريم الأسدي، على خلافٍ في صُحْبته[5]، وكان معتزلاً لحرب صِفِّين[6]، وكان يقول:[7] «إنَّ أبي وعمّي شهدا بدراً، وعهدا إليَّ أنْ

(١) وقعة صفين ص: ٥٢، وأنساب الأشراف، تحقيق المحمودي ٢: ٢٨٩، وتاريخ الطبري ٤: ٥٦٣، وحماسة البحتري ص: ٣٠، والأغاني ٥: ١٢٢، والبدء والتاريخ ٥: ٢٣٤، وشرح نهج البلاغة ٣: ٨٤، ٩٤، ٦: ٣١٤، ١٤: ٣٩، ١٧: ٢٢٧، والحماسة البصرية ١: ١١٤، وتاريخ الإسلام ٢: ١٦٨، والبداية والنهاية ٨: ١٢٨.

(٢) الإصابة ٣: ٦٣٨.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ٣٨، وطبقات خليفة بن خياط ص٨٠، والتاريخ الكبير ٢: ١: ٢٢٥، والمعارف ص: ٣٤٠، والجرح والتعديل ١: ٢: ٤٠٠، والاستيعاب ص: ٤٤٦، وأسد الغابة ٢: ١١٢، الإصابة ١: ٤٢٤، وتهذيب التهذيب ٣: ١٣٩، وتقريب التهذيب ١: ٢٢٣.

(٤) الأغاني ٢٠: ٣٠٧.

(٥) انظر ترجمته في التاريخ الكبير ١: ٢: ٢٥، والشعر والشعراء ١: ٥٤١، والجرح والتعديل ١: ١: ٣١٨، والأغاني ٢٠: ٣٠٧، والاستيعاب ص: ١٢٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٩٠، وأسد الغابة ١: ١٦١، وتهذيب التهذيب ١: ٣٩٢، وتقريب التهذيب ١: ٨٨.

(٦) وقعة صفين ص: ٤٣١، والأخبار الطوال ص: ١٩٤، وشرح نهج البلاغة ٢: ٢٣١.

(٧) طبقات ابن سعد ٦: ٣٩، والاستيعاب ص: ١٢٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٩١، وأسد الغابة ٢: ١١٢، والإصابة ١: ٤٢٤

لا أُقاتِلَ مُسْلماً». وقال نصر بن مزاحم[1]: «كان معاويةُ جعل له فلسطين على أنْ يتابعه ويشايعه على قتال عليٍّ، فبعث إليه أيمن:

ولســـتُ مقــاتــلاً رجــلا يُصلِّي على سلطان آخــر مِنْ قريشِ
له سلطانُــهُ وعــليَّ إثْــمــي معــاذ الله من سفــهٍ وطــيشِ
أأقْــتُــلُ مســلمــاً غيرِ جُرْمٍ فلستُ بنافِعي ما عشتُ عَيْشي»[2].

وقــال علي بن خشْــرم المــروْزي[3]: «قلت لوكيع (بن الجــراح الـرُّؤاسي): مَنْ سَلِمَ من الفتنة؟ قال: أما المعروفون من أصحاب النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم فأربعـة: سعـد بن مالك، وعبدالله بن عمر، ومحمـد بن مسلمـة، وأسامة بن زيد، واختلط سائرهم. قال: ولم يشهد أمرهم من التابعين أربعة: الرَّبيع بن خُثيْم (الثوري الكوفي)، ومسْروق بن الأجـدع (الهمْـداني الكوفي)، والأسْودُ بن يزيد (النَّخعي الكوفي)، وأبو

(١) وقعة صفين ص: ٥٠٣، والأخبار الطوال ص: ١٩٤، وشرح نهج البلاغة ٢: ٢٣٢.

(٢) في بعض الروايات أن مروان بن الحكم هو الذي دعا أيمن بن خريم أن يقاتل معه يوم مرج راهط، فأبى وقال تلك الأبيات، قال الشعبي: «أرسل مروان بن الحكم إلى أيمن ألا تتبعنا على ما نحن فيه؟ فقال: إن أبي وعمي شهدا بدراً، وإنهما عهدا إليّ ألاّ أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ. فإن جئتني ببراءة من النار فأنا معك. فقال: لا حاجة لنا بمعونتك. فخرج وهو يقول: (الأبيات)». انظر أنساب الأشراف المخطوط ٢: ٧٤٩، وأنساب الأشراف ٥: ١٣٥، والاستيعاب ص: ١٣٠، ٤٤٦، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٩١، وأسد الغابة ١: ١٦١، ٢: ١١٢، والإصابة ١: ٤٢٤.

وذكر ابن قتيبة ان عبدالملك بن مروان هو الذي سأل أيمن بن خريم أن يحارب معه عبدالله بن الزبير، فرفض، وقال تلك الأبيات، يقول «قال عبدالملك بن مروان لأيمن بن خريم. إنّ أباك كانت له صحبة ولعمك، فخذ هذا المال وانطلق فقاتل ابن الزبير. فأبى وقال: (الأبيات)». انظر الشعر والشعراء ١ . ٤٥٢، والمعارف ص ٣٤٠

وروى ابن سعد الأبيات، ولكنه لم يحدد المناسبة التي قيلت فيها. انظر طبقات ابن سعد ٦: ٣٨

(٣) الاستيعاب ص: ٧٧

عبدالرحمن (عبدالله بن حبيب) السُّلمي (الكوفي)[1]».

«قال أبو عمر (ابن عبدالبر): أما أبو عبدالرحمن السُّلَميُّ فالصحيح عنه أنه كان مع علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[2]. وأما مسْروق فذكر عنه إبراهيم النَّخعي أنه ما مات حتى تاب إلى الله تعالىٰ مِنْ تَخلُّفه عن عليٍّ كرَّم الله وجهه[3]. وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من وجوهٍ أنه قال: ما آسى على شيءٍ كما آسى أني لم أقاتل الفئة الباغية مع عليٍّ رضي الله عنه[4]».

وكان من المرجئة الأوَّلين جماعة من الغزاة رجعوا إلى المدينة بعد قتل عثمان بن عفان فوجدوا المسلمين يقتتلون، فهالهم اقتتالهم، فاعتزلوهم، وأخذوا أنفسهم بالحَيْدة، قال ابن عساكر[5]: «إنهم الشُّكاك الذين شكُّوا،

---

(١) وقال الذهبي في ترجمة عمران بن حصين الخزاعي: «مات في عام هو وأبو أيوب الأنصاري، وأبو بكرة الثقفي، وكعب بن عجرة، ومعاوية بن حديج الأمير، وخمستهم من الصحابة الذين اعتزلوا صفين، رضي الله عنهم، على خلاف في أبي أيوب». (انظر تذكرة الحفاظ ١: ٣٠).

(٢) قال الواقدي: «شهد مع علي صفين، ثم صار عثمانيا». (تهذيب التهذيب ٥: ١٨٤).

(٣) قال وكيع بن الجراح الرؤاسي: «لم يتخلف مسروق عن حروب علي». (انظر تهذيب التهذيب ١٠: ١١١).

وروى ابن سعد من طرق مختلفة أنّ مسروقاً اعتزل في صفين، وكان يدعو إلى الكف عن الحرب، قال الشعبي: «كان مسروق اذا قيل له أبطأت عن علي وعن مشاهده، ولم يكن شهد معه شيئاً من مشاهده، فأراد أن يُناصُهم الحديث قال: أذكركم بالله، أرأيتم لو أنه حين صفّ بعضكم لبعض، وأخذ بعضكم على بعض السلاح يقتل بعضكم بعضاً فتح باب من السماء وأنتم تنظرون، ثم نزل منه ملاك، حتى إذ اكان بين الصفّين قال: «يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً» (النساء: ٢٩)، أكان ذلك حاجزاً بعضكم عن بعض! قالوا: نعم. قال: فوالله لقد فتح الله لها باباً من السماء، ولقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم ﷺ، وإنها لمحكمة في المصاحف ما نسخها شيء». (انظر طبقات ابن سعد ٦: ٧٧).

(٤) انظر الاستيعاب ص: ٩٥٣، وأسد الغابة ٣: ٢٣٨.

(٥) تاريخ دمشق، مخطوطة التيمورية جـ٢٠، الورقة: ٥٧٧.

وكـانـوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحدٌ ليس بينهم اختلاف، فقالوا: إنا تركناكم وأمركم واحدٌ، وليس بينكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قُتِلَ عثمـان مظلوماً، وكان أوْلىٰ بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول: كان عليٌّ أوْلىٰ بالحق، وأصحابه كلهم ثقة، وكلهم مصدق، فنحن لا نتبرّأ منهما، ولا نلعَنُهما ولا نشهد عليهما، ونُرْجىءُ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكمُ بينهما».

ويبدو من النُّصوص السابقة أنَّ المُرْجئة الأولين كانوا يعتقدون بتأجيل أمر الناس إلى يوم القيامة، وتَرْك الحُكْم على أعمال العباد لله وحده، وأنهم اعتزلوا الفتن، ولم يريدُوا أنْ يُريقوا دماءَ فريقٍ من المسلمين، ويحقنُوا دماء فريقٍ آخر، ولا أنْ يحكموا بتخطئة جماعة، وتصويب جماعةٍ ثانيةٍ، لأن أمرَ المسلمين المُتَقاتلين بِصَفِّين قد أشْكَلَ عليهم، فلم يَتَبَيَّنُوا وجهَ الحق فيه.

وكـان اختـلاف الأحـزاب في الخلافة سببَ نُشوءِ المُرْجئة، فلولا الخـلافـة ما كانت خوارج، ولا شيعـةٌ، ولا كانت مُرْجئـةٌ. وكان المرجئةُ يُسالمون جميع الأحزاب، ويَرَوْنَ أنَّ بعضهم مُصيبٌ، وبعضهم مخطيء، وأنهم لا يستطيعون أن يُعَيِّنُوا المُصيب، فوكّلوا أمرهم إلى الله، وفيهم بنو أمية فهم يشهـدون أنْ لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فهم ليسوا كُفّاراً، ولا مُشْركين، بل هم مُسْلِمُون يُرْجَأُ أمرهم إلى الله الذي يعرف سرائِر الناس، ويُحاسبهم عليها. وقد نتجَ عن ذلك تأييدهم لبني أمية تأييداً سلبياً، فهم وإنْ لم ينحازوا إليهم، ولم يُقاتلوا معهم، فإنَّهم لم يُعارضوهم، ولم يُناهضوهم، بل أقرُّوا بأنَّ حكومتهم حكومةٌ شرعيةٌ، لا يصحُّ الخروجُ

عليها[1].

وكان الإرجاء في أول ظهوره مذهباً سياساً صِرْفاً، ثم أخذ أصحابُهُ يخـوضـون في الإيمـان والكُفر، وقد دعاهم إلى ذلك أنهم رأوا الخوارج يجعلون العمـل جزءاً من الإيمـان، ولا يفصلون بينهمـا، ويقـولون: إنَّ أحدهما لا يُغْني عن الآخر، وأنهم على اختلاف فِرَقهم يُجْمعون على تكفير عليٍّ، وعثمان، وأصحاب الجَمل، والحَكَمين، ومن صوَّبهما، أو صَوَّب أحدهما، أو رضي بالتحكيم[2]. ودعاهم إليه أيضاً أنهم أبْصرُوا غُلاة الشيعة ومُتطرِّفيهم يُكفِّرون الصحابة لأنهم تركوا بيْعةَ عليٍّ[3]، وأن الشيعة كانوا يَروْنَ أنَّ معْرفةَ الإمام رُكْنٌ من أركان الدين[4]، فقال كثير من المُرْجئة: إنَّ الإيمان هو التَّصْـديق بالقلْب، فمن آمن بقلبـه فهـو مؤمنٌ[5]، وقال بعضهـم: إنَّ الإيمـان تصديقٌ بالقلب وإقرار باللسان[6]. واتَّفق المرجئة الخالصة على تأخير العمل عن الإيمان[7]، وأن مرتكب الكبيرة لايُخلَّدُ في النار، لأنه ليس بكافر[8]، وأن الإيمان لا يتبعَّضُ، ولا يزيدُ ولا ينقصُ، ولا يتفاضلُ أهلُهُ فيه[9]، وقال بعضُهم: «إنَّ الوعدَ ليس فيه استثناء، وإنَّ الوعيد فيه استثناء

(١) انظر فجر الإسلام ص: ٢٨٠، وضحى الإسلام ٣: ٣٢٤، والعقيدة والشريعة، لجولدتسهر ص: ٧٦.

(٢) مقالات الإسلاميين ١: ١٥٦، والفرق بين الفرق ص: ٤٥، والملل والنحل ١: ١٠٦، وانظر مروج الذهب ٣: ١٤٥.

(٣) الفرق بين الفرق ص: ٢٢، ٣٥، ١٥٢.

(٤) مقالات الإسلاميين ١: ١١٩، والفرق بين الفرق ص: ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، والملل والنحل ١: ١٣١، وانظر خطبة أبي حمزة الشاري في البيان والتبيين ٢: ١٠٣، والأغاني ٢٣: ٢٣٤

(٥) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٧، ١٩٨، والفرق بين الفرق ص: ١٢٤، والملل والنحل ١: ١٢٥.

(٦) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، والفرق بين الفرق ص: ١٢٢، ١٢٤، والملل والنحل ١: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

(٧) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٧، والفرق بين الفرق ص: ١٢٢، والملل والنحل ١: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.

(٨) مقالات الإسلاميين ١: ٢١١، والفرق بين الفرق ص: ١٢٤، ١٢٥، والملل والنحل ١: ١٢٨.

(٩) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، والفرق بين الفرق ص: ١٢٣، والملل والنحل ١: ١٢٩.

مضمـرٌ، وذلـك جائـرٌ في اللغة عند أهلها، لأن الرَّجلَ قد يوعد عبْدَه أنْ يضربهُ، ثـم يعفو عنه، ولا يرون ذلك كذباً للضمير الذي قال في الوعيد»[١]، أي: «إنَّ وعد الله لا يتخلّفُ، ووعيده قد يتخلّفُ، لأن الثَّواب فضلٌ فيفي الله به، لأن الخُلْفَ في الوعد نقصٌ، والعقاب عدلٌ، وله أنْ يتصرّف فيه كما يشاء، ولا يعدُّ الخُلْفُ في الوعيد نقصاً»[٢].

وتكوِّنُ هذه الآراء وحدة فكرية متّسقةً، لا تناقُضَ فيها، ولا تعارُضَ بينها، وهي تنبثقُ من مذهب المُرْجئة السياسي، وتتّفق معه، فكل من آمن بقلبه، أو بقلبه ولسانه، سواء أكان من الخوارج والشيعة أم من بني أمية، فهو مؤمن، وليس من الصواب الحكم عليه بالكُفْرِ والخُلود في النار.

ولكن المرجئة لم يلبثوا أنْ تعرَّضوا لمسألة الجبْر والاختيار، وراجعوا آراءهم فيها، فانقسموا ثلاث فِرَقٍ، فرقة ظلّت على إرجائها الخالص، وفرقة قالت بالإرْجاء والجَبْر، وفرقة قالت بالإرجاء والقدَر[٣].

وقد انتشر مَذْهَبُ المُرْجئة بخراسان في العصر الأموي، وكَثُرَ أتْباعُهُ فيها، وكان بعضهم ممن عاش في العصر الأموي، وكان سائرهم ممن أدرك الـدَّوْلتين، وكانوا فرقتين، أما الفرقة الأولى فهم المرجئة الخالصة، وكانوا يزعمون أن أداءَ الفُرُوض والطاعات ليس من الإيمان، وكانوا يُوادعون بني أمية، وغيرهم من الأحزاب، ولا يُكَفِّرون أحداً منهم.

ومن رجال المرجئة الخالصة بخراسان في العصر الأموي مُقَاتلُ بن

---

(١) مقالات الإسلاميين ١: ٢٠٨.

(٢) ضحى الإسلام ٣: ٣١٩.

(٣) الفرق بين الفرق ص: ٢٠: ١٢٢، والملل والنحل ١: ١٢٥.

سليمــان مولى الأزْد البَلْخيُّ المَـرْوَزي ثم البصريُّ البغداديُّ المتوفى سنة خمسين ومائة[1]، وكان من مُشَبِّهة المرجئة[2]، وكان أصحابه يقولون[3]: إنَّ الله جِسْمٌ، وإنَّ له جُمَّةً، وإنه على صورة الإنسان، لحمٌ ودمٌ وشعرٌ وعظمٌ، له جوارحُ وأعضاء من يدٍ ورِجْلٍ ورأسٍ وعينَيْن مُصْمَتٌ، وهو مع هذا لا يُشْبهُ غيرَهُ ولا يُشْبِهُهُ غيرَهُ». وقال الشهرستاني[4]: «يُحْكىٰ عن مقاتل بن سليمان أن المعْصية لا تضُرُّ صاحب التوحيد والإيمان، وأنه لا يدْخُلُ النار مُؤمن»، والصحيح من النَّقْلِ عنه «أنَّ المؤمن العاصي رَبُّهُ يُعَذِّبُ يومَ القيامة على الصِّراط، وهو على مَتنِ جهنَّم، يصيبه لَفْحُ النار وحرُّها ولهيبُها، فيتألَّمُ بذلك على قدْرِ معْصيتـه، ثم يدْخُـل الجنَّـة. ومثَّـلَ ذلك بالحبَّة على المِقْلاةِ المُؤجَّجة بالنار».

وكان عُمَّالُ بني أمية على خراسان يَثِقُون به ويَطْمئنُّون إليه، فكان أثيراً عنـدهم مُقـدَّماً لديهم، وكان يتولَّى لهم الحكوماتِ في الخُصُومات التي كانت تَنْشَبُ بينهم وبين المنـاوئين لهم ولبني أمية، إذ عيَّنه نصر بن سيّار اللَّيْثي أحد الممثّلَيْنِ اللَّذيْنِ اختارهما لينُوبا عنه، عندما رجع الحارث بن سُريجٍ إلى مَروْ الشاهجان، وناصب نصراً العداء، سنة ثمانٍ وعشرين ومائةٍ، ثم تصالحا على أن ينتخب كل منهما رجالاً يذكرون لهما أسماء طائفةٍ من أهل الوَرع والتقوىٰ والصَّلاح يعملون بالكتاب والسُّنَّة، ليقوموا بأمور

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٢٧٣، والتاريخ الكبير ٤: ٢: ١٤، والجرح والتعديل ٤: ١: ٣٥٤، وتاريخ بغداد ١٣: ١٦٠، وحياة الحيوان الكبرى ١: ٣٥٤، ووفيات الأعيان ٦: ٢٥٥، وميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، وتهذيب التهذيب ١٠: ٢٧٩، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٢، وشذرات الذهب ١: ٢٢٧، وراجع مذاهب التفسير الإسلامي ص: ٧٦، وتاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ٤: ٩، وتاريخ التراث العربي، لفؤاد سيزكين ١: ١: ١٩٨.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٢٥٧، وتهذيب التهذيب ١٠: ٢٨٤، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ١: ٢١٤، وانظر الملل والنحل ١: ٩٦.

(٤) الملل والنحل ١: ١٢٨.

خراسان[1].

ومنهم عبدالعزيز بن أبي روَّاد الأزدي الخراساني ثم المكي المتوفى سنة تسع وخمسين ومائة[2]، قال ابن سعد[3]: «كان مُرْجئاً»، وقال الجوزجاني[4]: «كان غالياً في الإرجاء».

ومنهم خارجة بن مصعب الضُّبَعي السَّرَخْسيُّ المتوفى سنة ثمان وستين ومائة[5]، قال ابن قتيبة[6]: كان من المُرْجِئة.

وأما الفِرْقَةُ الثانية منهم فهم مُرْجِئةُ الجَبْرية، وهم يقولون: إن العمل جزءٌ من الإيمان، ويروْن أنَّ الإيمان لا يتمُّ إلاَّ بأداء الفُرُوض والطَّاعات. وهم يعتقدون أن الأمور المُشْكلة هي التي يجب أنْ يُؤجَّل النَّظر فيها، والحكمُ عليها، وأمّاالأمور البيِّنةُ فإنهم يُعْلنون رأْيَهم فيها، ويقطعونَ به قَطْعاً.

وكان رجالُ هذه الفرقة ينتقدون بني أمية، ويندِّدون بمفاسدهم وأخطائهم، ويدعون إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والمالي، وقد

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣١، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٥: ٤٩٣، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٧١١، والتاريخ الكبير ٣: ٢: ٢٢، والجرح والتعديل ٢: ٢: ٣٩٤، وتهذيب التهذيب ٦: ٣٣٨، وتقريب التهذيب ١: ٥٠٩، وشذرات الذهب ١: ٢٤٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٥: ٤٩٣، والمعارف ص: ٦٢٥، والجرح والتعديل ٢: ٢: ٣٩٤، وميزان الاعتدال ٢: ٦٢٨، وتهذيب التهذيب ٦: ٣٣٨، وتقريب التهذيب ١: ٥٠٩، وشذرات الذهب ١: ٢٤٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٦: ٣٣٩، وكان ابنه عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي روّاد مرجئاً أيضاً. (انظر التاريخ الكبير ٣: ٢: ١١٢، والمعارف ص: ٦٢٥، والجرح والتعديل ٣: ١: ٦٤، وتهذيب التهذيب ٦: ٣٨١، وتقريب التهذيب ١: ٥١٧).

(٥) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨٣٥، والتاريخ الكبير ٢: ١: ٢٠٥، والمعارف ص: ٤٦٨، والجرح والتعديل ١: ٢: ٣٧٥، وميزان الاعتدال ١: ٦٢٥، وتهذيب التهذيب ٣: ٧٦، وتقريب التهذيب ١: ٢١١، وشذرات الذهب ١: ٢٦٥.

(٦) المعارف ص: ٢٥.

ثاروا عليهم في العراق[1] وخراسان، وحاولوا الإطاحة بهم.

ومن مُرْجئة الجبريَّة بخراسان في العصر الأموي ثابت قُطْنةِ الأزدي المتوفى سنة عشرٍ ومائة[2]، قال أبو الفرج الأصفهاني[3]: «كان ثابت قُطْنةِ قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المُرْجئة، كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان، فمال إلى قولِ المُرْجئة وأحبَّه».

ولـه قصيدةٌ طويلة في الإرجاء، وهي وثيقة تاريخية مهمة، لأنها تتضمَّن مقالة مُرْجئةِ الجَبْرية، وتكشف عن الفرق بين آرائهم وآراء المرجئة الخالصة، وهي تتوالىٰ على هذا النَّحْو[4]:

يا هندُ إنِّي أظنُّ العيْشَ قد نَفِدا ... ولا أرى الأمرَ إلَّا مُدبراً نِكدَا[5]

إنِّي رهينةُ يومٍ لستُ سابِقَهُ ... إلَّا يكُنْ يوْمُنا هذا فقد أفِدا[6]

بايعْتُ ربِّي بيْعاً إنْ وفيْتُ به ... جاورْتُ قتْلىٰ كِراماً جاورُوا أُحُدا[7]

يا هندُ فاسْتمِعي لي إنَّ سِيرَتَنا ... أنْ نعْبُدَ الله لم نُشْرِكْ به أحَدا

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٦: ٢٦٣، ٢٦٥، وتاريخ خليفة بن خياط ١: ٣٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٠، وتاريخ الطبري ٦: ٤٨٨، ٧: ٥٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٤٨، والأغاني ١٤: ٢٦٩، ٢٧٨، ووفيات الأعيان ٢: ٣٧٢، والبداية والنهاية ٩: ٩٦، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص: ٢٧١.

(٢) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢: ٦٣٠، والاشتقاق ص: ٤٨٣، والأغاني ١٤: ٢٦٣، ووفيات الأعيان ٦: ٣٠٧، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١: ٩، وخزانة الأدب للبغدادي ٤: ١٨٤، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص: ٧٢٤، والعصر الإسلامي لشوقي ضيف ص: ٢٣٩، والشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص: ٢٣٧.

(٣) الأغاني ١٤: ٢٦٩.

(٤) الأغاني ١٤: ٢٧٠.

(٥) نفد: فني.

(٦) أفد: قرب ودنا.

(٧) أحد: جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة.

نُرْجي الأمورَ إذا كانت مُشَبَّهةً ... ونَصْدُقُ القَوْلَ فيمن جارَ أو عَنَدَا[1]
المسلمونَ علىٰ الإسلامِ كُلُّهُمُ ... والمُشْرِكُونَ أشَتُّوا دينَهُمْ قِدَدَا[2]
ولا أرَى أنَّ ذَنْباً بالغٌ أحَداً ... م الناسِ شِرْكاً إذا ما وَحَّدَ الصَّمَدا
لا نَسْفِكُ الدَّمَ إلَّا أنْ يُرادَ بنا ... سَفْكُ الدِّماءِ طريقاً واحداً جَدَدا[3]
مَنْ يَتَّقِ اللهَ في الدُّنْيَا فإنَّ لَهُ ... أجْرَ التَّقيِّ إذا وَفَّى الحسابَ غَدا
وَمَا قَضَى اللهُ منْ أمْرٍ فليس لهُ ... رَدٌّ ومـا يَقْضِ مِنْ شَيْءٍ يكنْ رَشَدَا
كلُّ الخوارجِ مُخْطٍ في مَقالَتِهِ ... ولو تَعَبَّدَ فيما قالَ واجْتَهَدا
أمَّا عليٌّ وعثمانُ فإنَّهما ... عَبْدانِ لم يُشْرِكَا باللهِ مُذْ عَبَدا
وكان بينهما شَغْبٌ وقد شَهِدَا ... شَقَّ العَصا وبِعَيْنِ اللهِ ما شهِدا[4]
يُجْزَى عليٌّ وعثمانُ بسعيهما ... ولستُ أدري بِحَقٍ أيَّةَ وَرَدَا
اللهُ يَعْلَمُ ماذا يَحْضُرانِ به ... وكلُّ عَبْدٍ سَيَلْقَى اللهَ مُنْفَرِدَا

فقد كان مُرْجِئة الجَبْريَّة يعتقدون أنَّ الإيمان هو التَّصْديقُ بالقلب، والإقرارُ باللسان. ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أيضاً أنَّ العمل ركنٌ من أركان الإيمان، وآية ذلك أنَّ ثابت قُطْنةٍ أشار إلى الجزاء، وأنَّ المؤمن يحاسب على أعماله، فيثابُ على عمل الخير، ويُعاقبُ على عمل الشرِّ. ومن أقوىٰ الأدلة على ذلك أنَّ مُرْجئة الجبرية لم يسكتوا عن ممارسات بني أمية وسياساتهم المختلفة، بل أخْضعُوها للنَّقدِ والتَّقويم، وجعلوا صلاحَها ومُوافقتها للكتاب والسُّنَّةِ أساساً لطاعتهم والرِّضا عنهم، وفسادها ومُفارقتها للكتاب والسُّنَّة سبباً لِعِصْيانهم والثورة عليهم. وعندما أبَوْا أن يَهْتَدُوا بسيرة الرسول الكريم وسيرة أصحابه شَهَّروا بمساوئهم، وهتفوا بمخالفتهم لمبادىء

(١) عند: عرف الحق فأباه ومال عنه.
(٢) أشتوا: فرّقوا. وقدداً: جمع قدة، أي فرقاً مختلفة الأهواء.
(٣) الجدد: الطريق الواضحة المستوية.
(٤) الشغب: تهييج الشر، وشق العصا: تفرق الجماعة.

الإسلام، ثم حاربوهم، وسعوا إلى إسقاطهم.

وقد حَرَّم مُرْجئة الجبريّة إراقة دماء المسلمين، ولم يُحِلّوها، إلا إذا اعْتُدِيَ عليهم، واسْتُبِيحَتْ دماؤهم، فإنهم كانوا يُدافعون عن أنفسهم. وهم يُخالفون المُرْجئة الخالصة في ذلك، لأنهم كانوا يُؤخِّرُون العمل عن الإيمان، ولأنهم كانوا يُسَالِمُون بني أمية، ويُصافُون غيرهم من الأحزاب.

وذهب مُرْجئة الجبريَّة إلى أن مُرْتكبَ الكبيرة ليس بكافر، وأنه لا يَخْلُدُ في النار، بل يُعَذَّبُ على قَدْرِ ذنبه، ثم يدخلُ الجنَّة. وخطَّأ ثابتُ قُطْنةِ الخوارج، لأنهم كانوا يُكَفِّرُون مُرْتكبي الكبائر، ولأنهم كانوا يُكَفِّرُون علياً وعثمان، وهو يرى أنهما مؤمنان موحِّدان لم يُشْرِكَا بالله أحداً، وأن ما حدثَ من شقاقٍ ونزاعٍ بينهما، وما كان من افْتراقِ المسلمين واقتتالهم في أيَّامهما لا يُلْغي إيمانهما. ولكنه يُصَرِّح بأن أمرهما قد خَفِي عليه، وأنه لا يعرفُ الصَّواب فيه، ولذلك كان يُرْجِئُهُ إلى يوم القيامة، ليحاسبهما الله على أعمالهما، ويحكم عليهما بما يشاء. وهم يوافقون المُرْجئة الخالصة في ذلك.

وكان مُرْجئة الجبرية يقولون: إن الإنسان مُجبرٌ غير مخيَّرٍ، وإنه لا يملك من أمره شيئاً، ولا يستطيع صُنْعَ أفْعالِه، وإنَّ إرادة الله نافذةٌ لا رادَّ لها. ولم يؤثَرْ عن المرجئة الخالصة أنهم تعرَّضوا لمسألة الجبر والاختيار، ولم يذكر لهم رأيٌ فيها.

وأحجم مُرْجئة الجبرية عن إبداء رأيهم في المسائل الملتبسة، وأجَّلُوها إلى يوم القيامة، ليقضي الله فيها ما يريد، وأما المسائل الواضحة

كالـظُّلم البيِّن، والعنـاد الـظَّاهر، فإنهم كانوا يُصْدرون أحكامهم عليها، ويُحَدِّدُونَ مواقفهم منها. وهم يخالفون المُرْجئة الخالصة في ذلك، لأنهم لم يفـرِّقوا بين المشكل والواضح من الأمور، بل سوَّوْا بينها، وأرْجأوا الحكم عليها لله.

وكانت طائفةٌ من مُرْجئة الجبرية قد ثارت مع يزيد بن المهلَّب بالعراق سنة إحدى ومائة[1]. فكتب ثابت قُطْنة إلى يزيد بن المهلب يحرِّضه على قتال يزيد بن عبدالملك، ويحثُّه على خلعه[2].

وأيَّد ثابت قُطْنة العجم المسلمين من أهل سمرقند سنة عشرٍ ومائة، ودعا إلى أنْ يكونوا مكافئين للعرب المسلمين، وأنْ توضع عنهم الجزية، وأنْ يُسْتوفى منهم الخـراجُ كمـا يُسْتوفى من العرب، وجاهد معهم عمَّال أشرس بن عبدالله السُّلمي والي خراسان لهشام بن عبدالملك، لأن أشرس وعدهم برفع الجزية عمن أسلم، فانكسر الخراج، فوضع عليهم الجزية، وكتب إلى ابن أبي العمرطة الكندي، وكان على حَرْب سمرقند وخراجها[3]: «إنَّ في الخـراج قوةً للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السُّغْد وأشباههم لم يسلموا رغبةً، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزْية، فانْظُر مَن اختتنَ، وأقام الفرائض، وحسُنَ إسلامه، وقرأ سورةً من القرآن، فارفعْ عنه خراجه (جزيته)». ثم عزل ابن أبي العمرطة عن الخراج، وصيَّره إلى هانىء بن هانىء، وضَمَّ إليه الأشحيذ. فقال ابن أبي العمرطة لأبي الصَّيْداء صالح بن طريف مولى بني ضَبَّةَ، وكان أشرس وجَّهه إلى سمرقند ليدعو أهلها إلى

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٩٣، والكامل في التاريخ ٥: ٨٠، ٨٤.
(٢) الأغاني ١٤: ٢٧٨.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٥٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٤٧.

الإسلام على أنْ لا تؤخذ الجزية ممن أسلم منهم: لست من الخراج الآن في شيء، فدونك هانئاً والأشحيذ، فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم، فكتب هانىء إلى أشرس: إنَّ الناس قد أسلموا وبنوا المساجد. فجاء دهاقين بخاري إلى أشرس، فقالوا: ممن تأخذ الخراج (الجزية)، وقد صار الناس كلهم عرباً؟ فكتب أشرس إلى هانىء وإلى العمّال: خذوا الخراج (الجزية) ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على مَنْ أسلم، فامتنعوا، واعتزل من أهل السُّغْد سبعة آلاف، فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند، وخرج إليهم أبو الصيداء، وربيع بن عمران التميمي، والقاسم الشيباني، وأبو فاطمة الأزدي، وبشر بن جرموز الضبي، وخالد بن عبدالله النَّحْوي، وبشر بن زنبور الأزدي، وعامر بن قشير الخجندي، وبيان العنبري، وإسماعيل بن عقبة لينصروهم. فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الحرب، واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي، وضم إليه عميرة بن سعد الشيباني. فلما قدم المجشر كتب إلى أبي الصيداء يسأله أنْ يقدم عليه هو وأصحابه، فقدم أبو الصيداء، وثابت قطنة فحبسهما. فقال أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عما قلتم! فقال له هانىء:

ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء، وحمل أبا الصيداء إلى أشرس، وحبس ثابت قطنة عنده، فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيّار والياً على المجشر، فحمل ثابتاً إلى أشرس فحبسه، ثم أطلقه بكفالة عبدالله بن بسطام، ووجّهه معه لقتال التُّرك، فقتل ببيكند(١).

ومن مُرْجئة الجبرية بخراسان في العصر الأموي الحارث بن سُرَيْج

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٥ ـ ٥٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٤٧ ـ ١٥٠.

التَّميمي المقتـول سنة ثمانٍ وعشرين ومائة[1]، قال ابن جرير الطبري[2]: «كان الحارث يرى رأي المُرْجئة». وهو أكبر قادتهم، وأشهر ثُوَّارهم، وأخباره في الصَّدْر الأول من حياته مجهولة، ويبدو أنه كان بخراسان في العُشْرِ الأول من القـرن الثـاني، فقد قاتل أهل السُّغْد وبخاري والترك مع أشرس بن عبدالله السُّلمي ببيكند سنة عشر ومائة، حين ارتدُّوا عن الإسلام وكفروا، لأن أشرس فرض عليهم الجزية، وتشدَّد في قبول إسلامهم، وأبلى الحارث وفرسان قبيلته من تميم في القتال بلاء حسناً، وعصموا العرب من الهلاك عطشاً[3].

وتنقطع أخبار الحارث بعد ذلك، ثم يظهر بالنُّخذ[4] سنة ست عشر ومائةٍ، وقد اعتقد مذهب مُرْجئة الجبريَّة أصحَّ اعتقادٍ وأشدَّه، ولَبِسَ السَّواد، وسـوَّد راياتـه، وكان السَّواد شعار رسول الله ﷺ. ويخرج على عاصم بن عبدالله الهلالي والي خراسان لهشام بن عبدالملك، ويندفع إلى بلخ، وكان عليها التُّجيبي بن ضبيعة المريُّ، ونصر بن سيَّار اللَّيثي، فيستولي عليها، ويطردهمـا عنهـا. ويزحف منها إلى الجوزجان والفارياب والطالقان ومَرْوِ الرُّوذ، فيسيطرُ عليها جميعاً، ثم يُقْبِلُ إلى مَرْو الشاهجان في ستين ألفاً، ومعـه الأزدُ وتميم، ودهـاقين الجوزجان والفارياب ومرو الشاهجان وملك الـطالقان، فيحاصرها ويكاتبه من بها من العرب، ويتصلون به، ويعلنون

(١) انظر بعض أخباره في تاريخ الطبري ٧: ٩٤ - ١٢٥، ٣٢٩ - ٣٤٢، والعيون والحدائق ٣: ١٨٤، ١٨٨، والكـامـل في التـاريخ ٥: ١٨٣ - ١٨٩، ٣٠٧ - ٣٠٨، ٣٤٢ - ٣٤٦، والبداية والنهاية ٩: ٣١٣، ١٠: ٢٦، والسيادة العربية لفان فلوتن ص: ٦٠-٦٨، وتاريخ الدولة العربية لفلهاوزن ص: ٤٤٢-٤٤٦، ٤٥٩-٤٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠٠.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٥٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٥٠.

(٤) النخذ: ناحية خراسانية بين نواح عدة منها الفارياب وزم واليهودية وآمل.

تأييدهم له. ويرسل إلى عاصم رسلاً يسألونه العمل بالكتاب والسُّنَّة والبيْعة للرِّضا. ويكاد عاصم أنْ يهرب من مِرْو الشاهجان إلى نيسابور، ليستقر بين قومه من قيس، ويكتب منها إلى هشام بن عبدالملك أنْ يمدَّهُ بعشرة آلاف من أهل الشام، ليكافح الحارث ويقضي عليه. ويعتذر له من معه من قادة بني تميم وسادتهم عن مكاتبتهم للحارث، ويعاهدونه على قتاله حتى الموت. ثم يتصدَّوْن للحارث، ويقتلون كثيراً من أصحابه، ويميل من كان معه من الأزد وتميم إلى قبائلهم، ويلتحقون بها، ويؤازرون عاصماً عليه، وينفضُّ عنه من خرج معه من دهاقين خراسان، ويمضون إلى بلادهم، فيعجز عن اقتحام مرو الشاهجان واحتلالها، ويكفُّ عاصم عنه، ويضمن له أنْ يرتحل عنها بأمان[1]. ويقيم الحارث بقرية زرق على مقربة من المدينة، ثم يعود لمحاربة عاصم، ولا يتمكن من قهره والانتصار عليه[2].

وحمل نصر بن سيَّار اللَّيثي في شعره على الحارث ومذهب المرجئة، إذ يقول فيه[3]:

دَعْ عنك دُنْيا وأهلاً أنت تاركهُمْ	ما خيرُ دنيا وأهل لا يدومونا!
إلَّا بقيَّة أيام إلى أجلٍ	فاطلب من الله أهلاً لا يموتونا!
أكثرْ تُقىٰ الله في الإسرار مجتهداً	إنَّ التُّقىٰ خيرُهُ ما كان مكنُونا
واعلمْ بأنَّك بالأعمالِ مُرْتَهَنٌ	فكُن لذاك كثير الهمِّ محزوناً

(١) تاريخ الطبري ٧: ٩٤-٩٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٣-١٨٤.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠١.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ١٠٠.

إني أرى الغَبن المُودي بصاحبهِ من كان في هذه الأيام مغبونا[1]
تكونُ للمرء أطواراً فتمنحهُ يوماً عِشاراً ويوماً تمنحُ اللَّلينا
بينا الفتى في نعيم العيشِ حوَّله دهر فأمسى به عن ذاك مزبونا[2]
تحلو له مرةً حتى يُسَرَّ بها حيناً وتمقرُهُ طعماً أحايينا[3]
هل غابرٌ مِنْ بقايا الدَّهر تنظره إلاَّ كما قد مضى فيما تقضَّونا[4]
فامنح جهادك مَنْ لم يرْجُ آخرةً وكن عدوّاً لقوم لا يُصَلُّونا
واقتلْ مُواليهُمْ منَّا وناصِرَهُمْ حيناً تكفِّرهُمْ والْعَنْهُمُ حِينَا
والعائبينَ علينا دينَنَا وَهُمُ شرُّ العباد إذا خابرْتَهُمْ دينَا
والقائلين سبيلُ الله بُغْيَتُنَا لبُعْدَ ما نكبُوا عمَّا يقولونا[5]
فاقتلْهُمُ غضباً لله منتصراً منهم به ودع المرتاب مفتونا
إرجاؤكُمْ لزَّكُمْ والشِّرْكَ في قَرَنٍ فأنتمُ أهلُ إشْراكٍ ومُرْجونا[6]
لا يبعد الله في الأجداثِ غيركُمُ إذ كان دينكم بالشِّرْك مقرونا[7]
ألقى به الله رعباً في نحوركُمُ والله يقضي لنا الحُسْنى ويعلينَا
كيما نكون المُوالي عند خائفةٍ عمَّا تروم به الإسلام والدِّينا
وهل تعيبون منا كاذبين به غالٍ ومهتضمٍ حسبي الذي فينا
يأبى الذي كان يُبلي الله أوَّلكُمْ على النِّفاق وما قد كان يُبْلينا

---

(١) الغبن: ضعف الرأي. والمودي: المهلك. والمغبون: ضعيف الرأي والعقل والدين.
(٢) المزبون: المدفوع الممنوع.
(٣) تمقره: تجعله مرّاً.
(٤) الغابر: الباقي.
(٥) نكبوا: عدلوا ومالوا.
(٦) لزكم: شدكم وألصقكم. والقرن: الحبل الذي يقرن به بعيرك.
(٧) الأجداث: جمع جدث، وهو القبر.

فهو يُكَفِّرُ الحارث بن سُرَيْجٍ وأنصاره لأنهم اعتنقوا مذهب المرجئة، ويقـرِّر أنهم مشْـركـون فارقوا جماعة المسلمين، لأنهم أخَّروا العمل عن الإيمان، وعطَّلوا الفروض والعبادات. ويحضُّه على الجهاد في سبيل الله، ونشر كلمة الله في الأرض، ومقاتلة الكفَّار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يقيمون الصلاة، ويحاربون العرب المسلمين، ويحاولون دحرهم عن خراسان.

وهو يتَّهم الحارث بأنه من المرجئة الخالصة، ويزعم أنه كان يذهب الى أنَّ الـطاعـة ليست من الإيمان. وذلك وهم، لأن الحارث من مرجئة الجبرية الذين جعلوا العمل جزءاً من الإيمان، وأسَّسوا على ذلك موقفهم من سيرة بني أمية.

وربما كان نصر عالماً بمذهب الحارث، وأنه كان من مرجئة الجبرية، ولكنه أشاع أنه من المرجئة الخالصة مكراً به، وكيداً له، حتى يصرف أنصاره عنه، ويؤلِّبهم عليه، وحتى يمنع العرب بمروْ الشاهجان من الانضمام إليه، ويغريهم بالتَّصدِّي له.

وكـانت خراسـان تابعـة لعامل العراق منذ الفتح إلى أيام هشام بن عبـدالملك، ففصلهـا هشـام عن عامل العراق، وجعلها خاضعة للخليفة بالشام. وفكر عاصم بن عبدالله الهلالي في جسامة الأمر الذي أُلقي على عاتقه، وفي ضخامة المشكلات المالية التي أثارت الموالي من أهل خراسان وما وراء نهر جيْحون، كما أثارت العرب بخراسان أيضاً، ودفعتهم إلى تأييد الموالي، وقدَّر أنْ يقترح على هشام بن عبدالملك أن يردَّ خراسان إلى عامل

العـراق، فكتب إليه[1]: «إنَّ خراسان لا تصلحُ إلاَّ أنْ تُضمَّ إلى صاحب العراق، فتكون موادُّها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب، لتبـاعـد أمير المؤمنين منها، وتباطؤ غياثه عنها». فعزل هشام عاصماً عن خراسان، وكتب إلى خالد بن عبدالله القسري عامل العراق أنْ يبعث أخاه أسداً والياً عليها، ليصلح ما أفسد الحارث من أمرها. وبلغ عاصماً أن أسداً قد أقبل «فصالح الحارث، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أيَّ كور خراسان شاء، وعلى أنْ يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنَّة نبيّه، فإنْ أبىٰ اجتمعا جميعاً عليه[2]». ووافقه رؤساء القبائل من الأزد وتميم على ذلك، وختموا على الكتاب، إلاَّ يحيى بن الحُضَيْن البكري، رئيس بكر، فإنه خالفه، وأبىٰ أنْ يختم، وقال: هذا خلْعٌ لأمير المؤمنين[3]، فلم يتم لعاصم والحارث ما أرادا من الانفصال عن الدولة، والاستقلال بخراسان.

وناصرت فرقة الزَّيْدية من الشيعة ثورة الحارث بن سريج التميمي على بني أمية بخراسان، وبعث الكميت بن زيد الأسدي الكوفي شاعر الزَّيْدية بهذا الشعر إلى أهل مرو الشاهجان[4]:

ألا أبْـلغْ جمـاعـة أهـل مروٍ على ما كان مِنْ نأيٍ وبـعـد
رسـالـة ناصـح يهـدي سلامـاً ويأمـرُ في الـذي ركـبـوا بجـدٍّ
وأبْـلغْ حارثـاً عنَّـا اعـتـذاراً إلـيه بأنَّ مَنْ قبـلي بجـهـدِ

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٩٩، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٦.
(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٠١، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٧.
(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٠١، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٧.
(٤) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٠.

ولــولا ذاك قدْ زارتــك خيلٌ ... مِنَ المضْــرَيْن بالفــرســانِ تَرْدي[1]
فلا تهــنــوا ولا ترضــوا بخــســفٍ ... ولا يغــررْكُــم أســدُ بعــهــدِ
وكــونــوا كالــبــغــايا إنْ خدعتــم ... وإنْ أقــررْتــم ضيمــا لوغــدِ[2]
وإلاَّ فارفــعــوا الــرَّايات سُوداً ... على أهــل الـضَّــلالــة والتَّعــدي
فكيــف وأنــتــم سبــعــون ألــفــاً ... رمــاكــم خالــد بشــبــيه قرد
ومَــنْ ولَّــى بذمَّــتــه رزينــاً ... وشــيعــتــه ولــم يوف بعــهــد[3]
ومَــنْ غشَّى قضــاعــة ثوب خزي ... بقــتــل أبــي سلامــان بن سعــد
فمــهــلاً يا قُضَــاعَ فلا تكُــونــي ... تَوابِــعَ لا أُصُــولَ لهــا بِنَــجْــد[4]
وكــنــت إذا دعــوت بنــي نزار ... أتــاك الــدُّهــم مِنْ سبط وجَعْــدِ[5]
فجــدِّع مِنْ قضــاعــة كلُّ أنــفٍ ... ولا فازت على يوم بمــجــد[6]

فهو يَحُضُّ الحارث وأصحابه من مرجئة الجبرية ومِنْ أوى إليه من العرب مِنْ أهل مرْو الشاهجان على المضيِّ في الثورة، والجدِّ في القتال، والاستبســال في النضــال حتى يقضي على بني أمية، ويقــوِّض دولتهم، ويخلِّص الناس من شرِّهم وظلمهم. ويعتذر إليه عن تخلُّف الزَّيْديَّة من أهل الكوفة والبصرة عن نجدته ومساندته، فهم محاصرون مطوَّقون قد سامهم خالد بن عبدالله القسري سوء العذاب، وأرهقهم من أمرهم عسراً. وما يزال

(١) تردي: تعدو ردياناً، وهو أن ترْجم الخيل الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.
(٢) الوغد: الدنيء.
(٣) ولَّى بذمته رزينا: أقبل عليه ورضي عنه. ورزين الذي ذكر كان خرج على خالد بن عبدالله القسري بالكوفة، فأعطاه الأمان، ثم لم يف به. (تاريخ الطبري ٧: ١٠٠).
(٤) يقال: هذا أصل وغيره توابع: أي له نسب ثاقب، وغيره ملحق به.
(٥) الدّهم: العدد الكثير، والسبط: المسترسل الشعر، وهو كناية عن العجمة، لأن سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس. والجعد: قصير الشعر، وهو كناية عن العروبة، لأن جعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب، يريد مولاهم وصريحهم.
(٦) جدع: قطع.

به يحمِّسه ويبعث الأمل في نفسه، ويربط على قلبه، فقد تكاثف مؤيِّدوه، وأصبحوا جيشاً جراراً يبلغ سبعين ألفاً، واقترب يوم النَّصر. ويحذِّره أنْ يجنح إلى مسالمة أسد بن عبدالله القسري ومفاوضته، وأنْ يطمئن إلى وعوده ومواثيقه، ويخوّفه غدره وخيانته، فهو كأخيه خالد ينقُضُ العهدَ ولا يفي به.

وكان الكميت يتوخَّىٰ من هذا الشعر أن يشغل خالداً بثورة مرجئة الجبرية في خراسان، حتى يحول بينه وبين ملاحقة الزَّيْدية والشيعة في العراق، ويخفِّف وطأته عليهم، وحتىٰ يُهَيِّئَ لهم الفرصة للانتفاض على بني أمية والإدالة منهم[1].

وليس ببعيد أنْ يكون الكميت قد خدع برايات الحارث السُّود، ومناداته بالبيعة للرِّضا، فتوهَّم أنه يريد أن يرجع الخلافة إلى العلويين! وتدل هاشمياته على أنه كان غافلاً عما يدبِّرُ له العباسيون في هذه المرحلة من تاريخ دعوتهم، إذ خُيِّل إليه أنهم وأبناء عمومتهم من العلويين حزبٌ واحد، وأنهم يسعون لردِّ الخلافة إلى العلويين[2]! وقد اغترَّ غيره من شعراء الزيديَّة من مخضرمي الدولتين برايات العباسيين السُّود، ودعوتهم إلى البيعة للرِّضا من آل محمد[3]، فظنّوا أيضاً أنهم يعملون لإعادة الخلافة إلى العلويين[4]!

وقدم أسد بن عبدالله القسري خراسان وما يملك عاصم بن عبدالله الهلالي منها إلَّا مرو الشَّاهجان وناحية نيسابور، فحبس عاصماً لأنه وافق الحارث على خلع الخليفة إن لم يعمل بالكتاب والسُّنَّة، وأخرج عمال

(١) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي ص: ٢٧١-٢٧٢.
(٢) هاشميات الكميت ص: ١١٨
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٨٠، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٨٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٠.
(٤) انظر الشعراء من مخضرمي الدولتين ص: ٢٠٣ - ٢٠٦.

الجُنَيْد بن عبدالرحمن المري القيسيين من السجن، وسوَّى بين اليمانية والرَّبعية والمضرية في الوظائف العسكرية، وتخلَّى عن العصبية القبلية(١).

ثم أخذ يتأهَّب لمناجزة الحارث وقادته الذين استولوا على أكثر مدن خراسان ومدن ما وراء نهر جيحون، ولم يلبث أنْ أرسل عبدالرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الكوفة وأهل الشام إلى الحارث بمرو الرُّوذ، وسار هو إلى خالد بن عبدالله الهجري بآمل، فهزم طلائع المتمردين من أهلها، وألجأهم إلى المدينة، ثم حصرهم، ونصب عليهم المجانيق، فاستسلموا له على أن يعمل بالكتاب والسُّنةِ، وأنْ لا يأخذ أهل المدن بجنايتهم، وولَّى عليهم يحيى بن نعيم الشيباني. ثم توجَّه إلى بلخ، فنزلها، واتخذ منها سفناً، وقصد التِّرمذ، فوجد الحارث يحاصر سناناً الأعرابي السُّلمي بها، ومع الحارث السَّبل ملك الخُتَّل، فعسكر دون النهر، ولم يطق العبور إلى أهل الترمذ، ولا أنْ يمدَّهم فرجع إلى بلخ. وكان بشر بن جرموز الضبيُّ وأبو فاطمة الأزدي ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب التِّرمذ، فيبكون ويشكون بني مروان وجوْرهم، ويسألونهم النزول إليهم على أن يمالئوهم على حرب بني مروان، فيأبون عليهم. فأخفق الحارث في فتحها واحتلالها، وتركه السَّبل وأتىٰ بلاده، وجعل أنصاره يتفرَّقون عنه. ثم خرج إليه أهل التِّرمذ فهزموه وقتلوا عدداً من رؤوس أصحابه وأهل البصائر منهم، فارتحل عنها إلى طخارستان، واستقرّ بها(٢).

ثم فصل أسدٌ من بلخ إلى سمرقند، فلما وصل إلى زمٍّ على نهر جيحون، بعث إلى الهيثم الشيباني، وهو من أصحاب الحارث، وكان

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٠٤، ومعجم الشعراء ص: ١١٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٨.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠٥ - ١٠٦، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٨.

معتصماً بحصن من حصونها، فقال له: إنكم إنما أنكرتم على قومكم من بني أمية سوء سيرتهم، ولم يبلغ ذلك السَّبْي، ولا استحلال الفروج، ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند، ورغَّبه في الطاعة، ورهَّبه من المعصية، فخرج الهيثم إليه، فآمنه، وسار معه إلى سمرقند، فأعطى أهلها عطاءين، ثم ارتفـع إلى ورغسـر، ومـاء سمـرقنـد منها، فَسَدَّ الوادي، وصرفه عن سمرقند[1]. ثم رجع إلى بلخ، وسيَّر منها جديع بن علي الكرماني الأزدي إلى الحارث بقلعة التَّبُوشكان من طخارستان العليا، وكان الحارث نزلها، ولاذ بأصهـاره من بني بَرْزَى التَّغلبيين، فحصرهم الكرماني حتى فتحها، فقتـل مقاتلتهم، وقتل بني بَرْزَى، وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ[2].

واتَّخذ أسدُ بلخ داراً ومقراً في سنة ثماني عشرة، ونقل الدواوين إليها، وغزا طخارستان ففتح وأصاب سبياً[3]. ثم أغار في السنة التالية على الخُتَّل بشاطىء نهر جيحون الشرقي، مقابل بلخ، فاسْتَغاثَ أميرها بخاقان الترك، فأغاثه، فأرسل أمير الخُتَّل إلى أسد يعلمه بقدوم خاقان، وينصح له بمغادرة بلاده لئلا يوقع التُّرك به، فاستجاب أسدُ له بعد تردُّد، وقدَّم الأثقال، فقطعت النهر، ولكن خاقان أدرك من تأخَّر منهم، فقاتلهم، ثم عبر النهر إلى الضفة الغربية، وهاجم مقدِّمتهم التي نزلت بالأثقال في بطن وادٍ، ونجا أسدُ ومَنْ معه مِنَ المقاتلة بمشقة بالغة[4].

وعسكر خاقان بطخارستان، وكان الحارث ما يزال بها، فانضمَّ إلى

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٠٦-١٠٧، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٩.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ١٩٧.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ١١١، والكامل في التاريخ ٥: ١٩٨.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ١١٣-١١٩، والكامل في التاريخ ٥: ٢٠٠-٢٠٢.

خاقان، ثم زحفا إلى الجوزجان، فأجلى أسدٌ العرب منها، وأنزلهم ببلخ، وقاد بنفسه جيشاً كبيراً من أهل فلسطين وقنسرين، وحمص، ودمشق، ومن الأزد، وتميم، وربيعة من أهل خراسان، ومن أهل الجوزجان، وقارع خاقان في مواقع كثيرةٍ، وظل يقارعه حتى هزمه هزيمةً منكرةً، وسبى وغنم. ولبث خاقان بفلوله في طخارستان زمناً، ثم رجع إلى بلاده، ورحل معه الحارث. وبعد رجوعه اغتاله أحد اعوانه، فاختلفت الترك وتشتّت، وعاد أسدٌ إلى بلخ[1]. فضعف جانب الحارث، وأقام ببلاد الترك حتى توفي أسد سنة عشرين ومائة.

ثم وَلِيَ نصر بن سيار اللَّيثي خراسان، فاستهلَّ ولايته بمقاتلة الترك، إذ غزا ما وراء نهر جيحون من جهة باب الحديد، ثم قصد سمرقند، ثم سار منها إلى الشاش، فمنعه كور صول التركي، والحارث بن سريج التميمي من قطوع نهر الشاش، وكان مع نصر جيش كبير من القبائل الخمس بخراسان، ومن أهل الشام، وكان معه أهل بخارى وسمرقند وكسٌّ وأشروسنة، وهم عشرون ألفاً، فظهر على كور صول التركي وأسره، ثم قتله وصلبه وأحرقه. وسار إلى الشاش، فاعترض الحارث طريقه، ونصب المجانيق على جيشه، فكانت تلقاء بني تميم، فنقلها فنصبها على الأزد أو على بكر بن وائل، ورماهم بها. ولكنه أقلع بعد حين عن مجابهة نصر نفوراً من مقاتلة جنده من تميم، وصيانة لدمائهم، وحماية لحياتهم، فهم والحارث أبناء قبيلة واحدة، وهم جميعاً أهل حميّة لأنفسهم، وعصبيّة على أعدائهم. فسهل ذلك الأمر على نصر، وأتاح له اجتياز النهر، فتلقّاه ملك الشاش بالصُّلح والهدية والرُّهن، وكان من شروط الصلح أنْ يخرج الحارث من بلده، فأخرجه إلى

---

(1) تاريخ الطبري ٧: ١١٩ـ١٢٥، والكامل في التاريخ ٥: ٢٠٣ـ٢٠٥.

فاراب وراء نهر سيحون. ومضى نصر إلى فرغانه، فصالحه صاحبها، ثم عاد نصر إلى مرو الشاهجان[1].

وأخذ الحارث يشيع في أنصاره من العرب والموالي أنه المهديُّ الذي بعثه الله لإنقاذ المضطهدين وإنصاف المظلومين[2]. ومن المحتمل أنه وضع حديثاً في ذلك تأكيداً لزعمه، وتوطيداً لدعوته، وهو حديث مشهور رواه أبو داود فقال: [3] «يخرج رجل وراء النهر يقال له الحارث، حرَّاثٌ على مقدِّمته رجل يقال له: منصور، يوطِّىء أو يمكِّن لآل محمدٍ كما مكَّنت قريش لرسول الله ﷺ، وجب على كل نصره».

ولبث الحارث في منفاه بفاراب ستَّ سنين، حتى إذا وقعت الفتنة بين اليمانية والربعية وبين المضرَّبة بمرو الشاهجان سنة ستٍّ وعشرين ومائةٍ، واندلعت الحرب بينهم، وجعل بعضهم يفني بعضاً، خاف نصر أنْ يستغل الحارث اضطراب الأمر بخراسان، فيهجم عليه بأنصاره من العرب والموالي ومن التُّرك، فيزيده ضعفاً على ضعف، بعد أنْ نابذه جُدَيْعُ[4] بن علي الكرماني رئيس الأزد، وثار عليه، فقرَّر أنْ يؤمن الحارث، وطمع في مناصحته ومساعدته على خصومه من اليمانية وحلفائهم من الربعية. فأرسل إليه وفداً ليردُّوه عن بلاد الترك، وبعث إلى يزيد بن الوليد بن عبدالملك يسأله أن يعفو عنه ويؤمِّنه. فأجابه إلى ما سأل، وكتب إلى الحارث كتاباً بذلك، يقول فيه: «أما بعد، فإنا غضبنا لله، إذ عطِّلت حدوده، وبُلِغ بعباده

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٧٣-١٧٨، والكامل في التاريخ ٥: ٢٣٦-٢٣٩.

(٢) السيادة العربية ص: ٦٢، ١٢٧.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٤٧٧، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١: ٢٨، وتاريخ ابن خلدون ١: ٥٥٩، ومختصر تذكرة القرطبي ص: ١٣٣.

(٤) انظر ضبط اسمه في الاشتقاق ص: ٥٠٢، وجمهرة أنساب العرب ص: ٣٨١.

كل مبلغ، وسفكت الدماء بغير حلِّها، وأُخذت الأموال بغير حقِّها، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جلَّ وعزَّ، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، ولا قوَّة إلا بالله، فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمناً أنت ومن معك، فإنكم إخواننا وأعواننا. وقد كتبت إلى عبدالله بن عمر عبدالعزيز بردّ ما كان اصطفى من أموالكم وذراريكم»[1].

ووافى الحارث مرو الشاهجان لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة، فاستقبله نصر، وبالغ في ملاطفته والاحتفاء به، «فأنزله قصر بخاراخذاه، وأجرى عليه نزلاً خمسين درهماً في كل يوم، . . . وأطلق من كان عنده من أهله، أطلق محمد بن الحارث، والألوف بنت الحارث، وأم بكر»[2]. وأرسلت إليه امرأة نصر لباساً من فراء ثمين ليستدفىء به من البرد، فباعه بأربعة آلاف دينار، وقسمها في أصحابه بالسَّويَّة»[3]. وكان يجلس على برذعة وتثنى له وسادة غليظة. وعرض نصر عليه أن يولِّيه ويعطيه مائة ألف دينار، فلم يقبل، وأرسل إلى نصر: «إني لست من هذه الدنيا، ولا من هذه الملذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسأل كتاب الله عزَّ وجلَّ، والعمل بالسُّنَّة، واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلت ساعدتك على عدوُّك»[4]. وأرسل إلى الكرماني: «إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله، وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدته وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل استعنت بالله عليه، وأعنتك إن ضمنت لي ما أريد من

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢٩٣-٢٩٤، والكامل في التاريخ ٥: ٣٠٧-٣٠٨.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٧.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٨، وانظر البداية والنهاية ١٠: ٢٦.

القيام بالعدل والسُّنَّة»[1].

وكان الحارث كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه، فبايعه نفر من سادتهم، فيهم بشر بن جرموز الضَّبيُّ، وانضم إليه ثلاثة آلاف من أهل مرو الشاهجان[2]. وظلّ يناوىء نصراً، ويأبى أن يدخل في طاعته كلما سأله ذلك. ويقول له: «خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور، وأنت تريدني عليه»!

فلمّا توفِّي يزيد بن الوليد بن عبدالملك، واستخلف مروان بن محمد، وبايع نصر له، توجَّس الحارث ريبة، وخشي أنْ يغدر به، فقال لنصر: إنما آمنني يزيد بن الوليد، ومروان لا يجيز أمان يزيد، فلا آمنة. فدعاه نصر إلى البيعة فامتنع. وكان نصر حريصاً على اكتساب مودة الحارث، مخلصاً في السَّعي لاستمالته إليه، حتى لا تتصدَّع صفوف بني تميم، ولا تختلف كلمتهم، وهم أكثر المضرية عدداً، وأشدهم بأساً، وهم سند نصر، وأقوى مؤيِّديه الذين يعتمد عليهم في مقاومة خصومه من اليمانية والربعية. فسفر بينهما السفراء من سادة بني تميم، وألحُّوا على الحارث أن يتابع عشيرته في مؤازرة نصر، وأن لا يفارق أمرها، ولا يشتت جماعتها، فلم يوافقهم على ما أرادوا، وقال لهم[3]: «اني لأرى في يد الكرماني ولايةً، والأمر في يد نصر».

ثم خرج الحارث إلى حائط، بإزاء القصر الذي كان ينزل به فعسكر، وقال لنصر: «اجعل الأمر شورى»، فأبى، فانتقل الحارث إلى دور أصحابه

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٨.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٠.

فتحصَّن بهـا، وكتب سيرته وما يدعو إليه، وأمر دعاته أن يقرأوها للناس، فقرأوها، فلما سمعوها انضافوا إليه، فكثر من معه ومن تبعه[1].

وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السُّود، فأرسل إليه نصر: «إن كنت كما تزعم، وأنكم تهدمون سور دمشق، وتزيلون أمر بني أمية، فخذ مني خمسمائة رأس، ومائتي بعير، واحمل من الأموال ما شئت، وآلة الحرب وسِرْ، فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك. وإن كنت لست ذلك، فقد أهلكت عشيرتك! فقال الحارث: قد علمت أنَّ هذا حقٌّ، ولكن لا يبايعني عليه من صحبني. فقال نصر: فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك، ولا لهم مثل بصيرتك، وأنهم هم فسّاق ورعاع، فاذكر الله في عشرين ألفاً من ربيعة واليمن سيهلكون فيما بينكم، وعرض نصر على الحارث أن يولِّيه ما وراء النهر، ويعطيه ثلاثمائة ألف، فلم يقبل. فقال له نصر: فإن شئت فابدأ بالكرماني، فإن قتلته فأنا في طاعتك، وإن شئت فخلِّ بيني وبينه، فإن ظفرت به رأيت رأيك، وإن شئت فسر بأصحابك، فإذا جزت الرَّيَّ فأنا في طاعتك»[2].

ولـم يزل الحارث ونصر يتراسلان على ما بينهما من تباعد في الرأي، واختلاف في الغاية حتى اتّفقا على أن ينتخبا رجالاً يسمُّون لهما قوماً يعملون بكتاب الله. فاختار نصر مقاتل بن سليمان البلخي، ومقاتل بن حيان النبطي البلخي، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي، ومعاذ بن جبلة. وأمر نصر كاتبه أنْ يكتب ما يرضون من السُّنن، وما يختارونه من العمَّال، فيولِّيهم الثَّغرين: ثغر سمرقند، وثغر طخارستان، ويكتب إلى مَنْ عليهما ما يرضونه

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٠، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣١٠٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٣، والبداية والنهاية ١٠: ٢٦.

من السِّير والسُّنن(١).

ثم تناظر الحارث ونصر، فتراضيا أنْ يحكم بينهم مقاتل بن حيان، وجَهَم بن صفوان، فحكما بأن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى، فلم يقبل نصر (٢). فخالفه الحارث، وأمر أن تقرأ سيرته في الأسواق والمساجد، فقرئت، فانضم إليه خلقٌ كثيرٌ، وقرأها رجلٌ على باب نصر، فضربه غلمان نصر، فنابذه الحارث، وأعلن أنه عزم على محاربته، ثم اقتحم مرو الشاهجان، واستولى على بعض أحيائها، وأرسل إلى نصر: «إنا لا نرضى بك إماماً، فأرسل إليه نصر: كيف يكون لك عقلٌ، وقد أفنيت عمرك في أرض الشِّرك، وغزوت المسلمين بالمشركين! أتراني اتضرَّع إليك أكثر مما تضرَّعت»! ثم ناجزه قادة نصر، فاستردُّوا ما استولى عليه، وهزموه، وأسروا بعض دعاته فقتلوهم(٣). فتحوّل الحارث إلى الكرماني، فبايعه، وقاتل معه المضريَّة حتى سيطر على أكثر نواحي مرو الشَّاهجان(٤).

وعندما تقهقر المضرية وانكسروا أخذت الحارث العزَّة بالعصبية القبلية لقومه من بني تميم، فعدل عن مظاهرة الكرماني ومساعدته على نصر والمضرية، وأرسل إلى نصر: «إنَّ اليمانية يُعَيِّرونني بانهزامكم، وأنا كاف، فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرماني، فبعث إليه نصر يزيد النَّحْوي يتوثَّق منه أنْ يفي له بما أعطاه من الكفِّ. ويقال: إنما كفَّ الحارثَ عن قتال نصر أنَّ عمران بن الفضل الأزدي وأهل بيته، وعبدالجبار العدوي، وخالد بن عبيد الله بن حبيب العدوي، وعامة أصحابه نقموا على الكرماني فعله بأهل

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣١، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢.
(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣١، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٣، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦.
(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣٤-٣٣٥، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٤، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦.
(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣٦، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٤.

التَّبوشكان، وذلك أنَّ أسداً وجَّهه إليهم، فنزلوا على حكم أسد، فبقر بطون خمسين رجلا، وألقاهم في نهر بلخ، وقطع أيدي ثلاثمائة منهم وأرجلهم، وصلب ثلاثة، وباع أثقالهم فيمن يزيد، فنقموا على الحارث عونه الكرماني، وقتاله نصراً»[1].

ولكن نصراً عزم على الرَّحيل عن مروالشاهجان، لأنه استنتج أنَّ مضر لا تجتمع له ما كان الحارث مع الكرماني، فتنحَّى عنها إلى نيسابور، وأخذ ينتظر أنْ يختلف الحارث والكرماني ويتنازعا، وأنْ يفتك أحدهما بالآخر. فخلصت المدينة للكرماني، فدمَّر منازل المضرية، وسلب أموالهم، فأنكر الحارث عليه هدم الدور، وانتهاب الأموال، فهمَّ الكرماني به، ثم تركه[2].

وكان بشر بن جرموز الضَّبيُّ أكبر أنصار الحارث، فعاب مساندته للكرماني، وتورُّطه في العصبية القبلية، وغفلته عن مبادىء مرجئة الجبرية، وما يبتغون من العمل بكتاب الله وسنَّة نبيِّه، وانشقَّ عنه، وقال له:[3] «إنما قاتلت معك طلبَ العدل، فأما إذ كنت مع الكرماني، فقد علمتُ أنك تقاتل ليقال: غلب الحارث! وهؤلاء يقاتلون عصبية، فلست مقاتلاً معك! واعتزل في خمسة آلاف وخمسمائة، ويقال: في أربعة آلاف، وقال: نحن الفئة العادلة، ندعوا إلى الحقِّ، ولا تقاتل إلَّا مَنْ يقاتلنا».

فتزعزع موقف الحارث، فأتى الكرماني فدعاه إلى أنْ يكون الأمر شورى، فأبى، ثم سار الكرماني إلى بشر بن جرموز الضَّبيِّ خارج المدينة، فعسكر الحارث مع الكرماني، وصمَّم الكرمانيُّ على قتال بشر، فنهاه

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٥.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٥.

الحارث، وندم على اتِّباعه، وقال له: لا تعجل إلى قتالهم، فإني أردُّهم إليك، وخرج إلى عسكر بشر، فأقام معهم، وقال لهم: ما كنت لأقاتلكم مع اليمانية! وجعل المضريون ينسلون من عسكر الكرماني إلى الحارث، حتى لم يبق معه منهم غير رجلين اتَّهما الحارث بالغدر. فقاتل الكرماني بِشْرَ بن جرموز الضبيَّ مراراً، فلم ينتصر عليه. فارتحل الحارث فنقب سور مرو الشاهجان ودخلها، وتبعه الكرماني فدخلها أيضاً. وترجَّل الحارث على كره منه، فاقتتل المضرية والكرماني، فقتل الحارث وأخوه، وبِشْرَ بن جرموز الضبيُّ، وعدة من فرسان تميم، وانهزم الباقون، وصلب الحارث على باب المدينة يوم الأحد لستٍ بقين من رجب سنة ثمان وعشرين ومائة(١). واحتاط الكرماني على حواصله وأمواله، وأخذ أموال من خرج معه(٢). وصفت المدينة لليمانية، فهدموا دور المضرية، وتسلَّطوا عليهم وأهانوهم واستعبدوهم.

وبذلك أخفقت أكبر ثورة لمرجئة الجبرية بخراسان، وصرع زعيمها، وجماعة من دعاتها وقادتها، وطائفة من جنودها وحماتها(٣). وما كان لها أنْ تنجح، لأن نصر بن سيَّار الَّليثي آخر ولاة بني أمية على خراسان حاول أنْ ينهي المنافسة بين القبائل العربية في الوظائف السياسية، والفوائد المادية، وكانت أهم الأسباب التي أدَّت إلى افتراقها وتصادمها، فقد عزف عن العصبية القبلية بعد أربع سنوات من ولايته، ونزع عن التَّحيُّز للمضرية ومحاباتهم، والتَّحزُّب على اليمانية واضطهادهم، وأشرك جميع القبائل في الحكم، وقسم فيها المناصب، وسوَّى بينها في الحقوق، ووزَّع عليها

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٤١، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٦.

(٢) البداية والنهاية ١٠: ٢٧.

(٣) ذكر ابن كثير أنه قتل مائة من أصحاب الحارث. (انظر البداية والنهاية ١٠: ٢٧).

المنافع[1]. وكان قد افتتح ولايته بحلّ المشكلات المالية المستفحلة التي كان الموالي يعانون منها، وكانت أقوى الدوافع التي حملتهم على التبرُّم والتَّسخُّط والثورة، فرفع الجزية عمن أسلم منهم، وحوَّلها إلى أهل الذِّمة، ثم صنَّف الخراج حتى وضعه مواضعه، ثم وظَّف الوظيفة التي جرى عليها الصُّلح[2]. فاستقامت أحوال الموالي وحسنت وانتعشت، وقلَّ تضجُّرهم وتمرُّدهم. ولذلك كانت استجابتهم لدعوة الحارث ضعيفة فاترة، فلم يؤيدوه حين خرج على نصر بن سيَّار اللَّيثي كما أيدوه حين خرج على عاصم بن عبدالله الهلالي، بل ابتعد أكثرهم عنه، ولزموا الحيدة.

وأفضى بها إلى الإخفاق اشتعال العصبية القبلية بخراسان في آخر ولاية نصر، وقد اجتهد الحارث أنْ يستفيد منها، فتنقَّل بين اليمانية والمضرية، واستغل اختلافهم وتنازعهم، فالتحق بالكرماني، وآزر اليمانية، وخاصم قومه من المضرية، ثم كبر عليه أن يقاتل قومه مع الكرماني، فانفصل عنه، وحاربه مع المضرية. وبذلك انحرف عن تعاليم مرجئة الجبرية وأهدافهم، وشغل عنها، وظل يمالىء قومه، ويتعصَّب لهم، حتى لقي حتفه وهو يناضل عنهم! ونجم عن ذلك تفرُّق أنصاره، وانفضاضهم من حوله، ولومهم له، وتنديدهم به. ونجم عنه أيضاً انصراف كثير من العرب والموالي عن الإيمان بدعوته، والانضمام إليه، والقتال معه!! وكان الموالي خاصةً في ريب مما يدعو إليه، لأنهم أبصروا التناقض بين قوله وعمله، فقد كان يرفع الشعارات الإسلامية، ويمنّي بتطبيقها، وكان يخضع للعصبية القبلية، وينهمك فيها، ولا ينجو من سلطانها، ولا يتخلَّص من تأثيرها،

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٥٧، ٢٧٨، والكامل في التاريخ ٥: ٢٢٧، ٢٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٧٣، والكامل في التاريخ ٥: ٢٣٦.

فكـانت دعوته دون ما يرجون من التغيير والإصلاح، فأحجموا عن اعتناق مقالته، وأعرضوا عن الانتظام في ثورته، وتخلَّفوا عن نصرته!

وانتهى بهـا إلى الإخفاق أيضاً أنَّ دعاة بني العباس كـانـوا وردوا خراسان منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً، فقد انبثُّوا في مدنها وقراها سنة مائة، وأخذوا يؤلِّبون الناس على بني أمية، ويبشِّرون بحكومة إسلامية، ويدّعون للرِّضـا من آل محمـدٍ. فاستهـووا بأفكـارهـم الإسـلامية العـرب والموالي المتـذمِّرين النَّاقمين وتألَّفوهم، ثم اجتذبوهم إلى صفوفهم واستوعبوهم. وكانت الدعوة العباسية في آخر مراحلها السريَّة حين عاد الحارث بن سريج التميمي إلى مرو الشاهجان، وكان شيعتها مؤمنين بمبادئها إيماناً عميقاً، وكانوا مرتَّبين ترتيباً دقيقاً(١). وكانت شعارات الحارث وراياته تشبه شعارات بني العبـاس وراياتهم، فلم يكن فيها أفكار جديدة سديدة تغري بالإقبال عليها والتَّحوُّل إليها إلاَّ مناداته بأن يكون الأمر شورى بين المسلمين. وكانت دعوته أقل من دعوتهم في التنظيم والإحكام، فثبَّط ذلك الناس عن الاعتقاد بهـا والـدِّفاع عنها. ولكن تشتُّت أفكاره وتضاربها، وتذبذبه بين المبادىء الإسـلامية والعصبية القبلية زاد من تعلُّقهم بدعوة بني العباس، وإيمانهم بها، وإخلاصهم لها، فلم يكترثوا لدعوته وثورته، ولم يعبأوا بمصيره ونهايته. ومضى دعـاة بني العبـاس وقـادتهم يتربَّصون به، وينتفعون بانغماسه في العصبيَّة القبليَّة، وتمـزيقـه لوحـدة العـرب، وإنهـاكه لقوتهم، واستهلاكه لطاقتهم، ومعاداته لبني أمية، ومناهضته لعاملهم على خراسان، حتى يحين الوقت لإعلان ثورتهم، وتأسيس دولتهم!

(١) انظر في الدعوة العباسية العصر العباسي الأول للدكتور عبدالعزيز الدوري ص: ٢٠، والعباسيون الأوائل للدكتور فاروق عمر ص: ٣٣، والعصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص: ٩، والشعراء من مخضرمي الدولتين ص: ٧٩.

وقد تبيّن نصر بن سيَّار الَّليثيُّ وأَحَدُ خاصَّته ممن لهم صلة بدعاة بني العباس أنَّ ثورة الحارث مهَّدت السبيل لانتهاء الدولة الأموية، وابتداء الدولة العباسية، قال أبو جعفر عيسى بن جرز[1] لنصر حين وفد إلى نيسابور، وعاتب مَنْ بها من اليمانية على ما صنع الكرماني، ولامَهُ اليمانية على تقديمه للمضرية[2]: «أيها الأمير، حسبك من هذه الأمور والولاية، فإنه قد أطلَّ أمر عظيم، سيقوم رجل مجهول النَّسب، يظهر السَّواد، ويدعو إلى دولة، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون! فقال نصر: ما أشبه أنْ يكون، لقلَّة الوفاء، واستجراح[3] الناس، وسوء ذات البين، وجّهتُ إلى الحارث وهو بأرض التُّرك، فعرضت عليه الولاية والأموال فأبى وشغب، وظاهر علي. فقال أبو جعفر عيسى: إن الحارث مقتول مصلوب، وما الكرماني من ذلك ببعيد»!

وقال نصر يعبِّر عن فرحته ومسرَّته بقتل الحارث وصلبه، لأنه انحاز إلى اليمانية، وأساء إلى العرب، وأضرَّ بهم، ومكَّن اليمانية من قهر المضرية، وهم عدَّة الدولة الأموية وسندها في آخر عهدها[4]:

يامدخل الذُّلَّ على قومه ... بعداً وسحقاً لك من هالك
شُؤْمك أردى مُضَراً كلَّها ... وعضَّ مِنْ قومك بالحارك[5]
ما كانت الأزد وأشياعها ... تطمع في عمرو ولا مالك[6]

---

(١) هو من أهل قرية على نهر مرو. (انظر تاريخ الطبري ٧: ٢٣٨).

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٨، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٥.

(٣) استجرح: استحق أن يجرح.

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٤٢، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٦، والبداية والنهاية ١٠: ٢٧.

(٥) عض كسر والحارك: أعلى الكاهل.

(٦) بنو عمرو ومالك وسعد من عشائر بني تميم الكبيرة القوية.

ولا بنـي سعـد إذا ألـجَـمُـوا كلُّ طمـرٍ لونـه حالـك[1]

ومن مرجئة الجبرية بخراسان في العصر الأموي إبراهيم بن طهمان الهرويُّ النِّيسابوريُّ البغداديُّ ثم المكيُّ المتوفى سنة ثلاث وستين ومائة[2]، وهـو من كبـار رجـالهم[3]. قال أبو الصَّلْت عبدالسلام بن صالح القرشي الهروي[4]: سمعت سفيان بن عينية يقول[5]: «ما قدم علينا خراساني أفضل من أبي رجاء عبدالله بن واقد الهروي. قلت له: فإبراهيم بن طهمان؟ قال: كان ذاك مرجئاً. قال أبو الصلت: لم يكن إرجاؤهم هذا المذهب الخبيث: أنَّ الإيمان قول بلا عمل، وأنَّ ترك العمل لا يضرّ بالإيمان، بل كان إرجاؤهم أنهم كانوا يرجون لأهل الكبائر الغفران، ردّاً على الخوارج وغيرهم الذين يكفِّـرون النـاس بالـذُّنوب، فكانوا يرجون، ولا يكفّرون بالذّنوب، ونحن كذلك». وقال ابن حجر العسقلاني[6]: «لم يثبت غلوّه في الإرجاء، ولا كان داعية إليه». وكان شديداً على الجهميّة المعطّلة[7]، وقد نقل أهل سرخس من قول جهم بن صفوان مولى بني راسب إلى الإرجاء[8].

---

(١) الطمر: الفرس الجواد المستفز للوثب المستعد للعدو.

(٢) انظر ترجمته في طبقات خليفة بن خياط ص: ٨٣٥، والتاريخ الكبير ١:١:٢٩٤، والجرح والتعديل ١:١:١٠٧، وتاريخ بغداد ٦:١٠٥، والكامل في التاريخ ٦:٦٢، وميزان الاعتدال ١:٣٨، والبداية والنهاية ١٠:١٤٦، وتهذيب التهذيب ١:١٢٩، وتقريب التهذيب ١:٣٦، وشذرات الذهب ١:٢٥٧.

(٣) تاريخ بغداد ٦:١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، وميزان الاعتدال ١:٣٨، وتهذيب التهذيب ١:١٣٠، وتقريب التهذيب ١:٣٦، وشذرات الذهب ١:٢٥٧.

(٤) ذكر ابن حجر العسقلاني عن شيوخه أنه روى حديث: «الإيمان إقرار بالقول»، وهو متّهم بوضعه، لم يحدث به إلاّ من سرقه منه، فهو الابتداء في هـذا الحديث». (انظر تهذيب التهذيب ٦:٣٢١).

(٥) تاريخ بغداد ٦:١٠٩.

(٦) تهذيب التهذيب ١:١٣١، وانظر تاريخ بغداد ٦:١١٠، وتقريب التهذيب ١:٣٦.

(٧) تاريخ بغداد ٦:١٠٨، وميزان الاعتدال ١: ٣٨، وتهذيب التهذيب ١:١٣٠.

(٨) تاريخ بغداد ٦:١٠٧، ١٠٩.

ومنهم أبو حمزة محمد بن ميمون السُّكريُّ[1] المروزيُّ المتوفي سنة ثمان وستين ومائة أو قبلها[2]، قال ابن سعد[3]: «كان قديماً»، يريد أنه كان من المعمَّرين، عاش في الدولة الأموية زمناً طويلاً، وعاش في الدولة العباسية حوالي خمسة وثلاثين عاماً. وقال أبو حاتم الرازي[4]: «شيخان من خراسان مرجئان ثقتان أبو حمزة السكري وإبراهيم بن طهمان».

وكان يؤمِّل الصَّفح والعفو عن أهل الكبائر والمعاصي[5]، ولا يفصل بين العمل والإيمان، وكان شيخ بلده في الحديث والفضل والعبادة[6]. وقد التبس أمره على بعض العلماء من أهل بلده، فظنُّوا أنه من الجماعة، وعدّوه من السّلف الصالح، ونفوا أن يكون من المرجئة، قال علي بن الحسن بن شقيق المروزيّ[7]: «سئل عبدالله بن المبارك عن الأئمة الذين يقتدىٰ بهم؟ فذكر أبا بكر وعمر حتى انتهى إلى أبي حمزة، وأبو حمزة حيٌّ». وقال يحيى بن أكثم التميمي المروزي[8]: «سئل ابن المبارك عن الاتباع؟ فقال: الاتباع ما كان عليه حسين بن واقد، وأبو حمزة». وقال علي بن الحسن بن

---

(١) لقّب بالسكري لحلاوة منطقه وكلامه، لا لأنه كان يبيع السكر. (انظر ميزان الاعتدال ٤: ٥٣، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧، وشذرات الذهب ١: ٢٦٤).

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨٤١، والتاريخ الكبير ١: ١: ٣٤، والجرح والتعديل ٤: ١: ٨١، وميزان الاعتدال ٤: ٥٣، والبداية والنهاية ١٠: ١٥٠، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٨٦، وتقريب التهذيب ٢: ٢١٢، والنجوم الزاهرة ٢: ٥٦، وشذرات الذهب ١: ٢٦٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١.

(٤) تاريخ بغداد ٦: ١٠٨.

(٥) ذلك أحد معاني الإرجاء، وهو إعطاء الرجاء، (انظر الملل والنحل ١: ١٢٥).

(٦) شذرات الذهب ١: ٢٦٤.

(٧) تهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧.

(٨) تهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧.

شقيق المـروزي[1]: «قيل لابن المبـارك: من الجماعة؟ قال: محمد بن ثابت، والحسين بن واقـد، وأبـو حمزة السكري». قال أحمد بن شبويه الخزاعي المروزي»[2]: «ليس فيهم شيء من الإرجاء».

أولئك هم أشهر رجال المرجئة بخراسان في العصر الأموي، وأقلهم من المرجئة الخالصة، وأكثرهم من مرجئة الجبرية. ولم تكن خراسان مهيّئة لانتشار مذهب المرجئة الخالصة وذيوعه فيها، إذ كان لها مشكلاتها السياسية والاجتماعية والمالية المتأصّلة الفادحة. وهي مشكلات كانت تَتطلَّبُ عنايةً بالغةً عاجلةً، ولا تَحْتمل مُخادعةً ولا مُمَاطَلةً، وكان حَلُّها يَسْتَدْعي قراراتٍ عادلةً فاصلةً. ولم يكن المرجئة الخالصة أهلاً لذلك، لأن فكرهم السياسي كان سقيمـاً عقيمـاً، وعـاجـزاً قاصراً، وكان أصحابه مسالمين محايدين، وصامتين متخاذلين. وقد ساقهم تأخيرهم العمل عن الإيمان إلى التحرّج من تقويم أعمال العباد، وترك الحكم عليها لله يوم القيامة. وكان سكوتهم عن بني أمية، وإعراضهم عن نقد سيرتهم، وإحجامهم عن التشهير بمفاسدهم ومساوئهم أقرب إلى القبول بهم والرِّضا عنهم، وأشبه بالميل إليهم والانتصار لهم.

وإنمـا كانت خراسـان بيئـة صالحـة لازدهار مذهب مرجئة الجبرية وشيوعه فيها، لأنَّ فكرهم السياسي كان سليما قويماً، وراشداً قاصداً، وكان أصحابه ثائرين مقاتلين، ومتمرّدين مناضلين. وقد قادهم وصلهم بين العمل والإيمان إلى النّظر في أعمال العباد ومحاسبتهم، فكانوا يعلنون رأيهم في المسائل الجليّة البيّنة، ويحترسون من التَّعَرُّض للحُكْم في القضايا الغامضة

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٣٧٣.
(٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٣٧٣.

المبهمة. وكانوا يعرفون أحوال خراسان السيئة، ومشكلاتها المتفاقمة، فتصدّوا لها، وصارحوا عمّال بني أمية القول فيها، وصدقوهم النّصح في حلّها. فلما عجزوا عن إقناعهم بخطرها، ولم يتمكّنوا من دفعهم إلى إصلاحها، خرجوا عليهم وعلى بني أمية، وأسرع أهل خراسان من العرب والموالي إلى الانضمام إليهم، وهبّوا إلى تأييدهم، ودعوا إلى العدل السياسي والإجتماعي والمالي، فقد وجدوهم يتجاوزون تعاليم الإسلام في الحكم، ويبتدعون نظام ولاية العهد، ويستبدّون بأمر المسلمين، ويتوارثون الخلافة، ويتعاقبون عليها، حتّى حولوا الإمامة إلى ملك كسرويّ، والخلافة إلى منصب قَيْصَريّ(١)، فنادوا بأن تكون الخلافة شورى بين المسلمين، يتقلّدها أجدرهم بها، وأقدرهم عليها. وقد دعا الحارث بن سريج التميمي إلى البيعة للرِّضا(٢) من الأمّة(٣)، وإلى جعل الأمر شورى بين المسلمين(٤)، فوافق في ذلك الخوارج(٥) والقدريّة(٦)، وخالف أهل السُّنّة والجماعة الذين كانوا يرون أنَّ النَّسب شرط في الخلافة، وأنها لا تصلح إلاَّ في قريش(٧).

---

(١) كتاب استحقاق الإمامة برسائل الجاحظ للسندوبي ص: ٢٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٩٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٣.

(٣) يرى فان فلوتن أنّ العبارة يجب ان تكون: «البيعة للرّضا من آل النبي». (انظر السيادة العربية ص: ٦٣). ولا حجة له على ما ذهب إليه، وقد أورد الطبري وابن الأثير العبارة خالية من الزيادة التي اقترحها. والعبارة كما يراها شعار بني العباس خاصة لا شعار مرجئة الجبرية!! (انظر الأخبار الطوال ص: ٣٣٥).

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٠، ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢، ٣٤٥. وذكر المسعودي أن أكثر المرجئة يذهبون إلى أن الإمامة لا تجوز إلاّ في قريش فقط. (انظر مروج الذهب ٣: ٢٣٧).

(٥) مروج الذهب ٣: ٢٣٦، والملل والنحل ١: ١٠٧، وشرح نهج البلاغة ٩: ٨٧.

(٦) الملل والنحل ١: ١٢٧.

(٧) الفرق بين الفرق ص: ٢١١، ومقالات الإسلاميين ٢: ١٣٥، ومروج الذهب ٣: ٢٣٧، وشرح نهج البلاغة ٩: ٨٧.

وأَلْفَوْهُمْ يفرّقون بين المسلمين من العرب والعجم، ويقدّمون العرب على الموالي، فطالبوا بالمساواة بين الفريقين في المكانة الاجتماعيّة، وفي الوظائف الإداريّة والعسكريّة.

وأبصروهم يميّزون بين العرب والموالي في الشؤون الماليّة، فنادوا بمعاملتهم جميعاً معاملةً واحدةً، وبوضع الجزية عمن أسلم من العجم، وفرضها على أهل الذمّة. وقد صوّب ثابت قطنة الأزديّ، والحارث بن سريج التميمي شكوى الموالي من جور عمّال بني أمية في جباية الجزية ممن دخل من العجم في الإسـلام، وتجبّرهم في استخراجها منهم، وثار كلٌّ منهما مؤازرةً للموالي، وانتصافاً لهم، وردّا للظُّلم عنهم!

مصـــادر البحـــث ومراجعـــه

(١) أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول من موالي العباسيين من رجال القرن الثالث، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور عبدالجبار المطلبي، طبع دار الطليعة بيروت ١٩٧١.

(٢) الأخبـار الـطوال، لأبي حنيفـة الـدينـوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق عبدالمنعم عامر، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.

(٤) أسـد الغـابـة في معـرفـة الصحابة، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، نشر المكتبة الإسلامية ببيروت.

(٥) الاشتقاق، لابن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، طبع مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.

(٧) الأغـاني، لأبي الفـرج الأصفهـاني (ت٣٥٦هـ)، طبـع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٨) الإمامة والسياسة، لمؤلف مجهول من أهل المشرق من رجال القرن الثالث، طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٩.

(٩) أنساب الأشراف، القسم الثاني، أبو طالب وولده، للبلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت ١٩٧٤.

(١٠) أنساب الأشراف، الجزء الخامس، للبلاذري (ت٢٧٩هـ)، اعتنى بنشره غويتين، طبع القدس ١٩٣٦.

(١١) أنساب الأشراف المخطوط، للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، مصوّرة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول رقم ٥٩٧ـ٥٩٨.

(١٢) البدء والتاريخ، للمقدسي (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع) اعتنى بنشره كلمان هوار، طبع باريز ١٨٩٩ ـ ١٩١٩.

(١٣) البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير (ت٧٧٤هـ) طبع مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦.

(١٤) البيان والتبيين، للجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق حسن السندوبي، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢.

(١٥) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر١٩٦٣.

(١٦) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، للدكتور شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥.

(١٧) تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، الترجمة العربية، طبع دار المعارف بمصر.

(١٨) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للذهبي (ت٧٤٨هـ) نشر مكتبة القدسي بالقاهرة.

(١٩) تاريخ بغداد، للبغدادي (ت٤٦٣هـ) طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣١.
(٢٠) تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، القسم الأول، للدكتور فؤاد سيزكين، نقله إلى العربية الدكتور فهمي أبو الفضل، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧١.
(٢١) تاريخ ابن خلدون، لابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، طبع دار الكتاب اللبناني ببيروت ١٩٥٧.
(٢٢) تاريخ مدينة دمشق المخطوط، لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، الجزء العشرون، مخطوط محفوظ بمكتبة أحمد تيمور بدار الكتب المصرية بالقاهرة.
(٢٣) تاريخ الدولة العربية، ليوليوس فلهاوزن، نقله إلى العربية الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٨.
(٢٤) تاريخ الطبري، للطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف بمصر.
(٢٥) التاريخ الكبير، للبخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦١هـ.
(٢٦) تذكرة الحفاظ، للذهبي (ت٧٤٨هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٨.
(٢٧) التطور والتجديد في الشعر الأموي، للدكتور شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٥.

(٢٨) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، طبع دار المعرفة ببيروت ١٩٧٥ .

(٢٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر، لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، طبع دار المسيرة ببيروت ١٩٧٩ .

(٣٠) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ.

(٣١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ .

(٣٢) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (ت٤٥٦هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

(٣٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، طبع دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧ .

(٣٤) حماسة البحتري، للبحتري (ت٢٨٤هـ)، تصحيح الأب لويس شيخو، طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٠ .

(٣٥) الحماسة البصرية، للبصري (ت٦٥٩هـ)، تحقيق الدكتور مختار الدين أحمد، طبع حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .

(٣٦) حياة الحيوان الكبرى، للدميري (ت٨٠٨هـ)، نشر المكتبة الإسلامية ببيروت.

(٣٧) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي (١٠٩٣هـ)، طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٩هـ.

(٣٨) رسائل الجاحظ، جمعها ونشرها حسن السندوبي، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٣ .

(٣٩) سنن الترمذي، للترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٧.

(٤٠) سنن أبي داود، لأبي داود (ت٢٧٥هـ)، أعده وعلق عليه عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، طبع دار الحديث بحمص.

(٤١) سنن ابن ماجة، لابن ماجة (ت٢٧٥هـ)، اعتنى بنشره محمد فؤاد عبدالباقي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٥٢.

(٤٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، لفان فلوتن، ترجمه الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٥.

(٤٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، طبع مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٠هـ.

(٤٤) شرح شواهد المغني، للسيوطي (ت٩١١هـ)، طبع لجنة التراث العربي بدمشق ١٩٦٦.

(٤٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦٥.

(٤٦) الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٦.

(٤٧) الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، للدكتور حسين عطوان، طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٤.

(٤٨) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، للدكتور حسين عطوان، طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٥.

(٤٩) صحيح البخاري، للبخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٥هـ.

(٥٠) صحيح مسلم، لمسلم القشيري (ت٢٦١هـ)، اعتنى بنشره محمد فؤاد عبدالباقي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(٥١) ضحى الإسلام، لأحمد أمين، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦١.

(٥٢) طبقات خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨.

(٥٣) طبقات الفقهاء، للشيرازي (ت٤٧٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار الرائد العربيْ ببيروت ١٩٧٠.

(٥٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت٢٣٠هـ)، طبع دار صادر ببيروت ١٩٥٧.

(٥٥) العباسيون الأوائل، للدكتور فاروق عمر، طبع دار الإرشاد ببيروت ١٩٧٠.

(٥٦) العصر العباسي الأول، للدكتور عبدالعزيز الدوري، طبع مطبعة التفيض ببغداد ١٩٤٥.

(٥٧) العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسهر، ترجمة محمد يوسف موسى ورفاقه، طبع دار الكاتب المصري بالقاهرة ١٩٤٦.

(٥٨) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول من رجال القرن الرابع، اعتنى بنشره دي خويه، طبع ليدن ١٨٦٩.

(٥٩) فجر الإسلام، لأحمد أمين، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٥.

(٦٠) الفرق بين الفرق، للبغدادي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، طبع مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع بالقاهرة.
(٦١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، للدكتور النعمان القاضي، طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠.
(٦٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، طبع دار صادر ببيروت ١٩٧٩.
(٦٣) كتاب النهاية أو الفتن والملاحم، لابن كثير (ت٧٧٤هـ) تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٩.
(٦٤) مختصر تذكرة القرطبي، للشعراني (ت٩٧٣هـ)، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.
(٦٥) مذاهب التفسير الإسلامي، لجولدتسهر، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار، نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥.
(٦٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨.
(٦٧) مسند أحمد بن حنبل، لابن حنبل (ت٢٤١هـ)، طبع المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ببيروت.
(٦٨) المعارف، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق ثروت عكاشة، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٠.
(٦٩) معجم الشعراء، للمرزباني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٤٩.

(٧٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري (ت٣٣٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٠.

(٧١) الملل والنحل، للشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تخريج محمد بن فتح الله بدران، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٦.

(٧٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (ت٧٤٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦٣.

(٧٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (ت٧٨٤هـ)، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٧٤) هاشميات الكميت، شرح عبدالمتعال الصعيدي، طبع مطبعة الرسالة بالقاهرة.

(٧٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر ببيروت.

(٧٦) وقعة صفين، لابن مزاحم (ت٢١٢هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، طبع المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٣٨٢هـ.

استشارة واستنارة

للدكتور عبد الرحيم بدر

توطئـــة

في سنة ١٩٨١ أصدرت لي وزارة الثقافة والإعلام العراقية كتاب «دليل السماء والنجوم». وهو - على حدّ علمي - أول كتاب في اللغة العربية يبحث في الفلك العملي، أي في شؤون المراقبة والرصد. وكان لزاماً عليّ أن أذكر أسماء النجوم والكوكبات، كما يجب أن تكتب، وكما ذكرها الفلكيون العرب في كتب التراث. وعلى الرغم من دراساتي الطويلة في هذا الموضوع، الاّ أنني كنت أخشى الوقوع في الخطأ، مهما كان الخطأ بسيطاً. ولهذا لجأت الى الدكتور بول كونيتش، وطلبت منه مراجعة المخطوطة قبل الطباعة. ففعل مشكوراً. والدكتور كونيتش هو أستاذ الدراسات السامية في جامعة ميونيخ، وعضو اكاديمية العلوم البافارية، وقد تخصّص في الكتابة عن الفلك العربي وأسماء النجوم وعلاقة ذلك بالفلك الاغريقي.

وبتصحيح الدكتور كونيتش للكتاب، يصبح ليس كتاب دليل لرصد السماء وحسب، وانما كتابا في التراث العربي أيضا. ففيه قد ذكرت معظم أسماء النجوم كما عرفها الفلكيون العرب، وأمام كلّ نجم اسمه بالأجنبية كما هو معروف في الفلك الحديث.

وفي هذه الآونة، أضع كتابا في الفلك العملي أيضاً، سمّيته «رصد السماء». وقد أشرفت على الانتهاء منه. غير أنني في أثناء العمل فيه صادفت كثيراً من القضايا التي اعترضتني، سواء في التراث أو في أصول الترجمة ووضع المصطلحات. وقد تصرّفت في كلّ قضية بالشكل الذي رأيته مناسبا.

وحيث أنني أحرص الحرص كلّه على ابراز التراث في مجاله الواسع في هذا العلم، وحيث أنني أؤمن باللغة العربية كلغة التدريس الوحيدة في جميع العلوم وفي جميع الجامعات في العالم العربي، وحيث أن الكتاب موضوع الحديث هو أول كتاب شامل في الفلك العملي في اللغة العربية، لهذا كلّه، أحببت أن أعرض بعض القضايا التي واجهتني فيه على علماء اللغة العربية وعلماء التراث، استشيرهم واستنير بآرائهم، فيكبحون جماحي إن شططت، ويسكتون عنّي سكوت الرضى اذا احسنت.

مميزات علم الفلك

تتميّز العلوم التجريبية والفكرية عن الآداب والفنون بأن تاريخها مترابط متماسك، يتكوّن من حلقات كلّ حلقة تعتمد على سابقتها. وكلّ حلقة لها أهميّتها ولها دورها الفعّال، بحيث لو تأخرت حلقة عن الظهور في موعدها فإن العلم نفسه يتأخّر في مسيرته، منتظراً ظهورها لكي يواصل

اندفاعه. هذا الترابط المتسلسل قد نجد شيئاً منه في الآداب والفنون، لكنه لا يصل الى الدرجة التي هو عليها في العلوم.

ويتميّز الفلك عن غيره من العلوم الأخرى بأن تاريخه يظهر لك من بين السطور في أثناء دراسته. واذا فعلت فانك سترى أن أسماء الكوكبات اغريقية وان أسماء النجوم عربية، وستجد أسماء العلماء من مختلف الأمم منتشرة هنا وهناك. فهناك أقمار غاليلو وقوانين كبلر وخط كاسيني ومرقب نيوتن ودليل مسييه ونطاق فان ألن... واذا فاتك اسم عالم في هذه الدراسة فانك ستجد اسمه في الغالب على فوّهة من فوّهات القمر.

ان دراسة الفلك بطبيعتها أو طبيعة الفلك نفسه تندمج مع ما فيه من تراث.

ولا اكتم عن القارىء سرّاً حين أقول له إنني في البداية كنت ـ ولا أزال ـ هاوي فلك. ولمّا كان يتعذّر وجود المراجع القيمة في اللغة العربية، فقد رحت ألجأ الى اللغة الانجليزية. وكانت أسماء النجوم العربية تتلاعب أمام عيني بالأحرف اللاتينية آناء الليل وأطراف النهار، سواء عند القراءة في الكتب والمجلات الانجليزية أو عند الرصد ومراجعة الاطالس. وكان لزاماً عليّ أن أفتش على كتب التراث وأبحث عن أصول هذه الأسماء.

وهذه القصة لم تحدث معي وحدي. بل إنها حدثت مع الأستاذ أمين فهد معلوف، وهو يذكر ذلك في مقدمة كتابه «المعجم الفلكي» مبيّناً أنها هي التي دفعته لوضع المعجم. وكذلك قد حدثت مع الأستاذ منصور حنّا جرداق، ويذكرها في مقدمة كتابه «القاموس الفلكي» مبيّناً أنها هي التي دفعته لوضع القاموس.

ومن الجدير بالذكر أن المعجم والقاموس المذكورين قد وضعا في النصف الأول من هذا القرن العشرين.

غير أن هناك أمراً يدعو الى الإستغراب فعلاً.

الظاهرة الغريبة

كان النصف الثاني من القرن العشرين بداية تحوّل كبير في العالم العربي، لا من الناحية السياسية واستقلال الدول وحسب، بل من الناحية الحضارية والثقافية أيضاً. فقد ازدهرت الثقافة وازداد عدد الجامعات في طفرة واسعة وكثر الذين يتقنون اللغات الغربية ويحصلون على شهادات عالية في العلوم والفنون المختلفة.

لكن يبدو أن أحداً من هذه الملايين المثقفة لم يقرأ شيئاً عن الفلك ولم يستشفّ من خلال قراءته أن للعرب يداً فيه، وبصمة على كلّ صفحة من صفحاته.

وكأنّ الفلك في وسط هذه الأمواج الزاخرة من الثقافة لا وجود له.

يبدو أن انشغال العالم العربي بالأحداث السياسية قد صرف العلماء عن متابعة البحث والدراسة في هذا الموضوع، من ناحية، لكني أرى أن السبب الرئيسي في هذا الاهمال هو التدريس في الجامعات باللغات الأجنبية. فقد استشرى هذا الداء الخبيث في كلّ الجامعات العربية - باستثناء جامعة دمشق - بحيث خفّف من انتماء العلماء والمثقفين الى العروبة، التي أصبحت مجرّد شعار سياسي لا أثر له في النفوس.

ويجب أن أذكر في هذا الصدد الأستاذ قدري حافظ طوقان، فقد كان يشتغل في هذا الحقل، لكن كتابه «التراث العربي في الفلك والرياضيات»

نشرت الطبعة الأولى منه في النصف الأول من هذا القرن.

وفي هذا الصدد أيضاً يجب أن اذكر الأستاذ عبدالحميد سماحة، فقد كانت بحوثه وأرصاده في مرصد حلوان ذات قيمة كبيرة، ومحاولة وضعه بعض الأسماء العربية لنجوم في كوكبات جنوبية تنسجم مع مفاهيم العرب عن تلك الكوكبات، جهد يجب أن يقدّره له الباحثون في التراث. لكن معظم بحوثه كانت أيضاً في النصف الأول من هذا القرن.

الفلك في العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين:

على القارىء أن يأخذ معلوماتي في هذه الفقرة بحذر. ففي هذه الفترة نشبت خلافات بين معظم الدول العربية أدّت الى انقطاع أخبار النشاط الثقافي بين بلد وآخر، وكانت الكتب والمجلات تصل متقطعة، واذا وصل منها شيء فهو أقلّ من أن يفي بالحاجة.

وبناء على ذلك فان حديثي هو من معلوماتي الشخصيّة التي أحملها الآن.

لم يكن هناك رصد عمليّ على ما أعرف. وحين أُتيحت لي الفرصة أن أزور مرصد حلوان لم أجد فيه برنامجاً للعمل. (كان ذلك سنة ١٩٦٣). ولم أعرف اذا كان هناك في العالم العربي من يزاول الرصد ولو على نطاق شخصيّ ضيّق، إلاّ فلكيّا واحداً اسمه ميخائيل عبدالأحد من البصرة، كان يرصد الشمس ونشر عن ذلك في مجلة «السماء والمرقب» الامريكية. ولم استطع الاتصال به.

وقد قمت بنحت مرقبي سنة ١٩٦٢ وأقمت مرصداً في مدينة أريحا. كان المرصد صغيرا، ولكني كنت أتعاون مع الجمعية الفلكية الالمانية،

فأرصد بعض الظواهر الفلكية ـ لكن على أساس الفلك الغربي. فقد كنت أجهل التراث العربي في الفلك.

ويجب أن أذكر هنا أن كليّة بيرزيت (التي أصبحت فيما بعد جامعة بيرزيت) قد ساهمت في هذا الخط. فقد قام طلبة الفيزياء بنحت مرقب مثل مرقبي، بتوجيه من الأستاذ جابي برامكي، وكنا نتعاون معاً في رصد بعض الظواهر الفلكية.

وقـد سمعت عن اقامة مرصد كبير في سيناء ـ مصر. ولا اعلم في الحقيقة مـا تمّ في أمره.

واذا كانت معلوماتي هذه قريبة من الحقيقة، كان معنى ذلك أن العالم العربي خال من الفلك العمليّ.

ولا يزال كذلك حتى الآن.

وفي هذه الحالة لن يكون هناك الحاح على التراث العربي في الفلك لإدخال الأسماء والمصطلحات.

أمّا بشأن البحث في التراث الفلكي فقد كان مقتصراً على ما تصدره مجامع اللغة العربية من تحقيقات على فترات متباعدة. وعليّ أن أذكر هنا سلسلة «العلوم البحرية عند العرب» التي أصدرها مجمع اللغة العربية في دمشق في السبعينـات. وقد تبيّن من هذه السلسـلة أن البحارة العرب في المحيط الهندي قد استغلّوا مطالع النجوم ومغاربها في وضع نظام خاصّ بهم سمّوه (الاخنان) كان على أرقى المستويات التقنيّة.

المعاجم الفلكيّة في النصف الثاني من القرن العشرين

لم تظهر معاجم فلكيّة في كتب مستقلّة، وإنّما ظهرت المعاجم التالية

في مجلة «اللسان العربي» التي تصدر في الرباط عن مكتب تنسيق التعريب.

١ ـ معجم الفلك ـ في العدد الخامس عشر من المجلة.

٢ ـ مصطلحات الفلك في التعليم العالي ـ في العدد الخامس عشر أيضاً.
وكلاهما لا يستحقّان أن يسمّيا بهذا الاسم. فهما مجرد وضع أحرف عربية أمام الأحرف الأجنبية للاسم دون أي تعريف مفيد.

٣ ـ مصطلحات الفلك ـ فرنسي، انجليزي، عربي للاستاذ محمد بن زيّان، نشر في العددين ١٥ و١٦ من مجلة اللسان العربي.

ويبدو التعب والعناية في اعداد هذا المعجم. لكن يبدو أن الأستاذ زيّان غير ضليع في علم الفلك، ولم يطّلع على الكتب المنشورة في التراث العربي. ولهذا نجد فيه أخطاء كثيرة، منها ما يتعلّق بالفلك نفسه كعلم له مصطلحاته ومنها ما يتعلّق بأخطاء في أسماء النجوم والكواكب. واذا اصلحت هذه الأخطاء فيه فسيكون معجماً قيّماً ذا فائدة كبيرة.

نرى من هذا كلّه، أن التراث العربي المنشور في العالم العربي هو أقلّ من أن يعطينا فكرة شاملة عمّا قدمه الفلكيون العرب من ناحية وعن المصطلحات والأسماء التي كانوا يستعملون. غير أن الذي أعطى الدفعة الكبرى لفهمنا عنه واعطائنا فكرة شاملة قريبة من الحقيقة، هو ما قامت بنشره وتحقيقه هيئات غير عربية.

التراث العربي الذي نشره غير العرب في النصف الثاني من القرن العشرين

في هذا الشأن، كان الباع الطويل لمجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ـ الدكن ـ الهند. فقد قامت في الخمسينات بنشر تحقيقات من

عيون التراث، ليس في الفلك وحسب، بل في العلوم الأخرى أيضاً كالطب والرياضيات والهندسة، وفي الآداب ودواوين الشعر. . . انها في الواقع قد نشرت مكتبة غنيّة بشتّى أنواع التراث العربي.

وكان مما نشرته في الفلك القانون المسعودي للبيروني، وهو موسوعة كاملة عن علم الهيئة (الفلك) تعطينا فكرة كاملة شاملة عن هذا العلم عند العرب من نواح كثيرة كنظرتهم الى الامور وطرق معالجتها والأساليب المبتكرة لحلّ المسائل التي تصادفهم. هذا بالطبع بالاضافة الى مدى المعلومات الفلكيّة التي توصّلوا اليها.

وكان ممّا نشرته دائرة المعارف الاسلامية أيضاً، كتاب «صور الكواكب الثمانية والاربعين» للصوفي. ومن هذا الكتاب ومن القانون المسعودي عرفنا الكوكبات السماوية وما فيها من نجوم، كلّ نجم في السماء حددوا طوله وعرضه (ما يسمونه في الفلك الصعود المستقيم والميل)، وبهذا أصبح كلّ نجم معروفا لا مجال للخطأ فيه بينه وبين نجم آخر. لقد دخلنا الآن في الفلك العملي والقياسات والرصد الدقيق وقد وجدنا علماً له قواعده وأصوله ونستطيع أن نقارن بين أرصاده وأرصاد الفلك الحديث.

والواقع أن هذين الكتابين يجب أن يظلاّ المرجع الأساسي لكلّ من يريد أن يكتب في الفلك الحديث متوخّياً أن يجاري الفلك العربي في الأسماء والمصطلحات.

هناك كتب أخرى، في الفلك العربي نشرتها دائرة المعارف العثمانية في الهند، لابن قرّة وابن الهيثم والمنصور بن عراق وكوشيار الجيلي وغيرهم، اعطتنا فكرة جيّدة عن البحوث العربية في الفلك. لكن الكتابين

المذكورين سابقاً هما الأساس في تحديد المصطلحات وأسماء النجوم.

وقد نشر باللغات الأجنبية الكتب التالية:

١ ـ Star Names: Their Lore and meaning - Richard أسماء النجوم، معانيها ورواياتها. وضعه ريتشارد هنكلي ألن Hinckly Allen ونشر للمرة الأولى سنة ١٨٩٩، واعيدت طبعته سنة ١٩٦٣.

والكتاب يبحث في أسماء النجوم عامّة وكان لزاماً عليه أن يتطرّق الى أصول العربية منها. وفي لهجة الكتاب شيء من التحامل، وفيه الكثير من الأخطاء، معظمها يرجع الى أن المؤلف كان يجهل اللغة العربية.

٢ ـ Arabische Sternnamen In Europa - Paul Kunitzch أسماء النجوم العربية في أوربا. للدكتور بول كونيتش. ظهر ١٩٥٩.

٣ ـ Unter Suchungen Zur Sternnomen Klatur Der Araber بحث في تسمية النجوم عند العرب. للدكتور بول كونيتش أيضاً، ظهر سنة ١٩٦١.

بهذه الكتب الثلاثة يصبح أمام الباحث ذخيرة مستفيضة عن النجوم، وبالكتب التي سبق ذكرها يصبح لديه ذخيرة عن المصطلحات والتعابير.

القضـــايـا المطـروحـــة

مهما أتقن المرء معرفة المصطلحات والأسماء التي استعملها الفلكيون العرب، فانه عند التطبيق وفي أثناء الكتابة ستمرّ عليه مشاكل لم يكن يتوقّعها. وستبرز هذه المشاكل اذا كان يضع أمام عينيه الأهداف التالية:ـ

١ ـ أن يعـرف دائمـاً أنه يكتب في الفلك الحديث على أسسه المعروفة الآن، وأن كتابه ما هو إلاّ احدى الخطى التي سيعتمد عليها القارىء للانطلاق في دراسته وبحوثه. وانه ينتظر من قارئه بعد ذلك أن يتصل مع الجمعيات والمعاهد الفلكية العالمية ليتعاون معها، ولهذا يجب أن يكـون على علم بالمصـطلحـات والأسمـاء التي تعـارف عليهـا كلّ الفلكيين في العالم.

٢ ـ أن يكون المصطلح دائماً من كلمة واحدة، خاصّة ذلك الذي يتردّد كثيراً.

٣ ـ اذا كان المصطلح الموجود في التراث العربي يدعو الى الالتباس في ذهن القارىء، عليه أن يحاول تغييره الى مصطلح عربي آخر غير ذلك الموجود في التراث.

وبناء على ذلك أطرح القضايا التالية :ـ

أولاً ـ الكوكبة:

الكـوكبـة هي بضعة (أو عدة) نجوم متقاربة في السماء تعطي شكـلا معيّنـاً. عرف الأقـدمـون هذه الأشكـال وأطلقوا عليها أسماء تتنـاسب معهـا، مثل الدب والعقرب والأسد وما الى ذلك. . سجّل بطلميوس هذه الأشكال في (المجسطي) ورسم عليها صورة تدلّ على ما هو مفهوم من ذلك الشكل. وكان عنده ٤٨ صورة أو شكلاً. . وقد أخـذ العـرب هذا التقسيم نفسـه، وسمّوا كلّ صورة (كوكبة)، فكان لديهم ٤٨ كوكبة.

ولمّا جاء الفلك الحديث سار على التقسيم نفسه أيضاً، إلاّ أنه

أجـرى بعض التعـديلات، فقسّم الكوكبات الكبيرة، ووضع النجوم الخـافتـة التي كانت بين الكـوكبات السابقة في أشكال أي كوكبات جديدة، وكـانت الحضـارة قد وصلت الى المنـاطق الجنـوبية فرتّب الكـوكبـات التي أخـذت تظهـر لـه في السماء الجنوبية في كوكبات جديـدة أخـرى، وأصبـح لدينا في الفلـك الآن ٨٨ كوكبـة، بحدود دقيقـة معروفـة فيمـا بينها. وأصبحت الكوكبـة في الفلـك الحديث تسمّى (Constellation) .

وعلى الرغم من جمال كلمة (كوكبة) وصدق دلالتها على المعنى المقصود منها الاّ أن استعمالها يثير لبساً من نواح كثيرة.

فالكوكب الثابت هو ما يعرف الآن بالنجم.

والكوكب السيّار (أو كلمة كوكب في الفلك الحديث) هو الجرم الذي يدور حول الشمس، كالأرض وعطارد والزهرة والمريخ.

والنظام الكوكبي هو ذلك النظام الذي يكون فيه نجم في المركز تدور حوله كواكب سيارة.

والسديم الكوكبي هو السديم الحلقي الذي يكون فيه الغاز على شكل دائرة، في مركزها نجم.

والكويكبات هي تلك الأجرام الصلبة من الصخور التي تدور في مدار حول الشمس يقع بين مداري المشتري والمريخ.

نرى من هذا أن هنـاك أجـراماً كثيرة تقع تحت اسم كوكبة أو كوكب ومشتقاتها. وهذا ما قد يسبّب تشويشاً للقارىء لا سيّما اذا كان في بداية دراسته.

ونجد أن بعض الكتب الجادّة في علم الفلك تحاول أن تستعمل تعابير أخرى للدلالة على كلمة (Constellation) .

فالأستاذ وجيه السمّان في كتاب (قصة المادة السيبرنية والكون) لألبير دوكروك، يترجمها (الصورة النجمية).

والدكتور محمد رضا مدور في كتابه (علم الفلك) يترجمها (كوكبة نجومية).

وفي كتاب (بدائع السماء) الذي قمت بترجمته لجيرالد هوكنز، ترجمتها (مجموعة).

وكذلك في كتابي (دليل السماء والنجوم) ترجمتها (مجموعة).

أمّا في الكتاب الذي هو موضع الاستشارة، فاني أترجمها (كوكبة) كما قالتها العرب، وأحاول أن أفرّق بينها وبين الكوكب السيّار في صيغة الجمع. فأجمع الكوكب السيّار على كواكب، بينما أجمع الكوكبة على كوكبات. ولكني أجد أن الصوفي يجمعها على (كواكب) فهي واردة في اسم كتابه (صور الكواكب الثمانية والاربعين). وبهذا تفشل محاولتي في التشبّث بهذه الكلمة.

ان الالتباسات التي تترتب على استعمال كلمة (كوكبة) تستدعي البحث عن كلمة غيرها تدلّ على المقصود منها وتكون ترجمة لكلمة (Constellation) .

وقد رأيت أن الدكتور فايز فوق العادة في كتابه (ارتحال الى أعماق الكون) يستعمل كلمة (برج) للدلالة على (الكوكبة).

ان كلمة (برج) تطلق على تلك الكوكبات التي تقع على مدار

البـروج، وعددها اثنا عشر برجاً. وقد اعطاها المنجمون هذا الاسم تمييزا لها عن الكوكبات الأخرى لأن الكواكب السيّارة والشمس والقمر تمرّ فيها. ولمّا كان الحساب في التنجيم يقوم على مواقع هذه الأجرام في هذه الكـوكبـات، لهـذا رأى المنجمـون أن يعـطوها هذا الاسم المميّز. وقد كان الفلكيون العرب يؤمنون بالتنجيم، فأبقوا كلمة برج لتـدلّ على الكوكبة التي تقع على هذا المدار. فنجد بين الكوكبات الثمانية والأربعين التي عرفوها، ستاً وثلاثين كوكبة واثنى عشر برجا. والبرج في الانجليزية هو (Sign of the Zodiac) ولا أجد من المناسب استعمال كلمة (برج) للدلالة على (Constellation) .

إن كثرة استعمال هذا التعبير في الفلك ـ حديثا او كتابة ـ يوجب أن يكون من كلمة واحدة فقط. ولا أرى أمامنا غير أربعة اصطلاحات: كوكبة، مجموعة، صور، برج.

فالموضوع اذن جدير بأن يطرح أمام العلماء في اللغة والمجامع العلمية، لمدّ يد العون.

ثانياً ـ أسماء الكوكبات

الكوكبات عند بطلميوس والفلكيين العرب هي ثمانية وأربعون. والـواقع أن العرب أخذوها عن بطلميوس وترجموا أسماءها، وبقيت أسمـاء الأعلام اغريقية . وفيما يلي أسماؤها كما هي في الفلك الحديث، وكما عرفها العرب.

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظـــات
١)	Ursa Minor	الدب الأصغر	
٢)	Ursa Major	الدب الأكبر	
٣)	Draco	التنّين	
٤)	Cepheus	قيفاوس	يجب أن تكون قيفاوس (الحرف الأوسط فاء) وسمّوه أيضاً (الملتهب)
٥)	Boötes Borealis	العوّاء	أسماؤه الأخرى(الصبّاح)و(البقّار) و(حارس الشمال)، والبيروني يسمّيه (الصايح)
٦)	Corona	الاكليل الشمالي	وهي (الفكّة)
٧)	Hercules	الجاثي على ركبته	ويسمّى (الراقص) أيضاً.
٨)	Lyra	اللورا	عند البيروني (اللوراس). نقل حرفي للاسم الاغريقي. وتسمّى (الصنج) و(الأوز) و(السلباق) و(المعزفة) و(السلحفاة)
٩)	Cygnus	الدجاجة	سمّاها العرب (الطائر) أو (الدجاجة) أي انهم قدّموا اسم (الطائر). أفضل (الدجاجة) خشية الالتباس مع كوكبة رقم (١٦)
١٠)	Cassiopeia	ذات الكرسي	
١١)	Perseus	برشاوس	وهو حامل رأس الغول
١٢)	Auriga	ممسك الأعنّة	ويسمّى (العنان أيضاً وفي القانون المسعودي (ممسك العنان)

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظـــات
١٣)	Ophiuchus	الحوّاء	
١٤)	Serpens	الحيّة	
١٥)	Sagitta	السهم	وفي القانون المسعودي (النول) أيضاً
١٦)	Aquila	العقاب	وهو (النسر الطائر)
١٧)	Delphinus	الدلفين	
١٨)	Equuleus	قطعة الفرس	
١٩)	Pegasus	الفرس الأعظم	وفي القانون المسعودي(الفرس المجنّح)
٢٠)	Andromeda	المرأةالمسلسلة	وفي المسعودي (اندروميدا)
٢١)	Triangulum	المثلث	
٢٢)	Aries	الحمل	في المسعودي (الكبش) أيضا
٢٣)	Taurus	الثور	
٢٤)	Gemini	التوأمان	
٢٥)	Cancer	السرطان	
٢٦)	Leo	الأسد	
٢٧)	Virgo	العذراء	وهي (السنبلة)
٢٨)	Libra	الميزان	
٢٩)	Scorpius	العقرب	
٣٠)	Saggitarius	الرامي	ويسمّى (القوس أيضاً)
٣١)	Capricornus	الجدي	
٣٢)	Aquarius	الدلو	وهو (ساكب الماء)
٣٣)	Pisces	الحوت	وهو (السمكتان)
٣٤)	Cetus	قيطس	وفي المسعودي (قيطس سبع البحر)

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظـــات
٣٥)	Orion	الجبّار وهو الجوزاء	اني افضّل (الجوزاء)
٣٦)	Eridanus	النهر	
٣٧)	Lepus	الأرنب	
٣٨)	Canis Major	الكلب الأكبر	
٣٩)	Canis Minor	الكلب الأصغر	

٤٠) هذه الكوكبة التي سمّاها الفلكيون العرب (السفينة) قسّمت في الفلك الحديث الى أربع كوكبات، فلا داعي لادخال اسمها في الجدول.

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظـــات
٤١)	Hydra	الشجاع	
٤٢)	Crater	الباطنية	
٤٣)	Corvus	الغراب	
٤٤)	Centaurus	قنطورس	
٤٥)	Lupus	السبع	
٤٦)	Ara	المجمرة	
٤٧)	Corona Australis	الاكليل الجنوبي	
٤٨)	Piscis Austrinus	الحوت الجنوبي	

هــذه الكوكـبات السبع والأربعــون (بعـد اســتثناء كوكبة السفينة) لا تزال موجودة في الفلك الحديث، تحتفظ بأسمائها الأجنبية الموجــودة في العمـود الأول. ومن الـواجـب أن تبقـى لها الأســماء التي وضعهــا الفلكيــون العــرب، وهي الموجــودة في العمود الثاني. غير أني سمحت

لنفسي عند الكتابة عنها أن أقوم بتجاوز بسيط اعتبر أن فيه بعض الفائدة.

فهناك بعض الكوكبـات يقول عنها الفلكيون العرب أن اسمها (كذا) وهي (كذا). أنهم بالطبـع يفضّلـون الاسم الأول، ولكني لأسبـاب سأذكرها فضّلت الاسـم الثاني. وقد حدث ذلك في الأمثلة التالية:ـ

أ ـ الكـوكبـة رقم (٩) في الـلائحـة، سمّـاهـا العـرب (الـطائـر) أو (الدجاجة). فضّلت استعمال الدجاجة، لأن اسم الطائر قد يحدث لبساً مع الكوكبة رقم (١٦) العقاب أو النسر الطائر.

ب ـ الكـوكبـة رقم (٣٢)، فضّلت استعمال (الدلو) على (ساكب الماء) لأنها كلمة واحدة، واكثر شيوعا.

جـ ـ الكوكبة رقم (٣٣) فضّلت استعمال (الحوت) على السمكتين)، لأنها اكثر شيوعاً.

د ـ الكوكبة رقم (٣٥) فضّلت استعمال (الجوزاء) على (الجبار) مخافة الالتباس مع برشاوس الجبار و(كلب الجبار).

هذه هي الحدود التي سمحت لنفسي أن أتصرف بها.

وفي هذا المجال أودّ أن ألفت الانتباه الى خطأين شائعين جداً في معـظم الكتب الفلكية التي صدرت في العقـود الأربعة الأخيرة، يتعلقّان بأسماء الكوكبات ـ

أ ـ ان أقرب نجم الينا هو (ألفا قنطورس) (Alpha Centauri) وهذا تكثر الاشارة اليه في كثير من الكتـب الفلكية التي تصدر، عند ذكر أبعاد النجوم أو اقدارها. والغالبية من الكتاب يسمّونه (الفا الصنتوري) أو (الفـاالسـنتـوري). وإني اعترف أني في أول كتابين صدرا لي كنت

استعمل هذه الصيغة، اذ لم اكن اعرف الاسم العربي للكوكبة التي فيها هـذا النجم (قنطورس).

ب ـ أول نجم قاس الفلكيون بعده كان (٦١ الدجاجة) (61 Cygni) . وقد قام بهذا العمل الفلكي الألماني بيسيل سنة ١٨٣٨ . وترجمة الاسم الأجنبي (Cygnus) هي في الحقيقة (البجعة). ولهذا نجد في كلّ الكتب التي تذكر هذه الحادثة (٦١ البجعة). وهذا غير صحيح ما دام هناك اسم عربي.

القبّـة الفلكية في الفلك الحـديث مقسّمة الى ثمان وثمانين كوكبة. سبع وأربعون منها عن الفلك القديم، وهي التي لها أسماء عربية. أمـا الكـوكبـات البـاقية وعـددها واحد وأربعون، فأستعمل أسماءها المترجمة، منها ما ترجمته بنفسي ومنها ما وجدت غيري قد ترجمه. ومعظم هذه الكوكبات في المناطق الجنوبية والكثير منها في الدائرة القطبية الجنوبية بحيث لا نراها من بلادنا العربية. وترجمتها لا علاقة لها بالتراث الفلكي العربي.

ثالثا ـ أسماء النجوم

أ) ـ تسمية النجوم بالارقام والحروف

منذ أن وضع بطلميوس صور الكوكبات ورسم النجوم على كل صورة، أعطى النجوم في كلّ كوكبة ارقاما متسلسلة تبتدىء من واحد وتنتهي بعدد نجوم تلك الكوكبة. واذا كانت هناك نجوم خارج الصورة أعطاها أرقاما متسلسلة أيضا.

وقد أخذ العرب هذه الطريقة عن بطلميوس فرسموا الصور نفسها ووضعوا الأرقام بالحروف بحسب الطريقة المتَّبعة في تلك الأيام.

وعلى ذلك فاذا قال فلكيّ في العصور الوسطى عن النجم السادس والسابع من كوكبة الدب الأصغر، فان المستمع اليه ينظر في الصورة فيرى أنه يتكلم عن الفرقدين. وهكذا. فكلّ نجم معروف برقم معيّن في كوكبته.

واستمرت هذه التسمية حتى سنة ١٦٠٣ ميلادية. آنذاك أصدر الفلكي الالماني (باير) أطلسه الشهير. فترك طريقة الأرقام، ورمز لكلّ نجم في الكوكبة بحرف من الأبجدية اليونانية. وكان عادة يطلق الحرف الأول (الفا) على أشدّ النجوم لمعاناً في الكوكبة، والحرف الثاني (بيتا) على النجم الذي يليه في اللمعان، وهكذا. الاّ أن ذلك ليس شرطا.

ومنذ ذلك الحين أخذ الفلكيون جميعا، وفي جميع أنحاء العالم، يسمّون النجوم بالحروف اليونانية. وقد أصبحت هذه التسمية عالمية، ولم يعد لنا خيار الاّ في اتباعها. فاذا قال فلكيّ الآن (بيتا الدب الأصغر) و(جاما الدب الأصغر) فان أي فلكي آخر يعرف أنه يعني الفرقدين.

وفي الحالة التي تكون فيها النجوم في الكوكبة اكثر من الحروف الأبجدية اليونانية فهم يستعملون أرقاما.

وقد وجدت في كتاب (قصة المادة السيبرنية والكون) الذي

ترجمه الاستاذ وجيه السمّان عن الفرنسية، أن الأستاذ وجيه يحاول أن يترجم هذه الحروف الى العربية. فترجم (الفا) الى (ألف) و(أبسلون) الى (هـ) و(دلتا) الى (د). وأنا لا أو افقه على ذلك. فالحرف اليوناني، مقرونا باسم الكوكبة، أصبح اسماً عالمياً للنجم. ولا مجال لترجمته.

ب) أسماء النجوم الاعلام

إن تسمية النجوم بالحروف اليونانية والأرقام تشمل كلّ نجم تراه العين في السماء. غير أن الشعوب منذ القدم كانت تتعرّف على النجوم المتلألئة في السماء وتطلق عليها أسماء خاصة. فالعرب في الجاهلية، قبل أن يعرفوا علم الفلك، كانوا يعرفون نجوما كثيرة وضعوا لها أسماء جميلة. من هذه الأسماء ـ الدبران، والفرقدان، والنسر الواقع، والنسر الطائر، والشعرى اليمانية، والشعرى الشامية، والسماك الرامح، والسماك الاعزل. . . الخ. هذه الأسماء بقيت لاصقة بنجومها، حين تطوّر الفلك عند العرب، فأصبح للنجم اسمان: اسم بالرقم الذي وضعه بطلميوس، والاسم الخاص الذي عرف عنه في الجاهلية.

وليس ذلك وحسب. بل ان الفلكيين العرب حين كانوا يكتبون عن النجوم، كانوا يذكرون رقم النجم ويصفون موضعه في الصورة قائلين إنه، مثلا، على الصدر أو على المرفق او على الجناح، وهكذا.

وقد أخذ الأوروبيون الفلك عن العرب مباشرة دون أن يكونوا على علم ببطلميوس. وحين ترجموا عن النجوم ذكروا الصفات التي

وصفها بها العرب على أنها أسماء. فالذي على الجناح مثلا، سمّوه (الجنـاح) والـذي على المـرفق سمّوه المرفق، وهكذا. وقد حدث الكثير من التحـوير والتغيير والخطـأ في النسخ على مدى الأجيال العديدة التي تم عنها نقل هذا العلم. وظهر عند الأوروبيين علماء في اللغة العربية وفي الفلك أيضا، رأوا أن يغيّروا بعض الأسماء العربية الى أسمـاء عربية وضعـوها هم . ونتيجة ذلك كلّه وصلت إلينا في قالبها النهائي أسماء للنجوم في الفلك الحديث.

ان هناك أسماء عربية صرفة وضعها الفلكيون الغربيون ولم يكن يعرفها الفلكيون العرب، مثل (اللسعة) الذي وضعوه للنجم (اوبسلون العقـرب) (Upsilon Scorpii) (Lesuth) وهذا الاسم ليس بموضع استشارة، لأن النجم لم يكن له اسم عند العرب وليس امامنا.

لكن الفلكيين المحدثين قاموا أيضا بوضع أسماء عربية لنجوم كانت لهـا أسمـاء عربية، وقـد درج الاسم الجديد الذي وضعه الفلكيون الاوروبيون في الفلك الحديث. فاذا نظرنا في الاطالس والكتب الى بعض هذه النجوم نجد أنها تحمل اسما عربيّاً، لكنه غير الاسم الذي عرفه عنه الفلكيون العرب. من أمثلة ذلك ـ

١ ـ (الفا التنيّن) (Alpha Draco) فقد سمّاه العرب (الذيخ) وهو ذكر الضباع ولكن الفلكيين الأوروبيين سمّوه (Thuban) (الثعبان)، وأنت تجده باسمه هذا في كل الأطالس والكتب.

٢ ـ ذنب الدبّ الأكبر مكوّن من ثلاثة نجوم في خط ملتو. النجم الأوسط من هذه الثلاثة سمّته العرب (العناق)، وهو الآن (زيتا الدب الأكبر).

ولكن العالم جوزيف سكاليجر الذي كان ضليعا في اللغة العربية، وضع له اسما جديدا هو (المئزر) (Mizar) . وهي قطعة القماش التي يلفّ بها الانسان وسطه. واسم هذا النجم الآن في كلّ الاطالس الفلكية والكتب، هو (Mizar) .

٣ـ وبالمثل، فالنجم الثالث من الذنب الذي هو من جهة جسم الدب، (ابسلون الدب الأكبر) سمّته العرب (الجون). ولكن سكاليجر نفسه سمّاه (Alioth) ويفسّره (ألن) على أنه الألية، أي الدهن في مؤخرة الخروف.

ونحن اذا تصفّحنا الأطالس والكتب الفلكية الآن، ومرّ حديث عن هذه النجوم، نجد أن الأسماء العربية أمامنا هي تلك التي وضعها العلماء الأوروبيون وليست تلك التي عرفها الفلكيون العرب.

وقد استعملت شخصياً فيما كتبت الأسماء الجديدة التي وضعها العلماء الأوروبيون، وقصدي من ذلك هو تبسيط الأمور في عيني طالب الفلك العربي. فمن السهل عليه أن يعرف (Mizar) بأنها (المئزر) و (Alioth) بأنها (الألية) و (Thuban) بأنها (الثعبان). وسيكون صعباً عليه أن يعرف أن هذه هي (العناق) و(الجون) و(الذيخ).

مهما يكن من أمر، فان القضية توجب الاستشارة والاستنارة.

تلخيص

عندما يحاول الفلكي العربي أن يكتب في الفلك الحديث، يرى نفسه مضطرّاً الى الرجوع الى التراث الفلكي لكثرة ما يجد في

مصادره الأجنبية من أسماء ومصطلحات عربية. الابحاث التي قام بها العرب في التراث الفلكي العربي في القرن العشرين، قليلة جداً لا تكفي لكي يتخذ الكاتب مراجعه منها. معظم الأبحاث في هذا الصدد ومعظم نشر كتب التراث الفلكي العربي قام به غير عرب.

اذا عرف الكاتب هذه الحقائق كلّها أو كثيرا منها، وعزم على الكتابة في الفلك محاولا ادخال كلّ ما عرف في التراث الفلكي العربي من أسماء ومصطلحات، فانه سيجد أن بعضها صعب التطبيق وقد يخلق التباساً، أو أن هناك أسماء عربية أخرى وضعها الفلكيون الأوروبيون. فهل يستعمل هذه الأسماء المستحدثة أو تلك التي عرفها العرب؟

كما أن النجوم عند العرب كانت تعرف بالأرقام. لكنها أصبحت في الفلك الحديث تعرف بالأحرف اليونانية على مستوى عالميّ.

ان شرح هذه القضايا وارد في المقال، وموقف الكاتب واضح في كلّ قضيّة. لكن مخالفة التراث الفلكي العربي في بعض المواقف يحتاج الى استشارة العلماء والاستنارة بآرائهم.

في التذكير والتأنيث، نظرة تاريخية في هذه المسألة

للدكتور ابراهيم السامرائي
(عضو مؤازر في المجمع)

كنت قد عرضت لمسألة التذكير والتأنيث في العربية وأشرت الى تاريخ هذه المادة في العربية وما يتصل منها باللغات السامية. وها أنا ذا أعود اليوم الى هذه المسألة بسبب ما جدَّ من الاستعمال لبعض من الكلم مما خرج فيه المعربون عن سنن العربية. ومن ذلك ما قرأته وقرأه غيري في صحيفة «الدستور» الأردنية في مقالات متوالية نسبت في «الصحيفة» المذكورة الى الدكتورة عائشة عبدالرحمن التي نعتت بـ«أستاذ» التفسير في جامعة القرويين. وعجبت ان تكون هذه الصفة «أستاذ» قد عريت من علامة التأنيث، وهي صفة لموصوف مؤنث.

وقد ذكّرني هذا الذي قرأته في «الدستور» الأردنية بما كان في مناقشات مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ سنوات كان الأعضاء يناقشون فيها طائفة من الكلم المعرّب. وكان من هذا الكلم كلمة «الدكتور» للمذكر والمؤنث. وكأن أصحابنا المجمعيين المصريين قد أقروا ان تكون الكلمة مما يستوي فيها المذكر والمؤنث. ولما كانت هذه المواد مادة نقاش انبرى

جماعة من غير المصريين وأنا منهم الى الكلام في هذا، فكان رأيهم أن تلحق هذه الكلمـة علامة التأنيث فيقال: الدكتور فلان والدكتورة فلانة، وذلك لان المعقول ان تتبع هذه الكلمة بعد تعريبها نظام العربية، ولما كنا قد حلّيناها بأداة التعريف فلِمَ نسلبها علامة التأنيث وهي ترجع الى موصوف مؤنث؟

وبعد مناقشة قصيرة أجمع الأعضاء على أن تلحق هذا المعرّب علامة التأنيث، وقد كنت قرأت بأخرة في «مجلة المجمع العلمي الهندي»[1] بحثاً في مسألة «كتاب إصلاح الغلط في غريب الحديث» لابن قتيبة الدينوري، وصـاحبة البحث أستاذة هندية اسمها «جميل النساء» في كلية النسـاء في الجـامعـة العثمـانية في حيدرآباد، وقد نص في اسمها على «الدكتورة». وعجبت ان يكون أصحابنا الهنود أكثر منا حفاظاً على نظام العربية.

ولا بدّ من عود الى مادة كلامي في «التذكير والتأنيث» فأقول:

المذكر والمؤنث من المسائل اللغوية التاريخية التي شغلت قسطاً غير يسير من اهتمام اللغويين والنحاة الاقدمين. ومن أجل ذلك حفلت كتب الفهارس القديمة بتصانيف أولئك الأئمة في مادة «المذكر والمؤنث)، فقد شغـل «المـذكـر والمؤنث» أو «التـذكير والتأنيث» مكاناً كبيراً من «كشف الظنون) مثلا. وهذا يعني أن المشكلة ليست واضحة وضوحاً كافياً في أذهان اولئك المعلمين العلماء. وأن فيها شيئاً ينبغي الكشف عنه وتوضيحه. ومن أجل ذلك عمدوا في ذلك الى ما يعمد اليه المعلم الذي يريد إيصال المعرفة الى طلابه، فقد صنّفوا في المؤنثات فكان من ذلك «المؤنثات السماعية» فكتبوا

(١) العدد المزدوج ١ ـ ٢ سنة ١٤٠٢هـ ص ص٩٢ـ١٢٥.

فيها رسائل ما زلنا نقرؤها في أيامنا. وكان من ذلك ما أشاروا إليه في باب «ما يستوي فيه المذكّر والمؤنّث». ولقد ظفرت العربية بمادة علمية مفيدة حين شارك النحويون أصحابهم اللغويين في ضبط هذه المسألة. ومن أجل ذلك عرفنا عن هذه المسألة في العربية أكثر مما نعرفه عنها في سائر اللغات السامية.

لقد برزت مشكلة المذكر والمؤنث في العربية بشكل واضح على نحو يثير كثيراً من المسائل بخلاف ما تكون عليه هذه المشكلة في اللغات السامية الأخرى، ولعل السبب في كل ذلك ان العربية لغة كتبت لها الحياة وظلت قائمة خلال العصور حيّة متطورة، ولم يحدث شيء من هذا في تلك اللغات السامية شقيقات العربية فقد اندثر أغلبها ومات، ولم يبق منها إلا شيء يسير قليل الاستعمال، وذلك لأن هذه العربية الفصيحة قد طغت عليها وغلبتها.

قلت: ان المسألة تثير كثيراً من المسائل، وذلك لأنها تبرز شيئاً من التاريخ اللغوي. لكأن العربية القديمة كانت قد مرّت بمرحلة تأريخية لم تكن فيها مسألة الجنس في التذكير والتأنيث واضحة تمام الوضوح. وسأعرض لما يدلّنا على وجود هذه المرحلة كما لا نعدم النظر في اللغات السامية لنتبين ذلك.

ذكر النحويون الأقدمون أن الصفات على بناء «فَعيل»[٢] و«فَعول» مما يستوي فيها المذكر والمؤنث نحو: جديد، وجريح، وطريد، وكذوب،

---

(٢) ذكروا أنّ «فعيل» بمعنى «مفعول» يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولكن الاستقراء دلّنا على أن «فعيل» بمعنى «فاعل» يدخل في هذا الباب، قال الشاعر:

فديتكِ أعدائي كثير وشُقّتي ... بعيد وأشياعي لديكَ قليلُ

ومثله قوله تعالى: «ان رحمة الله قريب من المحسنين» ٥٦ سورة الأعراف.

وصبور، وعدوّ. غير ان اللغة في تطوّرها عبر العصور احتاجت الى التمييز بين المذكر والمؤنث حتى في هذين البناءين كما تدلّ على ذلك الشواهد الكثيرة، فصرنا نرى: صديقة وعدوّة وعجوزة وقتيلة، قال المتنبي:

لكِ اللهُ من مفجوعةٍ بحبيبها قتيلة شوقٍ غيرِ مُلحقِها وَصْما

واذا كان المعربون قد وجدوا أن الحاجة تدعو الى التمييز، ولا بدّ من التفريق بين المذكر والمؤنث بالعلامة الفارقة، فإن هذا يعني أن اللغة ماضية في هذا الطريق من التطوّر الحتمي. ومن أمثلة ذلك كلمة «عروس»، وهي نعت يستوي فيه الرجل والمرأة، وفي «الصحاح» ما داما في إعراسهما. يقال: رجل عروس في رجال أعراس وعُرُس، وامرأة عروس في نسوة عرائس، فكأنهم ميّزوا في الجمع بين المذكر والمؤنث. وفي المثل: «كاد العروس يكون أميراً»، وفي الحديث: «فأصبحَ عروساً»[٣].

غير أنّ هذه الكلمة خُتمت بعلامة التأنيث في عصرنا في اللغة السائرة في جملة بلدان عربية، فأنت تجد «العروسة» في صحف لبنان وسورية ومصر. وقد بلغ بهؤلاء حرصهم على التمييز أنهم احدثوا بناء جديداً خاصاً بالمذكر فقالوا: «عَريس» بتخفيف الراء، كما قالوا: «عِرِّيس» بكسر العين وتشديد الراء، وهذه الأخيرة خاصة بالعراقيين.

وفي العربية جمهرة من الصفات مما يجري للمؤنث والمذكر على السواء دون أن يختم المؤنث بعلامة التأنيث. قال اللحياني[٤]: ما كان على

---

(٣) انظر «اللسان» مادة (ع ر س).

على ان العلامة قد الحقت ببناء «فَعول» فقد ورد: ناقة «حلوب» أي ذات لبن، فاذا صيّرتها اسماً. قلت: هذه «الحلوبة» لفلان، وقد يخرجون الهاء من «الحلوبة» وهم يعنونها، ومثله «الركوبة» و«الركوب» لما يركبون.

(٤) اللسان مادة (ع ط و).

«مفعال» فان كلام العرب والمجمع عليه بغير هاء في المذكّر والمؤنّث إلا أحرفاً جاءت نوادر قيل فيها بالهاء نحو: رجل معطاء وامرأة مِعْطاء، ومن ذلك ناقة مِرْقال، أي شديدة العدو، وناقة مِرسال أي سهلة السير ويجري هذا على المذكر فيقال: جمل مِرقال ومِرسال، ومن ذلك أيضاً قولهم: فرس ممراح وناقة ممراح أي نشيطة، كما يقال: فرس مِمْرح ومِروح. ويقال: سيف مئناث، أي حديدية ليّنة، وسيوف مئناثة،وهذا من جملة هذه الألفاظ القليلة التي يختم فيها بناء «مفعال» بعلامة التأنيث. ومنه رجل معطار وامرأة معطار ومعطارة.

وأكبر الظن ان علامة التأنيث لم تلحق هذه الألفاظ القليلة إلاّ في حقبة لاحقة للأحقاب الأولى التي لم يسجل فيها هذا الفرق بين المؤنث والمذكر.

واذا استقرينا أبنية الصفات التي لا تلحقها علامة التأنيث وجدناها كثيرة، فمن ذلك ما كان على «مِفعَل» نحو «مِغشَم»، والمِغشم من الرجال الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى من شجاعته، قال أبو كبير:

ولقــد سَرَيتُ على الــظلام بمغشَمٍ جَلْـدٍ من الفتيان غير مُثَقَّـلِ

ومنه ما كان على «مُفعِل» من صفات المؤنث نحو «مُطفِل» وهي ذات الطفل من النساء.

ومنه «مُغْيِل» كقول امرىء القيس:

فمـثلُكِ حُبلَى قد طَرَقتُ ومُــرضِــعَ فألهَيْتُهــا عن ذي تمــائمَ مُغيِلِ

و«المـطفـل» من الإبـل ما كان معهـا أولادهـا، والجمـع «مَطافِل» و«مَـطافيل»، وقد جاء في مصادر العربية «مُطفِلة» بالعلامة أيضاً، ويغلب

على ظني ان هذا كان قليلاً، وربما كان في لغة الشعر للحاجة إليه كما هو معروف.

ومن ذلـك أيضاً «مُرْضِع» كما في بيت امرىء القيس الذي تقدم، و«المُـرضع» التي تُرضع ولدها، وكأنها تختلف عن «مرضعة» الى كل من أرضعت طفلاً أمّاً كانت أم غير أمّ، ومن ذلك ما ورد في لغة التنزيل: «يومَ تَرونها تذهَلُ كلُّ مُرضعةٍ عمّا أرضَعَت»(٥)، وكذلك قوله تعالىٰ «وحرَّمْنا عليه المراضع»(٦)، فهي جمع «مُرضعة».

ومن ذلك قولهم: امرأة «مُحيل» وناقة «مُحيل» و«مُحوِل»، وهي من النساء من ولدت غلاماً على أثر جارية، أو جارية على أثر غلام(٧).

ويقال: ناقة «مُبْلِم» و«مِبْلام»، وهي التي لا ترغو من شدّة الضَّبعة(٨).

ويقال: امرأة «مُملِص»، وهي التي رمت ولدها لغير تمام، فإن كان ذلك عادة فيها قيل: «مِملاص». وكذلك يقال: ناقة «مُملِص» في المعنى نفسه(٩).

ويقال: جارية «مُعصِر»، وهي التي دنا حيضها، قال عمر بن أبي ربيعة:

وكـانَ مِجَنّي دون من أتّقيهُمُ ثلاثُ شخـوصٍ كاعبـانِ ومُعصِـرُ(١٠)

ومن أقوالهم: «ما بالدار عَريب ومُعرب» أي ما بالدار من أحد، الذكر

---

(٥) ٢ سورة الحج.

(٦) ١٢ سورة القصص.

(٧) اللسان مادة (حول).

(٨) المصدر السابق مادة (بلم).

(٩) المصدر السابق مادة (ملص).

(١٠) انظر الديوان، واللسان مادة (عصر).

والأنثى فيه سواء، ولا يقال في غير النفي[11].

ويقولون: ناقة «مُمرِج»[12] اذا ألقت ولدها بعدما صار غرساً ودماً.

ومن الأبنية الخاصة بالمؤنث بناء «فاعل» والاستقراء يدل على هذا. وهذا البناء عار من علامة التأنيث إلاّ في أحرف قليلة كما سنتبين ذلك.

ومن هذا ما جاء من صفات المرأة نحو: حامل، وكاعب، وطالق[13]، وناشز، وعانس[14]، وعاتق[15]، وغير ذلك مما هو معروف في كتب اللغة ومعاجمها.

ومن صفات الناقة نحو: «حائل» وهي التي حمل عليها فلم تلقح، وقيل: هي الناقة لم تحمل سنة أو سنتين. ومنها «لاقح» ومثلها «القارح»[16] وهي اللقوح الحامل، ويقال: نخلة «حائل».

ومن صفات الفرس والحصان «سابق» و«لاحق» وهما للذكر والأنثى.

وفي العربية أبنية أخرى تُجرى مجرى النعوت والأسماء معاً، وهي ممّا يستوي فيها المذكّر والمؤنث، ومن ذلك ما جاء على «فَعال» نحو: «حَصان» للعفيف من الرجال والنساء و«وَقاح» للرجل والمرأة.

ومن ذلك أيضاً لفظ «قدَم»[17] لمن يتقدّم في الخير، وهي للرجل

(١١) اللسان مادة (عرب).

(١٢) المصدر السابق مادة (مرج).

(١٣) وقد سمع «طالقة» بالعلامة كما في قول الأعشى:

أيا جارتا بيني فإنّكِ طالقةْ

(١٤) وقد سمع: رجل «عانس»، اذا طال مكثه ولم يتزوج.

(١٥) وهي التي في بيت أبويها، ولم يقع عليها اسم الزوج، انظر اللسان.

(١٦) انظر اللسان مادة (قرح).

(١٧) وقد ورد: امرأة «قَدَمه»، انظر اللسان (قدم).

والمرأة. وكذلك قولهم: «طفل» للذكر والأنثى والجمع[١٨]، ومثل هذا كلمة «وَلَد» للمذكر والمؤنث ولأكثر من واحد[١٩].

ولعل بناء «مِفعيل» أكثر ما ينصرف للمذكر نحو «مِعطير» و«منطيق»، غير أن «مِسكين» ينصرف للمذكر في حين قالوا: «مسكينة» للمؤنث[٢٠].
وعلى العكس من ذلك نجد «أتراباً» في قوله تعالى: «عُرُباً أتراباً»[٢١]، فتنصرف «الأتراب» وهي جمع «تِرْب» الى المؤنث على الأكثر، وقيل: «تِرْب» للرجل الذي ولد معه. وكذلك «الظِّئْر» للعاطفة على غير ولدها، المرضعة له من الناس والإبل، وقالوا: الذكر والأنثى فيها سواء[٢٢].

ويبدو من هذا العرض لهذه الأمثلة أن المؤنث لا يميّز عن المذكّر تمييزاً تامّاً بالعلامة، وليست العلامة إلاّ شيئاً لحق الاسم في ألفاظ يسيرة من هذه الأبنية التي أشرنا إليها. وأغلب الظن ان هذا اللحاق حصل في حقبة لاحقة للحالة الأولى التي لم تكن فيها هذه الأبنية قد عرفت العلامة.

ولعلّ هذا يتّضح من البحث في المسائل اللغويّة التاريخيّة، ومن ذلك أنهم ذكروا أن: «زوج» المرأة بعلها، و«زوج» الرجل امرأته. وقد أثبت اللغويون هذا، وبه قال «الأصمعي وأنكر «زوجة» بالهاء» وزعم الكسائي عن

---

(١٨) ومنه قوله تعالى: «أو الطفل الذين لم يُظهَروا على عورات النساء» ٣١ سورة النور. وقالوا «طفلة» للجارية الحسناء.

(١٩) دلالة الولد على الإفراد والجمع بنوعيها كثير وهو يبدو واضحاً في جملة من الآيات وان كان في الدلالة عموم ينصرف الى الابهام كقوله تعالى مثلاً في الآية ٢٣٣ من سورة البقرة «ولا تُضارُّ والدة بولدها، ولا مولود بولده».

(٢٠) وقالوا: «مسكينة» فشبّهوها به «فقيرة»، انظر اللسان (سكن).

(٢١) ٣٧ سورة الواقعة.

(٢٢) انظر اللسان (ظئر).

القاسم بن معن: انه سمع من ازدشنوءة بغير هاء وبالهاء، وحجة الأصمعي أن الكلمة وردت بغير هاء في لغة التنزيل كما في قوله ـ عز وجل ـ: «ويا آدم أسكن أنت وزوجـك الجنة»(٢٣)، وقوله تعالى «أمسِكْ عليكَ زوجك»(٢٤)، وقوله تعالى: «وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوج»(٢٥)، وقالوا: هي بالهاء لغة بني تميم وبهذا قال الفرزدق:

وإن الـذي يسعىٰ ليفسدَ زوجتي   كسـاعٍ الى أُسـد الشـرَىٰ يستبيلُها

وقال ذو الرمة:

أذو زوجــةٍ بالمِصْـرِ أم ذو خصـومـةٍ   أراكَ لهـا بالبصـرةِ العـامَ ثاويا

ولا بدّ ان نعـود الى علامـة التـأنيث لنتبين أصـالتهـا واختصـاصها بالتأنيث. لقد ذكر الأقدمون من اللغويين والنحويين أن علامة التأنيث: الهاء والألف المقصورة والألف الممدودة. وقولهم: «الهاء» يشير الى أنها الأصل في التأنيث، وأنها تتحوّل تاء «في الكلمة الواقعة في درج الكلام وفي غير الـوقف. ومثل هذا في لغات سامية أخرى كالعبرانية مثلاً فالكلمة «شانا» تعني «سنة» في العربية، وهي كلمة مؤنثة مختومة بالهاء، حتى اذا كانت في حشو جملة تحوّلت الهاء في آخرها كما في الرسم العبري שָׁנָה الى تاء فصارت «شنت» والهاء في الكلمة العبرية كنظيرتها في العربية لا تنطق.

أقـول: لا علاقـة بين الهـاء أو (التـاء) علامةً للتأنيث وبين الألف مقصورة وممدودة علامة أخرى للتأنيث من الناحية الصوتية. وليس في نحو اللغات السامية هذه الالف مقصورة أو ممدودة علامةً للتأنيث إلا ما كان في

---

(٢٣) ١٣ سورة الأعراف.

(٢٤) ٢٠ سورة النساء.

(٢٥) ٣٧ سورة الأحزاب.

السريانية من وجود الالف المقصورة فكلمة «ليلا» مؤنثة بمعنى «الليل».

واذا عدنا الى الهاء أو التاء علامة للتأنيث في العربية وغيرها من هذه اللغات وجدنا ان هذه العلامة تقتضي أن يكون ما قبلها مفتوحاً. ومن هنا كان علينا أن نعقد صلة صحيحة بين هذا الفتح وبين الألف مقصورة وممدودة من حيث كونها علامة للتأنيث.

واذا كانت «الهاء» وهي علامة للتأنيث لا تنطق إلاّ اذا تحوّلت تاءً في درج الكلام فان ذلك يدعونا الى ان نعدّ الفتح علامة للتأنيث في آخر الكلمة(٢٦). وهكذا يكون الفتح قصيراً أم طويلاً من لوازم التأنيث. واذا علمنا أن الناس يتفاوتون في مدّ الفتح في آخر الاسم أو في أوله أو حشوه، فاننا نستطيع أن نفسر أن الألف المقصورة تتولّد من مدّ الفتحة الأخيرة قليلاً ثم يطول المدّ فتتولد الألف الممدودة(٢٧).

غير أن الألف المقصورة للتأنيث(٢٨) لا تكونُ في الوصف إلا في مؤنث «أفعَل» أفضل وفُضْلَى. وأوّل وأولى وأكبر وكُبْرى وغيرها. وعلى هذا لا تكون

---

(٢٦) تظهر الفتحة في آخر الاسم المؤنث قبل العلامة، وهذه صفة غالبة يستثنى من ذلك ما كان ثنائياً أحادي المقطع نحو: بنت وأخت والنون والخاء ساكنان.

(٢٧) قلت: ان الألف المقصورة تتولد من إطالة الفتحة. ومما يؤيد هذا اننا نجد العربية حافلة بالألفاظ التي عرض لها المدّ فتولد من ذلك صورة ممدودة للكلمة نحو قولهم: يَمَن ويمان، وزَمَن وزمان، ومن هذا الكثير من الكلم التي حفلت بها العربية.

(٢٨) ان الألف المقصورة تتولد من إطالة الفتح، ويؤيد هذا ما نجده في العربية من الكلم، ذلك ان «ليلة» تتحول الى «ليلَى» فاختصت بالعلم المؤنث، ويؤيد هذا ان الكلمة في العبرانية والآرامية مؤنثة وهي «ليلا» وليس في هاتين اللغتين نظير المذكر «ليل» في العربية، وتمد هذه الالف المقصورة (اي الفتح) حتى تتحول الى ما اسموه الف التأنيث الممدودة فتكون «ليلاء»، وأجريت مجرى الصفة فقالوا: ليلة ليلاء، وليس هناك وصف على «أليل»، ويدلنا على هذا ما نجده في كتب اللغة نحو: البؤس والبؤسَى والبأساء، والنُعْم والنُعمَى والنعماء. وقد اطالوا الفتح من «سَمحه» فتولدت «سَمْحاء» فقالوا الشريعة السمحاء، وليس في العربية «سَمْحاء».

هذه الألف المقصورة منقطعة للتأنيث فقد تختم بها كلمات كثيرة مذكرة، وليس بنا حاجة الى التمثيل فذلك متعالَم متعارف. ومثل هذا يقال في الألف الممدودة فقد ترد علامة للتأنيث كما ترد في كلمات كثيرة ولا تفيد التأنيث. ألا ترى مثلاً أن «خُشَشاء»[٢٩] و«الجمّاء» في قولهم: جاءوا الجمّاء الغفير، ومنه «الحِرْباء» للمذكر والمؤنث[٣٠].

وجاءت هذه الألف في جموع التكسير وأفراد تلك الجموع مذكرة نحو «رُحمَاء» جمع رحيم، و«أطباء» جمع طبيب[٣١].

وقد نخلص من النظر في علامة التأنيث الى أنها غير مختصة بالمؤنث، ومعنى هذا أنها ليست ذات أصالة في التأنيث. اننا نجد هذه التاء في طائفة كبيرة من الأسماء فلا نتوسم فيها دلالة التأنيث، ومن ذلك التاء في الراوية والباقعة والعلاّمة والفهّامة ونحو ذلك. ثم ان هذه التاء تكون في طائفة من أسماء الجمع مما يمكن أت تلحق بأبنية التكسير نحو «المارة»[٣٢] أي المارّون، و«السيّارة» كما في قوله تعالىٰ: «يلتقطه بعض السيّارة»[٣٣] وكالتاء في «الملائكة» و«الأساتذة» و«التلامذة»[٣٤]، والتاء في نحو «البغاددة» و«المغاربة» وغيرها[٣٥].

(٢٩) الخُشّاء والخُشَشاء عظم بارز خلف الأذن.

(٣٠) أنثوا «الحرباء» على «الحرباءة» وكأنّ التاء جيء بها لإفادة الوحدة.

(٣١) علل النحاة عدم تنوين هذه الجموع المختومة بالهمزة فقالوا: ان الفها ألف تأنيث ممدودة.

(٣٢) اقول: هذا من أبنية الجموع القديمة في العربية وما زال معروفاً في الفصيحة والألسن الدارجة، فالمعروف ان العراقيين يستعملون «العَمّالة» جمعاً للعامل المختص بالبناء، ومثل هذا الصاغة والباعة جمعا صائغ وبائع، وهو كثير في العربية القديمة ومنه «الراح» و«الهام» و«الساع» و«الساح» وغيرها جموع: راحة وهامة وساعة وساحة، والغريب في هذا ان صيغة هذه الجموع قد سقطت منها علامة التأنيث في الأسماء المفردة.

(٣٣) ١٠ سورة يوسف.

(٣٤) التاء في «الملائكة» و«التلامذة» و«الاساتذة» تشير الى الأصل الأعجمي.

(٣٥) التاء في «البغاددة» ونحوها تشير الى ان المفرد منسوب «بغدادي».

وقد تؤدي هذه التاء فوائد أخرى ما خلا التأنيث، فمن ذلك إفادتها الوحدة كالتاء في نحو: «التمرة» و«الشجرة» لكل واحدة من التمر وواحدة من الشجر.

وقد تلمح هذه التاء معنى القلّة والصغر، وذلك في الأسماء المصغّرة للمؤنثات التي لم تلحقها العلامة وهي مكبّرة مما أطلق على طائفة منها «المؤنثات السماعية»، فمن ذلك قالوا: «سويقة» في تصغير ساق أو سوق[36]، وكذلك «عُيَيْنة» في تصغير «عين»، و«عُيَينة» من أسماء الرجال ومن ذلك سفيان بن عيينة من مشاهير التابعين.

ومن هذا «أُذَينة» تصغير «أُذن»، و«أُذَينة» من أسماء للرجال في العربية القديمة، زمن ذلك عروة بن أذينة من الشعراء الاسلاميين.

ومن الغريب ان المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة التي تقضي بالحاق علامة التأنيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة[37]، ولذلك صغّروا «أُذن» على «أُذين» فقالوا: «الأُذَين الأيمن» و«الأذَين الايسر» كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغّر مقابلاً لـ«بُطَين» في قولهم «البُطين الأيمن» و«البطين الأيسر»، غير ان تصغير «بطن» على «بطين» صحيح لأن «البطن» مذكر في العربية الفصيحة، وهي مؤنثة في الألسن الدارجة، والفصيحة المعاصرة على التجاوز والخطأ.

وكأني ميّال الى أن أقرّر أن التأنيث بالعلامة طارىء في العربية من الناحية التاريخية كما هو طارىء في غير العربية من اللغات السامية كما

(٣٦) حفل «معجم البلدان» بأسماء مواضع وحواضر صدرت بـ«سويقة» تصغير سوق. ومن ذلك: سُوَيقة خالد بباب الشماسية ببغداد، وسويقة العباسة (أخت الرشيد) وغيرهما.

(٣٧) هذه قاعدة شاملة عامة في العربية، ولم أقف على الشواذ منها إلّا كلمة «قوس» وهي مؤنثة من غير علامة ولم يسمع تذكيرها، ولكنهم قالوا في تصغيرها «قُويس» ولم يؤثر عنهم «قويسة».

سنرى، وعلى هذا نستطيع فهم كثير من أبنيتهم التي عريت عن العلامة من صفات المؤنث كقولهم: امرأة رَداح ورَداحة ورَدوح.

وقولهم: قوس ركوض، وناقة مراوح، وهي التي تبرك من وراء الإبل.

وقولهم: ناقة مُشمعِلّ، أي سريعة كما قالوا: مشمعلة، وأكبر الظن ان هذه الأخيرة حادثة وليست قديمة.

وقولهم: ناقة شائل، وهي التي تشول بذنبها للفحل، وكننا قد رأينا أن كثيراً من نعوت الناقة قد عريت عن العلامة.

واذا جئنا الى الفعل في العربية ونظرنا في مسألة اتصاله بتاء التأنيث في حال كون الفاعل مؤنثاً، وجدنا هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح، وهي ان العلامة ليست شيئاً لازماً، وهذا يوضح لنا شيئاً من التطور التأريخي في تقرير هذه المادة اللغوية. ولنعرض للغة القرآن ونتخذها مادة نخلص منها الى فائدة تاريخية في هذه المسألة، ولنتلو قوله تعالى في جملة «من الآي الكريم»:

«وقال نسوةٌ في المدينة» ٣٠ سورة يوسف.

«يا أيها النبيّ» اذا جاءك المؤمنات» ١٣ سورة الممتحنة.

«لقد جاءك رُسُل ربّنا بالحقّ» ٤٣ سورة آل عمران.

«قل قد جاءكم رُسُل من قبلي بالبيّنات» ١٨٣ سورة آل عمران.

«ولقد جاءتهم رُسُلنا بالبيّنات» ٣٢ سورة المائدة.

«فإن زللتُم من بعد ما جاءتكم البيّنات» ٢٠٩ سورة البقرة.

«وجاءهم البيّنات» ٨٦ سورة آل عمران.

«وقال طائفة من أهل الكتاب» ٧٢ سورة آل عمران.

«فإذا بَرزوا من عندك بيَّتَ طائفة منهم» ٨١ سورة النساء .

أجتزىء بهذا القدر من شواهد لغة التنزيل لأتخذ منها أمثلة على عدم لزوم هذه التاء لبيان المؤنث لزوماً مطلقاً مطرداً، وفي هذا دليل على حدوث هذا وعدم أصالته. غير ان النحويين قد قرروا ما وجدوه في العربية فأفادوا منه قواعدهم في وجوب تأنيث الفعل وجوازه، كما حاولوا ان يكون استقراؤهم في هذه المسألة مستوعباً جميع الأحوال.

ولنعرض الآن لطائفة من الكلم القديم لنقف فيه على التأنيث والتذكير مع النظر في اللغات السامية.

ولنقف على كلمة «جَمَل» وهو الحيوان المعروف، وهو مذكر والمؤنث هو الناقة، ولكننا لا نعدم أن نجد في العربية أن «الجمل» قد أطلق على المذكر والمؤنث، وقد سُمع من قولهم: «لبن جَمَلي»(٣٨). واللفظ (جمل) gamla في العبرانية والسريانية يدل على المذكر والمؤنث.

ومثل «الجمل» «البعير» يتصرف للمذكر والمؤنث، وهو في العبرانية «بعْير» مذكر، وفي السريانية «بعْيرا» يراد به جملة الدواب العاملة.

ولا بدّ أن نقول: ان كل ما يتصل بالناقة في العربية من أسماء قد خلا من التاء في الغالب.

و«الحصان» مذكر في العربية، و«الفرس» لفظ يطلق على الذكر والأنثى، وذكر سيبويه: انه يقال في العدد ثلاثة أفراس، وقال ابن سيده: انها أكثر ما تنصرف للمؤنث.

وفي العبرانية «Parach» مذكر، ومثله «سُوس» بمعنى حصان،

---

(٣٨) اللسان (ج م ل).

ومؤنثة «سوسا، وأما في السريانية «سوسا» و«سوستا».

و«الكبش» مذكر، وهو كذلك في العبرانية «كِبش»، وفي السريانية «كِبشا». وفي هذه الأخيرة لفظ مؤنث هو «نِقيا»، وقد قيل إنه كذلك في اللغة الآشورية.

ونجد في العبرانية لفظاً مؤنثاً هو «راحَيل» ويعني «العَنزة»، وربما يقابله في العربية «رِخْل» أو «رَخِل» للأنثى من ولد الضأن، وهي من غير أداة، وقد تختم بالأداة فيقال «رِخْلة» أو «رَخِلة».

و«الحِمار» مذكر، والمؤنث «أتان».

وفي العبرانية «حْمُور» للمذكر، و«أتُّون» للمؤنث، وفي السريانية «حُمارا» للمذكر و«أتانا» للمؤنث. كما ولّدوا «حْمارتا» بالأداة للمؤنث تمييزاً وتنبيهاً وجرياً على المؤنثات الأخرى المولّدة بعد الأصول القديمة.

وأكبر الظنّ ان «الحِمار» في العربية كان لكلا الجنسين، ثم غلب على المذكر في الاستعمال، ويدلّنا على هذا قولهم: «حِمارٌ جَمَزَى» أي سريعة، وكون الصفة للتأنيث تدل على أن الموصوف مؤنث، كما قالوا: «حمارٌ حَيَدَى»[٣٩]، أي يحيد عن ظلّه لنشاطه. غير أنهم قالوا «حمارة» بالعلامة تأكيداً للمؤنث واختصاصاً به، كما قالوا «أتانة» تأكيداً للمسألة نفسها، مع العلم ان «الأتان» مؤنث الحمار.

---

(٣٩) اللسان (ح ي د)، قال الأصمعي: لا أسمع «فَعَلى» إلاّ في المؤنث إلاّ في قول الهذلي:

كأنّي ورحلي اذا رُعتُها ... على جَمَزَى جازىءٍ بالرمال

وخطّأ الكسائي استعمال «جَمَزَى» صفة للجمل، وهذا مثل قول الأصمعي. وجاء أيضاً: أن ما جاء على هذا الباب نحو: جَمَزَى وبَشَكى، وزَلَجى ومَرَطى من صفات الناقة دون الجمل (انظر اللسان ج م ل).

و«الضَّبُـع» مؤنث في العربية، والمذكر «ضِبْعان»(٤٠)، ورُبّما صرفوا «الضَبُع» للمذكر والمؤنث.

وهو «أيْعَى» في السريانية وهو مؤنث. و«صَبُوع» في العبرانية مذكر ومؤنث. و«السَّبُـع» مذكـر، والأنثى «لَبُـوَة» كمـا أن هنـاك «أسَد» للمذكر والمؤنث، ولا نعدَم أن نجد «أسَدة» مختوماً بالعلامة. وفي العربية طائفة من الألفاظ تعني «الأسد» وهي أسماء كما نجد طائفة أخرى من النعوت الخاصة بالأسـد. ومن أسماء الأسد «الليث» للمذكر، والمؤنث «لَبْأة»، ومثل هذا نجد «لايش» في العبرانية للمذكر، و«لا بيأ» للمؤنث.

ومن المفيد ان نعـرض لمـا يسمى «خَلْق الإنسـان» لنتبين التذكير والتأنيث في جملة «الأعضاء» ونشير الى الفوائد اللغوية في مقابلة العربية بغيرها من مجموعة اللغات السامية:

«يَدْ» وهي مؤنثة في العربية، وكذلك في العبرانية إلا شذوذاً، وأما في الآرامية الانجيلية فهي مذكر ومؤنث.

«رِجْل» وهي مؤنثة في أغلب اللغات السامية.

«كَتِف» وهي مؤنثة في العربية، وكذلك في العبرانية والسريانية.

«ذراع» وهي مؤنثة في العربية والعبرانية، ولكنها مذكر في السريانية «ذرْاعا».

«أُذُن» مؤنثة في العربية وسائر اللغات السامية.

«سِنّ» مؤنثة في العربية والسريانية. ولكنها تتردد بين التذكير والتأنيث في العبرانية.

---

(٤٠) في العربية طائفة من هذه الألفاظ المختومة بالألف والنون، من أسماء الحيوان، وكلها مذكر، منها ثُعلبان وأفعوان وغيرها.

ونفيد من هذا العرض الموجز لهذه الطائفة من الأسماء أن التأنيث والتذكير مادة غير مستقرة في اللغات السامية، وليست العلامة واضحة كل الوضوح في طائفة كبيرة من الألفاظ، وعلى هذا فإننا نستطيع أن نقرر ما كنا قد أشرنا اليه في أول هذا البحث فنقول: ان المؤنث اكتسب صورته الأخيرة حين ختم بالعلامة، وذلك بعد أن تطوّرت هذه اللغات تطوراً اقتضى التمييز في هذه المسألة.

غير أن النحويين حاولوا أن ينظروا نظرة أخرى فيخضعوا الأحوال الغالبة الى ما يشبه القواعد، ولكنهم لم يفلحوا كثيراً، فقد حملوا على الشذوذ كل ما لم يستطيعوا القول فيه، أو أنهم قالوا: إن ذلك خاص بالشعر.

لقد ذكروا في باب الفاعل: انه إن كان مؤنثاً أُنِّث فعله بتاء ساكنة في آخر الفعل الماضي، وبتاء المضارعة في أول المضارع.

ويجب ذلك في مسألتين:

إحداهما أن يكون ضميراً منفصلاً، نحو: «هند قامت، أو تقوم»، و«طلعت الشمس أو تطلُعُ» بخلاف المنفصل نحو: «ما قام إلاّ هي»، ويجوز تركها في الشعر إن كان التأنيث مجازياً كقول عامر بن جُوين الطائي:

فلا مزنةٌ ودَقَت وَدْقَها ... ولا أرض أبقَلَ ابقالُها

وكقول الأعشى:

فأما تريني ولي لِمّةٌ ... فإنّ الحوادثَ أودَى بها

والثانية: ان يكون متصلاً حقيقي التأنيث نحو: «قالت فاطمةُ» أو «تقول فاطمة». وشذّ: «قال فلانةُ».

ويجوز الوجهان في مسألتين: إحداهما: المنفصل كقول جرير:

لقــد وَلَــدَ الأخــيطلَ أمُّ سوءٍ . . . . .

ونحو قولهم في مثالهم المصنوع: «حَضَر القاضي اليومَ امرأة» وقالوا: هنا التأنيث أكثر، فإن كان الفصل بـ«إلّا» فالتأنيث ممتنع، وورد في الشعر كقول الراجز:

ما بِرَئــت من ريبــةٍ وذمٍّ في حربنــا إلّا بنــات الــعَــمِّ

وجوّزوه في النثر كقراءة من قرأ: «إن كانتْ إلّا صيحةٌ» ٢٩ سورة يس.

وكقوله تعالى: فأصبحوا لا تُرى إلّا مساكنُهم» ٢٥ سورة الأحقاف.

والثانية: المجازي التأنيث، وحشروا في هذا القسم ما كان اسم جنس واسم جمع وجمعاً نحو قوله تعالى: «كذَّبَت قبلهم قوم نوح» ١٠٥ سورة الشعراء.

وقوله تعالى: «قالت الاعراب» ١٤ سورة الحجرات.

وقوله تعالى: «وكذَّبَ به قومُك» ٦٦ سورة الانعام.

وقوله تعالى: «وقال نسوة. . .» ٣٠ سورة يوسف.

كما نجد قوله تعالى: «. . . إلّا الذي آمنت به بنو اسرائيل» ٩٠ سورة يونس. وقوله تعالى: «اذا جاءك المؤمنات» ١٢ سورة الممتحنة. وجملة هذه النصوص أفاد منها النحويون فوضعوا قواعدهم دون أن يحاولوا تفسيرها أو تعليلها. وهم في هذه المسألة كانوا مقررين قد وصفوا ما وجدوه واستقروه على غير عادتهم التي جروا عليها.

وذكـروا في باب الاضـافة: أن المضاف يكتسب من المضاف إليه التأنيث واستشهدوا بمثلهم المصنوع: «قُطِعت بعضُ أصابعه»، وكان عليهم أن يرجعوا الى النصوص الفصيحة ليجدوا بديلًا له في قوله تعالى: «وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائق وشهيد» ٢١ سورة ق.

وما أظنّ أن قول النحويين في هذه المسألة وجيه، اذ ليس المضاف مكتسباً للتأنيث، وحقيقة الأمر أن سليقتهم ساقتهم الى مراعاة الفاعل في المعنى وهو «نفس» وليس «كلّ».

وذكروا أيضاً ان المضاف يكتسب التذكير من المضاف إليه وجعلوا منه قوله تعالى: «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» ٥٦ سورة الأعراف».

وليس الأمر كذلك، فلم يكتسب المضاف تذكيراً، وذلك لأن الإخبار بـ«فعيل» هو الـذي جرّهم الى هذا القـول الضعيف. وقـد أشرنا الى أن «فعيل» من أبنية الصفـات لا تلحقـه الأداة سواء كان بمعنى «فـاعـل» أو «مفعول»، وفي النصوص القديمة ما يؤيد هذا تأييداً تامّاً كما بيّنا. وعلى هذا نستطيع ان نحمل الشاهد النحوي القديم:

خبـيرٌ بنــو لِهْــبٍ فلاتــك مُلغــياً   مقــالــةَ لِهْـبيٍّ اذا الــطيرُ مرَّتَ

ولا حاجة أن نبتعد كثيراً في التوجيهات النحوية التي لم تسلم من التكلّف البيّن. وقد أسلفت أن التأنيث في العربية بالأداة غير واضح، وان مسألة التأنيث والتذكير لكثير من الألفاظ مسألة اعتبارية، ونستطيع أن نختم هذه النظرة بما عرف عند اللغويين بالمؤنثات السماعية التي لم يتفق على الكثير منها، فقد قالوا مثلا:

«النفس» مؤنثة على قدر اللفظ، ومذكرة على قدر الرجال، فيقال:

ثلاث أنفس وثلاثة أنفس.

و«الروح» مذكر، وعلى مذهب النفس مؤنثة. و«الروح» جِبريل مذكر، و«الروح» عيسى - عليه السلام - مذكر.

و«العُنُق» يذكر ويؤنث، والتذكير أغلب.

و«اللسان» يذكر ويؤنث، والجمع على التذكير «ألسنة» وعلى التأنيث «ألسن».

و«الذراع» مذكر ومؤنث.

و«المتن» مذكّر ومؤنث.

و«القضا» يذكّر ويؤنث.

و«الضِّرْس» مذكر، وربّما أنثوه على معنى السن.

و«الأضحى» يؤنث ويذكر (وهو جمع الأضحاة بمعنى الضحية أو الأُضحية).

و«الخَمر» مؤنثة، ويقال: «خمرة»، وقد تذكَّر.

و«السلطان» يذكّر ويؤنث.

و«السبيل» يذكّر ويؤنّث.

و«الطريق» يذكّر ويؤنّث.

و«الشّاء» مذكر (والهمز بدل) وقد تؤنّث على مذهب الغنم.

و«القَليب» مذكر ومؤنث، وجمعه أقلبة وقُلُب.

و«الذَّنوب» يذكَّر ويؤنث، والجمع أذنبه.

و«الحال» مؤنثة وتذكَّر، ويقال لها: الحالة.

و«الدِّرع» مؤنثة وتذكَّر.

و«الفردوس» مذكر، فإن قصدَت الجنّة أنِّثت.

و«السوق» مؤنثة وقد تذكَّر.

و«الصاع» مذكر ومؤنّث.

و«السكِّين» مذكر وقد يؤنث. فأما «سكّينة» فجديد محدث، وقد أنّث إرادة الآلة والأداة.

و«السِّلمُ» مذكر، وبعض العرب يؤنث، وبذلك تشعر الآية الكريمة.

«فان جَنَحوا للسِّلم فاجنَح لها».

و«السَّمَك» مذكرٌ وقد يؤنث.

و«الطاغوت» مذكر ويؤنث.

و«الحانوت» مذكّر ويؤنث.

و«الفُلك» واحد وجمع، ومذكر ومؤنث، وشواهده في لغة التنزيل تؤيد ذلك، قال تعالى:

«والفُلْك التي تجري في البحر بما ينفع الناس» ١٦٤ سورة البقرة.

«حتى اذا كنتم في الفُلك وجَرَينَ بهم» ٢٢ سورة يونس.

«وترى الفلك مواخرَ فيه» ١٤ سورة النحل.

«فأنجيناه ومن معه في الفُلك المشحون» ١١٩ سورة الشعراء.

ومثل «الفلك» «النخل» في لغة التنزيل، ومنه قوله تعالى:

«ومن النخل من طلعها قِنوان دانية» ٩٩ سورة الانعام.

«والنخل باسقاتٌ لها طلع نضيد» ١٠ سورة ق.

«كأنهم اعجازُ نخلٍ مُنقعر» ٢٠ سورة القمر.

«كأنهم اعجاز نخل خاوية» ٧ سورة الحاقة.

فأنت ترى أن النخل مفرد مذكر ومفرد مؤنث وجمع مؤنث.

ومثل «النخل» في هذا التردد «السحاب» في لغة التنزيل كقوله

تعالى :

«والسحاب المسخَّرِ بين السماء والأرض» ١٦٤ سورة البقرة.

«ويُنشِىء السحابَ الثقال» ١٢ سورة الرعد.

«الله الذي يُرسل الرياحَ فتثير سحاباً فيبسطه في السماء» ٤٨ سورة الروم.

فأنت ترى ان السحاب مفرد مذكر بدلالة الصفة، والضمير، ثم انه جمع مؤنث.

و«اليمين» من الحلف مؤنثة، ومن اليد والرجل مؤنثة أيضاً وكذلك من كل شيء.

و«النوى» من النيّة مؤنثة، والنَوى من التمر ونحوه مذكر.

و«المَنون» مؤنثة، وقد تذكر.

و«الخِرْنق» ولد الأرنب مؤنثة وربما ذكّروه.

و«السماء» مؤنثة، وربّما ذكّروا اذا أرادوا السقف.

و«العنكبوت» مؤنثة وتذكّر.

و«حِراء» اسم جبل بمكة يذكَّر ويؤنّث، والتذكير أكثر.

و«الغوغاء» يؤنث ويذكّر.

و«القوباء» مؤنثة، وبعضهم يذكّر.

اجتزىء بهذا القدر من هذه الألفاظ التي أثبتها لتكون شواهد على عدم استقرار هذه المادة اللغوية في ظروفها التاريخية القديمة التي كانت فيها العربية تتجه في مسيرتها نحو التوحيد بعد ان ظلت أحقاباً لغة موزعة في ظواهر لهجية، حتى جاء الاسلام فعمل على توحيدها.

وإذا عرضنا لهذه المشكلة في الألسن الدارجة أخذاً بالتطور اللغوي وجدنا فيها ما يستحق النظر ويدعو اليه، وربما كان مفيداً في فهم بعض الظواهر في العربية الفصيحة. ولا أريد أن اذهب مذهب من يرى ان العامية شيء مرذول ينبغي ان نتعافاه ونتجنب الخوض فيه، وذلك لأنها تقدّم نماذج حيّة يستطيع الباحث ان يجد فيها أثـر التطور اللغوي والعوامل التي دعت اليه. ومن العجيب أن يذهب كثير من الدارسين هذا المذهب في الغضّ من قدر الألسن الـدارجـة، وهم يبـاشـرون العـامية في حديثهم وممارساتهم وتفكيرهـم، ولـو أنهم لووا ألسنتهم على الـذهـاب الى الفصيحة لقصروا وأعياهم الأمر.

إن كثيراً مما انتهى إليه البحث اللغوي في مادة التذكير والتأنيث قد اتخذ صورة ثابتة درجت عليها العربية المعاصرة، فمن المعلوم أن «البطن» من اجزاء الجسم قد نحا فيه المعربون في عصرنا نحو التذكير جهلاً منهم في ان الكلمة مذكر فهم يقولون في تجاوزهم مثلاً: بطن ضخمة، وآلمت المريضَ بطنه، والصواب المنسي هو التذكير. ومثل هذا يقال في «الرأس» فقد نحا فيها المصريون نحو المؤنث فهم يقولون: رأسه كبيرة، وهذا في لسانهم الدارج وفصيحتهم المعاصرة في الصحف وفي أدب القصة وغيره. وكأنّ هذا التحول من المذكر الى المؤنث في لغة المصريين في عصرنا قد عرف فيهم منـذ أكثـر من ثلاثة قرون فقد قرأنا شيئاً من ذلك في «الضوء اللامع» للسخاوي في الكلام على أحد الرجال: أنه قُتل ونُقِلت رأسه (كذا) الى....

وليس عجيباً ان نرى طائفة من أهـل عصـرنـا يميلون الى تذكير

«السوق» ويخالفون بذلك الكثير المشهور، ومثله يقال في «البئر» و«الذراع» و«الباع» وغير ذلك. وكأن المعربين في عصرنا في أيّامنا منساقون في هذا السبيل فيعدّون المؤنث ما كان مختوماً بالعلامة وهي التاء.

وقد يتولّد الخطأ من القياس الخاطىء، ومن ذلك اتجه المعربون في العراق على ان «المستشفى» مؤنث فيقولون مثلاً: «المستشفى مزدحمة بالمراجعين» وسبب ذلك ان المستشفى الكبير في بغداد كان يطلق عليه «مستشفى المجيدية» أي أنه اسس في آخر العهد العثماني في عصر السلطان عبدالمجيد فنسب إليه فقالوا على الخطأ «مجيدية». وقد غيّر اسم هذا المستشفى بعد تأسيس الحكم الوطني فصار يعرف بـ«المستشفى الملكي»، ولكن لفظ «المجيدية» بقي في استعمال الناس لحقبة طويلة، فأعارت هذه النسبة التأنيث لكلمة «المستشفى» على الخطأ. وقد زالت كلمة «المجيدية» ولكن التأنيث ما زال مصاحباً هذا الاسم المذكر.

ومن المفيد أن نشير الى طريقة جديدة من استعمال العدد من الثلاثة الى العشرة، وذلك ان كان المعدود جمعاً مكسراً أو جمع مؤنث سالماً، فالصواب فيه ان يقال: ثلاثة جبال واربعة موضوعات، ولكن المعربين في عصرنا جروا في استعمالهم على القول: ثلاث جبال وأربع موضوعات جرياً على ان «جبال» و«موضوعات» من المؤنث، فلم يكن منهم إلا تذكير العدد، وقد فاتهم ان النظر في هذه المسألة الى المفرد وليس الى الجمع.

خاتمـــــة:

وبعد فهذه جملة فوائد تشتمل على نظر وتدقيق لهذه المادة اللغوية التاريخية.

مُصْطَلَحات تراثيّة في علم المعَادن

للدكتور عبد القادر عابد
والسّيد عبد الله حسين

الجامعة الأردنية

خلاصة المقال

يشتمل هذا المقال على ثلاثين مصطلحا تراثياً في علم المعادن، ظلّت مستعملة منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وحتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ولقد استعملها الأقدمون بنفس معانيها التي تستعمل فيها اليوم. والكثير منها لا نجد له بديلاً حديثاً في كتب العربية، ومن ثم نشأت ضرورة إحيائها.

استهلال:

يبحث علم المعادن في الأشكال الطبيعية المبلورة للمواد غير العضوية. ومن ثم فان دراسة الجواهر والأحجار الكريمة هي جزء مهم من هذا العلم. وليست هذه الأخيرة الا معادن نادرة جميلة كاملة التبلور مقاومة لعوامل الفساد والتفتت.

ولقد كان علم المعادن أقدم علوم الأرض (الجيولوجيا)، حيث ألف فيه اليونانيون ثم ألف العرب المسلمون منذ القرن الثاني الهجري وحتى

القرن الثامن الهجري عددا كبيرا من الكتب المستقلة التي لا تتحدث إلاّ في هذا الموضوع.

ويبدو ان سبب تقدم هذا العلم على ما سواه من علوم الأرض عائد الى قيمة الجواهر باعتبارها ثمينة أو مادّة زينة يتحلّى بها الملوك والنساء منذ أقدم الأزمنة. فاشتد الطلب عليها. ودخل عليها المزيف والدخيل، فوجد هذا العلم لمحاولة التعرّف على هذا الدخيل. يقول ابن المعتز في هذا المعنى :-

يرسب الدر في البحور ويعلو ها غثاء الأزباد والأقداد

وهو لا بدّ أن يرام ويستخرج من قاع لجة خضراء

ثم يعلو من بعد ذلك في تيجان هام الجبابر العظماء

من دراستي في كتب الأقدمين عن المعادن وجدت ان فيها مجموعة من المصطلحات التي تصلح ان تستعمل اليوم، وأورد فيما يلي ثبتاً بما توصّلت اليه. وسأحاول أن أضع المصطلح التراثي أولا وأمامه المصطلح غير العربي ثم أشرحه كما فهمه الأقدمون ثم اضع مفهوم المصطلح الأجنبي الحالي. وأخيرا أورد قائمة بهذه المصطلحات.

البجادي Garnet

هذا المعدن مذكور في جميع كتب الأقدمين. وقد فصلوا فيه كثيرا. ومن الأوصاف التي ذكروها فإن البجادي ينطبق على ما نسميه اليوم غارنت (garnet) يقول التيفاشي[1]: «... حجر فيه خمرية وذلك أنه أحمر تعلوه بنفسجية، كثير الماء، لا شعاع له. وهو حجر أقل حرارة ويبسا من

---

(١) ازهار الافكار، ص١٠٠-١٠١.

الياقوت. . .». أما كلمة بجادي فأصلها فارسي مشتق من جبل بيجاده في فارس[1]. وقد حقّق الكلمة الأب أنيستاس الكرملي وكتبها على وجوه كثيرة[2]. فهو بَجَادي وبُجَادي وبيجادة وبَزَادي (تركية). . . والأغلب على انها بَجَادي. وكلمة بَجَادي افضل من الأجنبية الحالية «غارنت».

بَلَــق Mica

وهو ضرب من الحجر يتشظى شظايا رقيقة. تستعمل لترتيب الكتابة ويسميه بعضهم الرِّيق. والبَلَق افضل[3].

تَفَــت : Translucent

جاء في وصف الياقوت الوردي[4]: «. . . ومن عيوبه التَفَث وهو كالصَّدع في الزجاجة اذا صدمت يمنع نفوذ الضياء والاشغاف. وهذا قد يكون أصيلاً ويكون عارض». وورد كلام مشابه عن الزمرد. (ص٤٨). والوصف واضح في أنه يتكلم عن الأنواع نصف الشفافية translucent من الياقوت.

الجِــزْع : Onyx

«علة تكونه كالعقيق في تكوينه. وهو أنواع، وأشهره البقراني الذي هو حجر مركب من ٣ طبقات: طبقة حمراء لا مستشف لها، تليها طبقة بيضاء لا تستشف ويلي البيضاء طبقة بلورية تستشف. . .»[5]. وهذا وصف دقيق لمعدن Onyx الذي هو نوع من أنواع السيليكا القريبة الشبه بالعقيق.

(١) ازهار الافكار، ص١٠٠-١٠١.
(٢) نخب الذخائر ص١٧.
(٣) نخب الذخائر، ص١٠١.
(٤) نخب الذخائر، ص٧.
(٥) ازهار الافكار، ص١٤٨-١٤٩.

وقد جرى استعمال لفظ الجِزْع حتى على ألسنة الشعراء. يقول امرؤ القيس:

كأن عيون الـــوحش حول بيوتنـــا   وأرحلنـــا الجـزع الـذي لم يثقب

وقال أبو الطحّان:

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

أما الفرزدق فيقول:

وفينـــا من المعـزى تلاد كأنهـا   ظفـارية الجـزع الـذي في التـرائب

الجَمْـــز Amethyst

ويقال جَمْبِت وَجَمْشِت وجَمْبِيت. وهي كلمة فارسية الأصل؛ حجر لونـه بنفسجي وهـو أربعـة أنواع أجودها ما اشتدتورديته وسماويته معاً. ويوجد بقرب الصفراء على مسيرة ثلاثة أيام من طيبة مدينة الرسول (ﷺ) غرباً الى جنوب[1]، وهو نوع من أنواع المرو (الكوارتز) الوردي الذي تشتهر به البرازيل حالياً[2].

الخَرْمليّات Large Inclusions

وهي من عيوب بلورات الجـــواهـــر. والخَـرْمِلِيّات حجـارة تختلط بالجوهرة. ذكرها البيروني[3] نقلاً عن الكندي. ولم يزد. وتبعه خلق كثير. وفي اعتقادي انهم يتكلمون عن البلورة الكبيرة (الجوهرة) التي ترافقها بلورة معـدن آخـر صغيرة داخله في جسمهـا. وهـو وصف جيد لها يطلق عليه المحدثون مكتنفات أو محصورات (Inclusions) غير ان الفارق بينها وبين

---

(١) ازهار الافكار، ص١٩٠.

(٢) Dona's Manual...p.452

(٣) الجماهر، ص٣٨.

النكتة التي ترد بعد قليل هو ان الحرمليات كبيرة الحجم ترى بالعين المجردة (عبـر عنهـا البيروني بالحجـارة تختلط فيه)، بينما هي صغيرة الحجم أو مجهرية في حالة النكتة.

حَصْبـــــاء Garvels

وهي حصى السيول والرياح. ذكرها التيفاشي وغيره في مواقع كثيرة من كتـابـه. من مثـل: «. . . ان أهل ذلك الموضع اذا لم تَحْدِر السيول والرياح لهم من حَصْباء الياقوت في بعض السنين. . .»[1] وفي وصف الزمرد يقول التيفاشي: «. . . معدن الزمرد الذي يؤتى به من التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف أسوان يوجد في جبل هناك ممتد كالجسر فيه معادن تحضر فيخرج منها الزمرد قطعاً صغاراً كالحصباء منبثة في التراب. . .»[2]. ولا أجد في كتب المحدثين مصطلحاً مشابهاً.

حُكَاكَة Mineral powder

وهو ما تساقط من الشيء عند الحك. حك معدن بمعدن أي أمره عليه. يفـرق البيروني بين أنـواع الشاذنج بلون حكاكتها: «. . . الشاذنج حجر الدم بسبب حكاكتها على المسن. . .»[3].

مَحَـــك Streak

وهو اللون الذي يتركه المعدن عند حكّه بقطعة خزف بيضاء. هذا هو المعنى الحديث. وهو نفس ما اصطلح عليه الأقدمون. يقول التيفاشي:

---

(١) ازهار الافكار، ص٦٣-٦٤.
(٢) ازهار الافكار، ص٨٠.
(٣) الجماهر، ص٢١٧.

«. . . البازهر معدن أبيض رخو المحك أبيض الحكاكة سريع الانحكاك. . .»[1] ويقول البيروني وهو يتحدث عن كيفية التفريق بين الزمرد وأشباه الزمرد في سياق طويل: «. . . قال فحككت به حديدة فحمرها وبقيت الحمرة عليها اسبوعا فعلمت انه قلقند»[2]. فاستعمل البيروني قطعة حديد لحك المعدن ونحن نستعمل الخزف. ولقد استبدل المحدثون هذا المصطلح بمصطلح جديد هو «المخدش».

مِحَك Streak Plate

وهو قطعة الخزف التي نستعملها في هذه التجربة. وقد استعمل البيروني قطعة حديد لهذا الغرض.

خُمَاهان

«حجر أسود حديدي يجلب من الكرك على مسيرة سبعة أيام من مصر ومنه يحمل الى سائر البلاد. وأجوده الأسود الشديد السواد الذي يضرب الى الحمرة الحديدية»[3]. وهو وصف جيد لمعدن اكسيد الحديد الاحمر «هيماتيت». والكلمة أصلاً فارسية. ويسمّيه البعض خَماهِن. أمّا حديثاً فانّنا نستعمل اللفظ الأجنبي «هيماتيت» مكتوباً بالعربية.

دَهْنَج : Malachite

«ليس يوجد الدّهنج إلاّ في معادن النحاس. أجوده الأخضر المشبع الخضرة الشبيه بلون الزمرد، المعرق بخضرة حسنة الذي منه أهله وعيون

---

(١) ازهار الافكار، ص١١٧.
(٢) الجماهر، ص١٦٩.
(٣) ازهار الافكار ص١٩٢-١٩٣.

بعضها من بعض... وحجر الدهنج فيه رخاوة...»[1] وهذا الوصف لا يختلف في شيء عن معدن المملكيت وهو كربونات النحاس المائية.

رِيــــم: **Alteration**

وهو الوسخ في المعدن يشبه الطين. وقد ذكره الكندي والبيروني[2] والتيفاشي وابن الاكفاني. وهو من عيوب الجواهر. وتنتج مثل هذه الأوساخ على سطح البلورة نتيجة للتجوية الكيماوية العميقة التي تؤثر على المعدن.

رَضْراض: **Gravels**

وهي الحصى الصغار تتحرم في مجاري الماء، أو هي كسارة المعادن[3] فهي كالحصباء، غير ان الحصباء أفضل. يقول الشاعر:

واللَّيـــل يجـري فـوق رضـراض مـن الجـزع الظفـاري

السُّبَـــج: **Jet**

هو ليس بمعدن انما مادة كربونية شديدة السواد. وقد أخطأ بعض المحدثين عندما ساووا السَّبج بالغالينا (كبريتيد الرصاص) لتشابههما في اللون. ولو انهم قرأوا ما كتبه البيروني لعلموا أنه مادة كربونية قريبة الشبه بالفحم الحجري الأسود تدعوها Jet. يقول البيروني: «...وهو حجر أسود حالك صقيل رخو جداً خفيف تأخذ النار فيه وسمعت انه يشتعل اذا أحمته الشمس وتفوح منه رائحة النفط. لان كل ما وصفناه فيه يشهد بدهانته وانه نفط مستحجر مشابه للأحجار السود التي يسجر بها التنانير بفرغانه. ثم يستعمل رمادها في غسل الثياب»[4]. وليس بعد هذا الوصف دقة.

(١) ازهار الافكار، ص١٦٤.
(٢) الجماهر، ص٣٨.
(٣) الجماهر ص٣٨.
(٤) الجماهر ص٩٢.

التَّشْعِير : Parting

وقد ذكرها البيروني والتيفاشي وهو يتحدث عن عيوب الياقوت: «. . . ومن عيوبه التّشْعير، وهو من لوازمه لا يكاد يخلو منه. وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه»(١). ونعلم اليوم ان الياقوت لا يوجد فيه تشقق واضح cleavage . ولكنه يحوى سطوحا خفية ناتجة عن سطوح التوأمة في البلورات كما هو الحال في الياقوت(٢) وهو ما ندعوه الآن Parting . ومن ثم فان التشعير لا يعني التشقق كما ذكر الدكتور محمد يوسف حسن وزميله في تحقيق مخطوط التيفاشي(٣).

الشُّعاع : Dispersion

وهي صفة أساسية في الجوهرة. أكثر الحديث عنها كل من كتب عن الأحجار من الأقدمين ويعنون بها قدرة المعدن أو الجوهرة على تفريق أو تشتيت الضوء بحيث يخرج منه شعاع عظيم، مما يزيد جمال البلورة. يقول التيفاشي في وصف الماس مثلاً: «. . . ومن الماس نوع له شعاع عظيم، اذا ظهر أتى شعاعه على ما ظهر منه بالقرب من ثوب أو حائط أو وجه انسان أو غير ذلك، مختلف الضوء، أشبه شيء بقوس قزح»(٤).

انظر البيروني ص١٩٣ . وحديثا يسميه بعض المختصين تشتت الضوء وبعضهم يسميه تفريق الضوء. وهو ليس الانكسار المزدوج double refraction كما ذهب اليه بعض الشارحين لأن هذه الصفة ليست موجودة في الماس.

---

(١) ازهار الافكار، ص٨٣.

(٢) Dana's Manual...,p.127,279

(٣) ازهار الافكار، ص٢٥٢.

(٤) ازهار الافكار ص١٠٦.

صَقَالَـــة Polish

وهي مشتقة من صقل يصقل صقلا أي جلا المعدن بمسحوق حتى يصبح سطحه صقيلا. يقول التيفاشي وهو يصف الدَّهْنَج الأخضر المشبع الخضرة الشبيه اللون بالزمرد المعرق بخضرة حسنة، الذي فيه أهله وعيون بعضها من بعض، الصلب الأملس الذي يقبل الصقالة»[٥].

صَقِيـــــل: أي المجلو. يقال معدن صقيل جمع صقال.

مِصْقَلة: أي الآلة التي يصقل بها المعدن. جمعها مصاقل.

طَلْـــق: Talc

نوع من المعـادن ذكـره البيروني تحت اسم طاليقون[١]. ولم يتبين معنـاه أو وصفـه. ومـر به ابن الاكفـاني في النخب[٢] دونما تفصيل. اما التيفاشي فقد وضع له بابا خاصا[٣]: (. . . الطلق يكون بجزيرة قبرص كثيرا ومنها يجلب وهو متحجر بعضه على بعض طبقة فوق طبقة). أما الرازي (في كتاب ابن الاكفاني ص٩١) فيقول: «. . . ان الطلق أنواع: بحري ويماني وجبلي. وهو يتصفح اذا دق صفائح بيضا دقاقا لها بصيص وبريق».

قد يختلط هذا الـوصف بمعـدن البلق (المـايكا) الذي أسلفنا فيه القـول. ولا غرابـة، فالمعـدنـان من فصيلة واحـدة هي فصيلة المعـادن السلكاتية الورقية (Sheet Silicates).

---

(١) ازهار الافكار، ص١٦٣-١٦٤.

(٢) الجماهر، ص٢٦٧.

(٣) نخب الذخائر، ص٥٢.

(٤) ازهار الافكار ص٢٠٤-٢٠٦.

الظُّـر أو الظُّرَّان: Chert

وهو الصوَّان في لغة بلاد الشام. يقول امرؤ القيس[1]:

تطاير ظران الـحـصـى بمـنـاسم صلاب العجى ملثومها غير أمعرا
كأن صليل الـمـروحين تشـذه صليل زيوف يتـقـدن بعـبقـرا

والـظران والمرو الواردتان في البيت الأول والثاني على التوالي من فصيلة معدنية واحدة وعلى كل حال فالصوان او الظران او الظر صخر وليس معدنا ومعدنه هو الخلقيدون (الكالسيدوني). وهو نوع من المرو الناعم جداً.

مَعْـدِن: Mineral

استعمل البيروني في الجماهر كلمة «معدن» للدلالة على الجواهر والأحجار الكريمة من مثل الماس والياقوت والدهنج. ولم يستعملها ولو مرة واحدة عند حديثه عن الذهب والنحاس والفضة التي دعاها فلزات. والأمثلة كثيرة في كتابه. مثلا يقول في وصف الزمرد[2]: (... فأما معادنه فانها لا تتجاوز حدود مصر والواحات وجبل المقطم وارض البجه. قال ابو اسحق ان معدن الزبرجد في صعيد مصر في جنوب النيل في برية منقطعة من العمار ولا يعلم في الارض معدن له غيره). وفي سياق طويل حول الياقوت واللعل: «... وطلب اللعل ينقسم الى قسمين احدهما بحفر المعدن في الجبل والآخر بتفتيشه في الحصى...» اما اصل الكلمة فيقول الكندي[3]: «... ان المعـدن من عدن وهـو الاقـامـة. فكـان المـطلوب منه

(١) الجماهر ص٩٢.
(٢) الجماهر ص١٦٢.
(٣) نقلاً عن الجماهر ص٣٨.

ما اقام فيه شهورا. او ان مستنبطية يقيمون لها على استخراجه فلا يسأمون من حفر المعدن عليه». انظر ايضا وصف القزويني[1] للأحجار.

عَقِيـــق : Agate

الكلمة الأجنبية مأخوذة عن العربية كما ترى. «ونظنّ ان العقيق سمي كذلك لعقّه بعض الحجارة اي لشقته اياها فهو فعيل بمعنى فاعل»[2] وهو نوع من أنواع السيليكا. ورغم ان هناك نوعاً من الخلط بين العقيق والجزع عند التيفاشي وغيره. الا ان المصطلح اصبح الآن شائعاً ليدل على العقيق بمعناه الذي نعرفه اليوم.

عين الهر : Cat's eye

يقول التيفاشي[3]: «. . . ذلك ان الغالب على لونه البياض باشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة. الا انه يرى في باطنه نكتة تميل الى الزرقة على قدر ناظر الهر الحامل للنور المتحرك في فص مقلته. . . واذا كسر الحجر او قطع على اقل الاجزاء ظهرت تلك النكتة في كل جزء من اجزائه. . .» والوصف في غاية الدقة لما نسميه اليوم Tiger's eye & Cat's eye (عين النمـــر) اذا كانت النكتـــة زرقـــاء. وسبب النكتـــة هذه وجـود مكتنفـات خيطية متوازية من معادن شائبة للمرو تعكس الأشعة الساقطة عليها فتكسبها بريقاً حريرياًمتموجا على هيئة حزم ضوئية متغيرة[4]. وهذا المعدن نوع من انواع المرو (الكوارتز) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب بتمان[5].

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.

(٢) نخب الذخائر، ص٨٦.

(٣) ازهار الافكار، ص١١٢-١١٣

(٤) Dana's Manual...p.453

(٥) Economic Minerals...p.851

فِلـــز: Metal

لم أجد في كتاب الجماهر للبيروني انه استعمل هذه الكلمة الا عندما تحدث عن العناصر كالذهب والفضة والرصاص. انظر كلمة معدن. ولقد استعمـل المصـريون المحـدثـون كلمتي معـدن وفلز بالمعنيين الـذين وضعتهما. بينما السوريون يقلبون ذلك. واعتقد ان من الافضل استعمالها بالكيفية الواردة هنا لانها تراثية.

المائِيَّـــة: Transperancy

وتقابل الى حد كبير الشفافية أو الشفوفية في البلورة فكلما زادت مائية المعدن كان اكثر شفافية. وكأنهم كانوا يشبهون صفاء المعدن بصفاء الماء وشفافيته.

مَـرْو: Quartz

توجد عدة مصطلحات لها نفس المعنىٰ. وقد استعملت جميعها في كتب الأقدمين وهي المرو والمها والبلور. وجميعها تعني الكوارتز الأبيض المبلور. واعتقد ان كلمة مرو هي الاكثر شيوعاً لدرجة انها جرت على ألسنة الشعراء، رغم ان البلور أيضاً كانت مستعملة. يقول امرؤ القيس:

كأن صليل الـمـرو حين تشـذه   صليل زيوف يتـقـدن بعبـقـرا

ويقول ابن المعتز:

أمـا رأيت حباب الماء حين بدا   كأنـه قحف بلور اذا انقلبـا

نُكْتَــــه : Inclusion

يقول التيفاشي[١] بعد أن يصف معدن عين الهر (المرو أو الكوارتز) :

«. . . الا أنه يرى في باطنه نكتة تميل الى الزرقة على قدر ناظر الهر الحامل للنور المتحرك في فص مقلته . . . واذا كسر الحجر او قطع على أقل الأجزاء ظهرت تلك النكتة في كل جزء من أجزائه . . . ». ونحن نعلم الآن ان سبب هذه النكتة معادن خيطية متوازية تشوب معدن المرو[٢]. فهي اذن معـادن غير المعـدن الأصلي موجـودة فيه بكميات صغيرة. وقـد دعـاهـا المحـدثـون مكتنفـات او محصـورات. تجمـع على نكت ونكات. وفي القـاموس (المعجم الوسيط) النكتة : النقطة في الشيء تخالف لونه او شبه وسنج في المرة او السيف. وهو قريب من المعنى الاصطلاحي.

نَمَش : Motling

وهي من عيوب المعادن والجواهر. فهي «نقط بيض وسمر او بقع فيه تخـالـف لونـه الأصلي»[٣] ، وذكرها البيروني ص٣٨ نقـلاً عن الكنـدي : «. . . ونقول ان الكندي عدّد عيوب الياقوت وهي النمش في سحنه ولا حيلة لازالتها اذا كثرت وفشت وغاصت وعمقت» وفي كتب المعادن الحديثة فان من عيوب الياقوت ان تتداخل بقع شافة صافية من المعدن مع بقع معتمة او رمـادية. وهو ما يعرف بالأجنبية motling appearance [٤] ورد ذلك في حديثه عن معدن البيريل الذي يقابل الزمرد. انظر ايضا باب الزمرد في النخب[٥].

---

(١) ازهار الافكار ص١١٢-١١٣.

(٢) Dana's Manual...p.401

(٣) نخب الذخائر، ص٧.

(٤) Dana's Manual...p.401

(٥) نخب الذخائر، ص٤٨.

يَصَـــب : **Jasper**

والكلمـة الأجنبية مأخوذة عن العربية كما ترى. وهو نوع من أنواع السيليكا غير الثمينة. يقول التيفاشي :[1] : «. . . ومعدنه الذي تكون فيه في اليمن ومنهـا يجلب الى البلاد. منه ابيض وزيتوني ومنه نوع أزرق. وهو مصبوغ». والمعروف عن اليصب الآن ان ألوانه تتراوح بين الاحمر والبني والاصفر. والاخضر الزيتوني نادر جداً. اما الازرق فانه مصبوغ حقا ويسمى Swiss or German Lapis.

(١) ازهار الافكار، ١٩٨-١٩٩.

ثبت بالمصطلحات التراثية وما يقابلها من مصطلح
أجنبي ومصطلح عربي حديث إن وجد

المصطلح التراثي	المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي الحديث
بِجَادي	غارنت	غاونت
بَلَق	Mica	مايكا
تَفْث	Translucent	نصف شفاف
جِزْع	Onyx	اونيكس
جَمـرْ	Amethyst	اميثست
حَرْمَلِيّات	Large inclusions	مكتنفات كبيرة، محصورات كبيرة
حَصْبَاء	Gravels	
حُكَاكَة	Mineral Powder	مسحوق المعدن
مِحَك	Streak	مخدش
مَحَك	Streak Plate	لوح المخدش
خُماهِن	Hematite	هيماتيت
دَهْنَج	Malachite	ملاكيت
رِنْم		
سَبَج	Jet	جـت
تَشْعِير	Parting	
الشُّعَاع	Dispersion	تشتت الضوء أو تفرق الضوء

المصطلح التراثي	المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي الحديث
صَقَالَة	Polish	
صَقيل		
مِصْقلة	Polishing machine	
طَلِقٌ	Talck	
الظَّر، والظُّرَّان والصُّوَّان	Chert	الظر، الظران، الصوان
مَعْدِن	Mineral	معدن(مصرية، فلز(سورية)
عَقِيق	Agate	عقيق
عين الهر	Cat's eye	عين الهر
فِلِز	Metal	فلز(مصرية)، معدن(سورية)
المائِيَّة	Transperancy	الشفافية
مَرْو، مَها	Quartz	كوارتز
النُّمش	Mottling	
نُكْتة	Inclusion	مكتنفة، محصورة
يَصَب	Jasper	جاسبر

المراجـــــع

١ ـ ابن الاكفـاني : محمـد بن ابـراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري ٧٤٩هـ ـ١٣٤٨م : نخـب الذخائر في أحوال الجواهر. عالم الكتب بيروت ـ تحقيق الأب انستاس الكرملي ١٩٣٩ ـ ١٨٨ صفحة.

٢ ـ البيروني : ابو الريحان محمد بن أحمد (٤٤٠هـ ـ ١٠٤٨م) : الجماهر في معرفة الجواهر. تحقيق جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن ١٣٥٥هـ ـ ٢٣٣ صفحة.

٣ ـ التيفاشي : احمد بن يوسف (٧٥١هـ) : كتاب ازهار الافكار في جواهر الاحجـار تحقيـق محمـد يوسف ومحمود بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ ـ ٣٢٧ صفحة.

٤ ـ القزويني : زكريا بن محمود (٦٨٢هـ ـ ١٢٨٣م) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الطبعة الثانية. حققه فاروق سعد، دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م ـ ٥٢٦ صفحة.

٥ ـ عبـدالـرحمن : حكمت نجيب (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل ـ ٤٦٧ صفحة.

٦ ـ BATMAN, A.M., 1959, Economic Mineral deposits 2nd Ed. John Wiley, London, 916 p.

٧ ـ HURLBURT, C.S. 1971, Dana's Manual of Mineralogy 18th Ed. John Wiley. London, 916 p.

مَوقف حَازم القرطاجني من الإسترفاد بالشعر

للدكتور قاسم المومني

جامعة اليرموك

عندما نتحدّث عن حازم القرطاجني فاننا نتحدّث عن ناقد له منزلته الخاصة في الموروث النقدي عند العرب، وله مكانته المتميزة بين معاصريه، بل بين سلفه وخلفه؛ وهي مكانة اكتسبها من جملة وجوه: فهو ـ من وجه ـ قد جاء في أخريات ازدهار الثقافة العربية في المغرب والاندلس، وكان من خصائص هذه الثقافة انها لم تتأثر بضعف أمر المسلمين وتساقط مجدهم السياسي في هذه البلاد، بل كانت في عصر التساقط أرفع منها في عصر العز والغلبة؛ فسجل حازم في كتابه «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ناحية من نواحي النضج التي بلغتها هذه الحضارة، يمكن أن تقارن بالناحية التي سجّلها ابن رشد في فلسفته، وابن خلدون في بحثه الاجتماعي. وكما ان الفلسفة وعلم الاجتماع لم يتقدما خطوة بعد ابن رشد وابن خلدون، كذلك

لم يتقدم النقد ـ خلا النقد في عصر النهضة ـ خطوة بعد «المنهاج»[1].

وحـازم ـ من وجـه ثان ـ قد اختـار التواصل مع الانجازات النقدية الاصيلة المتقدمة عليه. لقد اطلع ـ فيما يظهر «المنهاج» ـ على خير ثمار النقد العربي حتى عهده؛ فهو يشير الى آراء الجاحظ، وقدامة، والفارابي، والآمدي، وابن سينا، وابن سنان الخفاجي[2]، واذا أورد شيئاً من كلامهم فهو يعرضه ويشرحه، ويوازن بينه وبين غيره في قوة وتمكّن.

وحازم ـ من وجه ثالث ـ حاول أن يجمع بين التأصيل النظري للشعر في منهاجه ـ وهي الصفة الغالبة ـ وبين التطبيق العملي، وهو في ذلك ينتقي نماذجه من عصور الشعر العربي المتعاقبة، وان كان ميله الى المحدثين ـ فيما يظهره المنهاج ـ لافتا؛ ونصيب المتنبي بصورة خاصة من نماذجه ظاهرا.

وحازم ـ من وجه رابع ـ التقى في نقده التياران العربي واليوناني التقاء مثمرا، وإن غلب عليه التيار اليوناني، كما طغى على غيره التيار العربي. ولقد جهد الرجل أن ينتفع بكتاب «الشعر» لأرسطو، أو بالصور التي عرفها منـه كل الانتفـاع، وأن يفيد من الدراسات النفسية والفلسفية ذات الصلة بصناعة الشعر ونقده.

وحازم ـ بالتالي ـ ناقد شاعر، له معاناته الخاصة بنظم الشعر، وخبرته

---

(١) شكري عياد: كتاب ارسطو طاليس في الشعر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م: ٢٤٢.

(٢) راجع ـ مثلا ـ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ١٩٦٦م: ٢٥، ٤٨، ٧٤، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٢، ٢٦٦.

العملية في تذوق الشعر وفهمه ومعرفة اسراره ومناهجه؛ وهي معاناة جعلت تصرّفه في نقد الشعر ـ على مستوى التأصيل والتطبيق ـ تصرّف خبير بصير.

وعندما يقول حازم إن القصد من الشعر «أن يحبّب الى النفس ما قصد تحبيبه، ويكرّه اليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه»(١) أو يقول ان المقصود بالشعر «حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده»(٢) أو يقول ان الهدف من الشعر «انهاض النفوس الى فعل شيء او طلبه او اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه او اعتقاده»(٣) أو يقول «ان الاقاويل الشعرية القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار، ببسطها النفوس الى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أو شر»(٤). أو يقول «ان الأقاويل الشعرية أشد تحريكا للنفوس، لانها اشد افصاحا عما به علقة للأغراض الانسانية، اذ كان المقصود بها الدلالة على اغراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علقة»(٥). أو يقول ان المقصود بالشعر «تحريك النفس لمقتضى الكلام بايقاعه منهما بمحل القبول»(٦). فان هذه الأقاويل برمتها تؤكد امرا مفاده ان الشعر ليس مجرد قول مزوق أو محض تسلية رخيصة أو ترفيه هين أو دعاية لمذهب أو حاكم أو سلطة أو طبقة تهدف الى الاقناع على حساب الحقيقة، بل هي أقاويل تشد الشعر بشدة الى دور له انتساب الى ما يفعله الانسان ويطلبه ويعتقده، وهو دور له ـ بالتأكيد ـ شأنه وخطره في حياة الفرد او

(١) المصدر السابق: ١٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٠.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٦.
(٤) المصدر نفسه: ٣٣٧.
(٥) المصدر نفسه: ١١٨.
(٦) المصدر نفسه: ٢٩٤.

الجماعة، وهو دور يدرأ عن الشعر ـ دون شك ـ كل استرفاد يمكن ان يعلق بالشعر ويلحق به.

وليس ثمة مدخل يمكن ان ندخل منه الى بيان موقف الرجل من الاسترفاد بالشعر خير من التوقف عند تصوره الاخلاقي وصلة ذلك التصور بالشعر خاصة. واحسب اني في حاجة الى القول ـ هنا ـ ان التصور الاخلاقي الذي يبسطه حازم يفرض على المبدع أن يرتقي فوق كل استرفاد ويتطلب من الناقد أن يواكب المبدع في دفعه عنه بدلا من التقعيد له كما كانت غالبية النقاد العرب تفعل(١)

ان الانسان فيما يراه حازم مشدود في واقعه المعاش اما الى الفضيلة «الخير» واما الى الرذيلة «الشر». قد ترتبط الفضيلة في تصوّر حازم بايثار الانسان نفسه على بدنه وايثار غيره على نفسه وقد تقترن الرذيلة في ذات التصور بايثار الانسان بدنه على نفسه أو غيره على نفسه. المهم ان صلاح الانسان لن يتحقق الا اذا نحا نحو الفضيلة، وعلى هذا الاساس يقول حازم «فالفاضل من آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني ومن انصف غيره من ذوي الاستحقاق فيما فيه نعيم بدنه الفاني أو آثره بذلك على نفسه. والايثار افضل ليعتاض بذلك ما يكون له سببا الى النعيم الباقي كالاجر أو ما يتنزل في توهمه منزلة النعيم الباقي كالذكر الجميل»(٢). وعلى الاساس ذاته لا يكون الفاضل فيما يقوله حازم الا «من حصلت له في الفضيلة ملكة، وصارت له عادة لا يفارقها الى ما ناقضها»(٣). ولما كان الانسان في جميع ما

(١) راجع درويش الجندي: ظاهرة التكسب واثرها في الشعر العربي وفي نقده، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م: ١٦٥-١٦٨.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه؛ ١٦٨.

ينحو نحوه او يصدر عنه في واقعه المعاش لا يخلو من ان يروم حظوظا يكون فيها صلاح لنفسه أو حظوظا فيها صلاح لبدنه وكان استقصاء الانسان مصالح نفسه وابتغاؤه لها من كل وجه لا يصل منه الى غيره مضرة ولا ايذاء، وكان استقصاؤه حظوظ بدنه وطلبه لها من كل وجه يؤدي الى ضرر غيره والى ايذائه، وجب ـ والقول لحازم ـ ان يكون الفضل في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدي الى مزاحمة ذي استحقاق وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس[1].

الفضيلة في مجموع نصوص حازم التي أخذت من كلامه جوامعه هي ايثار النفس على البدن وتفضيل الغير على الذات، والفاضل من آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني، وكل هذه امور لا تقع الا بالعدل والنصفة والايثار عند القيام بالافعال والاعمال. هذه الافعال والاعمال من حيث اقترانها بالفضيلة أو بنقيضها، تختلف رتبها في مقدار ما يجب عليها من الحمد والذم بحسب اختلاف الاحوال المطيفة بها، «والاحوال المطيفة بالافعال هي: الزمان، والمكان، وما منه الفعل، ما اليه الفعل، وما من اجله الفعل، وما عنده الفعل»[2]. وليس ثمة مفر من اعتبار هذه الاحوال عند الحكم على الافعال، فيكون الفعل بالنسبة الى حال منها محمودا، وبالنسبة الى حال اخرى مذموما، ويكون بالنسبة الى بعض تلك الاحوال في اقصى درجات الحمد، وتارة في ادنى الدرجات من ذلك، وكذلك تختلف ايضا حاله في درجات الذم بحسب اختلاف تلك الاحوال المطيفة «فاخذ أبي دؤاد الحق من ابنه وافادته بجاره الذي قتله يربي على كثير مما يجل عن فواضل

(١) المصدر نفسه: ١٦٩.

(٢) المصدر السابق: ١٠٧ وقارن بصفحة ١٦٣.

الكرم ونوافله، وان كان ذلك نصفه منه، وجود كعب على النمري بالجرع التي آثره بها على نفسه حتى مات عطشا في المكان الذي كانا فيه اعظم اثرا في الكرم من جود غيره بكل حظ جليل لا تعود به السماحة عليه بمثل ما عادت على كعب»[1] واكثر ما تعتد به العرب في المدح ـ من هذه الزاوية ـ الافعال التي تكابد فيها النفوس المشقة وتعاني فيها الضرر لتنفع بذلك غيرها وتريحها ممن له ادنى استحقاق او حاجة الى ذلك، ولهذا قال ابو الطيب المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال[2]

وعند هذا الحد يفرق حازم بين ما يسميه النصفة والعدل وبين ما يطلق عليه النوافل والفواضل على اعتبار ان الامور التي تكابد فيها النفوس المشقة وتعاني فيها النفوس العناء لتفيد بذلك غيرها وتريحها» اما ان تكون حقوقا ثابتة قبل المتجشم للمشقة فيها فيكون ذلك منه نصفة وعدلا . واما ان تكون غير واجبة قبله، بل يسمح بها تبرعا ويتفضل بها ايثارا فيكون ذلك منه نافلة وفضلا، واحق المدح ما كان بهذا الصنف من الافعال»[3] .

ومعنى ما يقول حازم ـ كما افهم منه ـ ان النوافل والفواضل من الافعال هي التي تقوم على الايثار والتفضيل، وتعبر عن رغبة الانسان في الانفلات من اسار ذاته ليتواصل مع غيره من بني جنسه في نطاق من الحب واطار من انكار الذات. بهذا الحب والايثار يتحقق للانسان جميع الكمالات الممكنة. وبهما يصل الانسان ـ فيما يقال ـ الى انسانيته الحقة فلا يصدر

---

(١) المصدر نفسه : ١٦٣.
(٢) المصدر نفسه : ١٦٤.
(٣) المصدر نفسه : ١٦٤ ـ ١٦٥.

في سلوكه او نزوعه ـ عندئذ ـ الا عن الفضيلة التي تعلي حظوظ النفس على حظوظ الجسد[1].

هذا التصور الاخلاقي الذي يطرحه حازم هام كل الاهمية، اذ تتردد فيه ـ من ناحية ـ اصداء الحكمة ممثلة في نظريات الفلاسفة الاخلاقيين امثال الفارابي وابن مسكويه وابن رشد، والشريعة ممثلة في التراث الديني النقلي بحيث يتخلق من هذا التصور ما عرف عند بعض الدارسين بفلسفة حازم الاخلاقية التي يصدر عنها في منهاجه[2]. والتصور ـ من ناحية ثانية ـ يكشف عن تسليم صاحبه بالاختصام السائد في الفكر الاسلامي بين الروح والجسد وهو الاختصام الذي يقرن النفس بالفضائل كما يقرن الجسد بالرذائل والتصور ـ بالتالي ـ يظل بمثابة النهاء الذي يرفد فكر الرجل في تحديد موقفه من الاسترفاد بالشعر على مستوى الابداع والتلقي في آن.

(٢)

في ظلّ هذا التصوّر الذي يبسطه حازم يمكن ان يقال ان الشعر يوقع فعله عندما يلتزم بمخطط اخلاقي يرام به كمال الانسان. وتتحدد قسمات هذا المخطط عندما يتحدث حازم عن فاعلية التزيين والتقبيح في الشعر، وهي فاعلية مقترنة بالورع والعقل والمروءة والشهوة في الحظ العاجل. ان التزيين والتقبيح اما ان يتعلقا بفعل او اعتقاد او طلب او بالشيء الذي يفعل أو يعتقد أو يطلب «وانما جعلت التحسين والتقبيح ينصرفان طورا الى الشيء نفسه وتارة الى فعله أو اعتقاده أو طلبه، وتارة الى مجموع ذلك كله، لان

(١) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٥٧.
(٢) المرجع نفسه: ٢٥٨.

الشيخ اذا عشق جارية جميلة واردنـا ان نصـرفه عنها بالاقاويل الشعرية، اعتمـدنا ذم الفعل وعيب التصابي في حال المشيب وما ناسب هذا. فان كانت قبيحة أو ممن يجوز تخيل القبح فيها اضفنا الى ذم تصـــابي الشـيخ ذم قبح الفتاة. فان كان العاشق شابا اعتمدنا ذم ما في المرأة من قبح خلق وخلائق نحو ما يوصف النساء به من الغدر والملالة وغير ذلك. ولم نقبح عليه العشق في الشباب الا من جهة عقل أو نحو ذلك»[1] واذا كان هذا القول يشي بالجوانب التي تحدث فعل التزيين والتقبيح ذاته، فانه يشي في الوقت ذاتـه بالوسائل التي يتم بها فعل التزيين والتقبيح، وهي عند حازم اربع، اولها: اما ان يحسن الشيء من جهة الدين وما تؤثره النفس من الثواب على فعل شيء او اعتقاده، وتخاف من العقوبة على تركه واهماله واما ان يقبح من ضد ذلك. وثانيهما: اما ان يحسن من جهة العقل وما يجب ان يؤثره الانسـان من جهة ما هو عاقل ذو انفة من الجهل والسفاهة واما ان يقبح من ضد ذلك. وثالثها: اما ان يحسن من جهة المروءات والكرم وما تؤثره النفس من الذكر الجميل والثناء عليه أو يقبح من ضد ذلك. ورابعها: اما ان يحسن من جهة الحظ العاجل وما تحرص عليه النفس وتشتهيه مما ينفعها من جهة ما تؤثر من النعمة وصلاح الحال أو يقبح من ضد ذلك[2].

هذه الوسائل الأربع التي نقلتها بلغة حازم تشكل عنده أساساً اخلاقياً ظل يصدر عنه في تحديده موقفه من الاسترفاد بالشعر، ويبدو هذا الاساس بصورة ابلغ وأوضح عندما يقول حازم ان التزيين والتقبيح قد يتعلق بالفعل الانساني من جهة ما يرجع اليه في نفسـه، وقد يتعلق التزيين والتقبيح بالفعل

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٠٨.
(٢) المصدر نفسـه: ١٠٦.

من جهـة ما تكون عليه الاحوال التي تطيف به، المهم ان يكون التزيين والتقبيح طبقا للاشياء الـتي كأنها غايات تترامى اليها مطالب الناس. . . . وتلك الاشياء التي عليها مدار التحسينات والتقبيحات هي: الورع والعقل والمروءة، والشهوة في الحظ العاجل»[1]. وعلى هذا الاساس يقول حازم «والتحسينـات والتقبيحـات الشعرية تميل الى اشياء وتنصرف عن اشياء، وتكثر في اشياء وتقل في اشياء بحسب ما يكون عليه الشيء من التماس بآداب البشر، وما يكون عليه من نفع او ضرر، او لا يكون له التباس يعتد به في تأثر النفوس له من جهة نفع أو ضرر»[2]. ومعنى ما يقوله ـ بالتالي ـ ان اكتمـال العمـل الشعري لصيق اكتمال الحياة طالما ان الشعر يسعى الى تقديم العون ودفع الضرر، ولا قيمة ـ والامر كذلك ـ لشعر لا يحقق نفعا او يدرأ ضررا، ولا شأو لشعر لا يسمو بالانسان الى مستوى الكمال، ولا اهمية ـ بعد ـ لشعر يقوم على الاسترفاد طالما انه لا يفي الا بحاجات مبدعة فحسب.

الشعر ـ اذاً ـ مرتبط بالحياة، واكتماله لصيق كمالها، وما دام الأمر كذلك فان من المنطقي أن تكون الاصول التي يحقق بها العمل الشعري اكتمـالـه، هي الاصـول التي يتحقق بهـا للتجـربة الانسانية كمالها. ان الأقـاويل الشعرية تسعى الى دفع الضرر وجلب النفع» لما كان المقصود بالشعر انهاض النفوس الى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح أو جلالة أو حسنة وحب ان تكـون موضـوعـات صنـاعة الشعر الاشياء التي لها انتساب لما يفعله

(١) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الانسان ويطلبه ويحققه»[1]. وما دام هذا المسعى غير مجانب لها فلا بدّ من ان تتمسك بمخطط اخلاقي يصل به الانسان الى الكمال. ولكن هذه الأقاويل لا تقدم قيم هذا المخطط تقديماً مباشرا وانما تقدمها تقديما شعريا فعالاً ومؤثراً يضيف الى المضمون الاخلاقي للشعر قيمة موازية في الاهمية، انها القيمة الجمالية التي تقترن بالمتعة الواقعة في تشابك العمل الشعري في اتساق وانتظام.

من هذه الزاوية يختلف الشعر عن العلوم المعنية بالسلوك، وهو اختلاف يعلل استجابة الناس للشعر ويفسر تأثيره في نزوعهم، ولذلك حرص حازم متابعا في ذلك اساتذته من الفلاسفة النقاد[2] على تأكيد جانبي المتعة الجمالية والنفع الاخلاقي في حديثه عن الاسترفاد بالشعر، ويتضح هذا التأكيد عندما يتحدث الرجل عن محاكاة المطابقة[3]، ويزداد هذا التأكيد وضوحاً عندما يقول «وربما كانت محاكاة المطابقة لا تخلو من ان تكون من قبيل ما يحمد ويذم. والنفس من شأنها أن تميل الى ما يحمد.. وتتجافى عما يذم فكأن التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس الى استحسان أو استقباح، فلهذا كانت قوة محاكاة المطابقة في كثير من المواضع قوة احدى المحاكاتين التحسينية والتقبيحية، لكنها قسم ثالث على كل حال، اذ لم تخلص الى تحسين ولا تقبيح»[4] وهذا قول يشي باعلاء حازم من شأن محاكاة المطابقة لكنه اعلاء هين ان قورن بمثيله المتصل بمحاكاة التزيين والتقبيح، وهو هوان يرتد الى ضآلة الاثر الاخلاقي في الاولى بالنظر الى قرينه في الثانية.

---

(١) المصدر السابق: ١٠٦.

(٢) راجع قاسم المومني: نقد الشعر عند ابن رشد بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، بحث منشور في مجلة «المعرفة» السورية، عدد ٢٢٩ سنة ١٩٨١: ٢٤ وراجع مصادره.

(٣) راجع حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٩٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣)

لقد أفاد حازم في تشكيله المخطط الاخلاقي الذي ظل يمتاح منه في رفضه الاستـرفاد بالشعر من النقاد الفلاسفة كما أسلفت، وقد دفعته افادته تلك الى استحضار الموروث النقدي السابق عليه وتأمله ولم يكن هناك من ناقـد يمكن لحـازم أن يتأثر به في هذا الصدد اكثر من قدامة ابن جعفر، فالرجل رغم كل ما قيل بحقه أو ضده[١] يعب من الاصول التي يعب منها حازم وهي الاصـول اليونانية، وبناء قدامة الاخلاقي الذي شيده ليعزز به فهمـه الخاص لاغراض الشعر يمكن ان يرفد حازما في دفعه كل استرفاد يلحق بالشعـر ورفضه له. صحيح ان حازما لا يتفق مع قدامة في تقسيم الشعر الى اغراض محددة منها الوصف والتشبيه، وصحيح ان مخالفة حازم قدامة تتعدى هذا الجانب لتشمل جوانب اخرى لا تقتضي طبيعة البحث ذكـرها[٢]. المهم ان هذه الاختلافات بين الرجلين تمليها طبيعة الفوارق الفردية بينهما، والاهـم ان حازما يأخذ عن قدامة مفهومه الخاص بالفضائل الخلقية الاربـع وهي العقـل والعدل والعفة والشجاعة، ويعتمد عليها في تفريقه بين الحقيقي والزائف من المدح والذم، ويقتبس منه قوله: «لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه اهـل الاسبـاب، انمـا هي العقـل والعفـة والعـدل والشجاعة، كان القاصد للمدح بهذه الاربعة مصيبا وبما سواها مخطئا»[٣].

---

(١) راجـع لمعـرفـة ذلك قاسم المومني: نقد الشـعر في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٢: ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) راجع امثلة للاختلاف بين حازم وقدامة في منهاج البلغاء وسراج الادباء، ٤٨، ١٤١ - ١٤٢، ٣٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٥.

ويأخذ عن قدامة رأيه في ان الفضيلة وسط بين طرفين مذمومين ثم يعقب عليه بقوله: ان الفعل العائد بمنفعة انما يحمد ما لم يعد الافراط فيه بمضرة، وما لم يكن من القلة والتقصير بحيث لا يغني، فاذا وقع وسطاً بين هذين الطرفين كان محمودا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: خير الامور اوساطها، الا ترى ان الكرم اذا افرط عد سرفا وتبذيرا، والاقدام اذا افرط فهجم بصاحبه على المتالف في كل حين وموطن، عد ذلك تهورا وهوجا، واذا وقع التقصير عن الاقدام والبذل بالجملة او وقع عن ذلك ما لا اعتداد به، عُدّ ذلك بخلا وجبنا. وقد تكون قلة الشيء بحيث لا يوجب عليه حمدا ولا ذما. وجميع تلك الافعال انما تعد فضائل او رذائل فيستوجب عليها الثناء المطلق او الذم المطلق، ويعتقد في صاحبها انه خيّر او شرير، اذا حصلت له فيها ملكة وصارت له عادة لا يفارقها الى ما ناقضها، فان وقع الفعل المسمى فضيلة منه ولم يتبعه بمثله ولا تمادى عليه لم يستحق ان يسمى فاضلا، ولا ان يثنى عليه الثناء المطلق، فعلى هذا ايضا يجب ان يكون الاعتبار في وقوع الفعل المسمى رذيلة[1]».

ان حازما لا يتوقف في اعتماده على قدامة عند هذا الحد. وانما يتجاوزه لينصف قدامة من ناقديه، حسبنا ان نقتصر على من اقتصر عليهم حازم في منهاجه، لقد اقتصر حازم في انصافه قدامة من خصومه على الآمدي وابن سنان ولقد انطلق قدامة في معرض حديثه عن المدح من زاوية تلح على المضمون الاخلاقي للشعر، وتؤكد على فكرة النموذج الذي يستوعب الفضائل ولا يتخطاها فلا يمدح الرجل الا بما فيه. وهذه الزاوية وان اخذت بعين التقدير المواصفات الاجتماعية فقسمت مدائح الرجال الى

(١) المصدر السابق: ١٦٧.

اقسام تتناسب مع طبقات الممدوحين، لان اصحابها لا يمكن ان يعيشوا الا في عصرهم، فانها تشي - بالرغم من ذلك - بأن المدح الحق مقترن بالفضائل الاساسية للانسان كانسان، وان المدح الحقيقي هو الذي يمدح فيه الرجال بما يكون فيهم، ولا يتميز الرجال بعضهم على بعض الا باكتسابهم الفضائل، طالما ان الفضائل مكتسبة وليست موروثة كما افترض الآمدي وابن سنان[1].

اما الآمدي فقد انطلق في نظرته الى هذه القضية من زاوية الممدوح او الحاكم، او ما يمكن ان يجلب اليه البهجة والسرور او يضخم هيبته في اوهام الرعية كحاكم مطلق، يفترض ان يمدح سلفا بمجموعة من الصفات منها الجمال والجلال والهيبة والجهارة. وما دام الامر كذلك فلا بد للآمدي من ان يرى ان الفضائل والرذائل فطرية، توجد مع الناس بالقوة، ولعلهم يكتسبونها بالطبع والتطبع فذلك هو الاساس في الحكم على الناس وتميز بعضهم على بعض، ولا ضير والامر كذلك - في ان يقول الامدي بأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به العرب، لانه يدل على الخصال المحمودة، كما ان قبح الوجه والدمامة يسقط الهيبة او يدل على الخصال المذمومة وذلك ما تكرهه العرب وتتشاءم منه»[2]، ولا ضير والأمر كذلك - في ان يعقب على ما ذهب اليه قدامة - من ان المدح بالحسن والجمال، والذم بالقبح والذمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذم على الصحة بأن ذلك من قبيل الغلط الفاحش المخالف لمذاهب الامم كلها عربيها أو أعجميها، فضلاً عن انه يسقط اكثر مدح العرب وهجائها وقد بينت قبح غلطه

---

(١) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) الآمدي: والموازنة بين ابي تمام والبحتري في شعريهما، تحقيق السيد صقر، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦١.

في هذا تبيينا شافيا مستقصى في كتاب منفرد»[1].

اما ابن سنان فان ما يقوله في مخالفة قدامة لا يفترق - في جوهره - عما قاله الآمدي في ذات الصدد، يقول ابن سنان معقباً على رأي الآمدي «ان كان قدامة يعتقد ان ذلك ليس بفضيلة لما كان الانسان قد خلق عليه، فهذا حكم جميع الفضائل النفسانية، فان الكريم قد خلق كريما والشجاع شجاعا والعاقل عاقلا، وكما لا يقدر القبيح الوجه على ان يستبدل صورة غير صورته، كذلك لا يقدر الجاهل على ان يستفيد عقلا فوق عقله»[2].

اما حازم القرطاجني فقد اعترض على ابن سنان والآمدي من قبله ورفض قولهما ان الكريم كريم بالقوة، وان الشجاع شجاع بالقوة، وان العاقل عاقل بالقوة، «لان الحكماء المتكلمين في الفضائل قد اتفقوا على ان الانسان قد يقدر على ان يكتسب بعض الفضائل بالتطبع وان يستكمل كثيرا مما ينقصه من ذلك بالاعتياد والرياضة ومجاهدة النفس، فينتقل برياضة النفس في ذلك حالا فحالا حتى يصير الصعب قبل التطبع والارتياض سهلا بعدها. وما زال الناس يروضون اخلاقهم بالتأديب والتدريب، فترقى بذلك في مراتب الفضل درجاتهم وتتهذب بعد الجفاء اخلاقهم . . . فاما خلقة الانسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه، فحمد الانسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه، ويشهد لهذا ما حكاه الرواة من ان المغيرة بن جبناء وزيادا الاعجم لم يزالا يتهاجيان حتى عيره زياد بعلل كانت

(١) المصدر السابق والجزء السابق: ٣٦٩.

(٢) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، تحقيق عبدالمتعال الصعيدي، مطبعة صبيح القاهرة، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ٢٥٦.

اصابت بعض اهل بيته، فقال المغيرة: ما ذنبنا فيما ذكره، هذه ادواء، وانما يُعيَّر المرء بما اكتسبه [1]. واذا كان رد حازم على الآمدي وابن سنان ـ وهو رد حرصتُ على نقله رغم طوله ـ يكشف ـ من ناحية ـ عن انتصاره لقدامة من ناقديه، فانه يكشف ـ من ناحية ثانية ـ وهذا هو الاهم ـ عن اسناد حازم ما حكاه قدامة الى عادات العرب واعرافهم، بحيث يصبح مفهوم الفضائل النفسية موافقا للمألوف عند العرب، ويضيف اليه رأياً مؤداه، «وانما يمدح بما هو خارج عن الفضائل الاربع اذا كان من شأنه ان توجد الفضائل ابدا بوجوده فتورد كالأدلة عليه»[2].

ودون ان نقدم رأياً على آخر فنحكم لصاحبه او عليه، فان الذي يعنينا ان نقول ان تأكيد قدرة الانسان على الانتقال من الاخلاق الرذلة الى الاخلاق الفاضلة يعني ضِمناً قدرة الشعر على توجيه مسار السلوك الانساني، وتحويل هذا السلوك من الرذيلة الى الفضيلة، ولقد قيل «ان المخطط الاخلاقي الذي يحدد للشعر وظيفة يغدو مخططا فارغ المضمون ما لم يعتمد على التسليم بمقولة الاخلاق المكتسبة، وبدون هذا التسليم يظل الاثر الاخلاقي المصاحب للشعر بغير اساس واضح، بل يصبح امرا مشكوكا في صحته، وفي ظل هذا التسليم لم يكن لحازم بد من ان يقول ان أهم ما يميز الانسان عن غيره العقل، الذي ينبثق من مجاهدته كل الفضائل النوعية للنوع الانساني، وبهذا التسليم تتضاءل قيمة الأسرة او العرق او الثراء بالقياس الى نظائرها المنبثقة عن العقل»[3].

---

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٦٩.

(2) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(3) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٠.

(٤)

اذا كانت فلسفة حازم الاخلاقية التي عبر عنها في تصوّره السالف هي التي مكنته من تحديد مهمة الشعر[1]. فان الفلسفة ذاتها هي التي رفدت الرجل في دفعة الاسترفاد عن الشعر، وهو دفع يمكن ان نقف عليه في حديث حازم عن اغراض الشعر كلها، ونبدأ منها بالمديح، والابتداء هنا له ما يبرره، فالمديح هو الوسيلة المباشرة لما يستهدفه الشاعر المتكسب من وراء شعره من الكسب والمنفعة من ناحية، والمديح من ناحية ثانية - هو الغرض المباشر الذي يتطلع اليه من بيدهم المال والعطاء والسلطة[2] والمديح بسبب هاتين الناحيتين يشكل اكثر من غيره من اغراض الشعر معضلة بالنسبة للشاعر.

ويتقبل حازم في سبيل حل هذه المعضلة الحل الذي سبق لقدامة ان وضعه، وهو حل في تقدمه مندوحة عن اعادة القول فيه، يقول حازم «يجب ان يقصد في مدح صنف صنف من الناس الى الوصف الذي يليق به، وان يعتمد في مدح واحد واحد ممن يراد تقريضه بما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها وان لا يجعل الشيء منها حلية لمن لا يستحقه ولا هو من بابه»[3].

هذا الذي يقوله حازم عن ضرورة ألا يجعل الشاعر المدح «حلية لمن لا يستحقه ولا هو من بابه» جديد كل الجدة في التراث النقدي حتى عهده كما يعلم الباحث، قد نصادف من يقول قبله في ذات الموقف» واحمق

(١) المرجع نفسه: ٢٧١.

(٢) درويش الجندي: ظاهرة التكسب واثرها في الشعر العربي ونقده: ٨٠.

(٣) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٧٠.

الشعر عندي من ادخل نفسه في هذا الباب وتعرض له. وما للشاعر والتعرض للحتوف؟ وانما هو طالب فضل، فلم يضيع رأس ماله، لا سيما وانما هو رأسه، وكل شيء يحتمل الا الطعن في الدول، فان دعت الى ذلك ضرورة مجحفة، فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه اصوب واعذر له من كل جهة وعلى كل حال»[1]. فنفهم من هذا القول ان حازما اكثر صراحة في مواجهة الموقف منه ولكن الذي نصادفه عند نقاد التراث ـ في الاغلب الاعم ـ التأكيد على ان صانعي الشعر لم يكن لهم بد من اصطناع المشاعر والتأكيد على ضرورة مخاطبة كل طبقة على حسب قدرها وعلى حسب ما يؤمل من نفعها ونوالها او يخشى من بطشها وفتكها.

وقد نقرأ عند حازم قوله «فأما مدح الخلفاء، فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل واجلها واكملها كنصرة الدين، وافاضة العدل، وحسن السيرة، والسياسة، والعلم والحلم، والتقى، والورع، والرأفة، والرحمة، والكرم، والهيبة، وما أشبه ذلك. وينبغي ان يتخطى في أوصافهم حدود الاقتصاد الى حدود الافراط، وان يترقى عن وصفهم بفعال ما يكون حقا واجبا الى تقريضهم بما يكون من ذلك نافلة وفضلا[2]»، وقد نقرأ عند حازم

---

(1) ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٣: ١: ٧٥.

(٢) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٧٠. من المهم الا ننسى ان قبول حازم الافراط وتأكيده عليه لا يتعارض مع فهمه لماهية الشعر او مهمته، فضلا عن انه تأكيد يستلزمه الواقع الاجتماعي الذي كان يبسط ظلاله ايام حازم، وهو واقع يتحدث عنه بعض الدارسين فيقول: «ففي عصور الحكم الفردي التي عاش فيها حازم وامثال حازم كانت النفوس ترى في الملوك انصاف آلهة، وكان ما يقع في اوهام الناس من مخافتهم وتوقع بطشهم... اعظم بكثير من حقيقتهم وما يقع في العادة في امثالهم، فكان توخي القصد في مدحهم، في حقيقة الامر، مخالفة للاصل الاول في العمل الشعري وهو التخييل». شكري عياد: كتاب ارسطوطاليس في الشعر: ٢٧٠.

قوله ان «امداح الخلفاء يجب ان تكون نمطا واحدا ينحى بأوصافها ابدا نحو الافراط»[1]. فنفهم من مجموع اقواله انه يؤكد الافراط، وهو تأكيد يمكن ان نجده عند المتقدمين عليه. الفارق بينه وبينهم ـ خلا قدامة ـ انه يقبله ويستسيغه ما دام غير مجانب للهدف الاساسي للشاعر وهو تصوير النموذج الانساني الذي تتحقق فيه الفضائل، وانهم يقبلونه كضرورة يفرضها واقع الشعراء الاجتماعي آنذاك.

قد توجد الفضائل في ذات الممدوح، فلا يعاني الشاعر ـ والامر كذلك ـ مشكلة في مدحه، ولكن المشكل يقع في الوقت الذي لا تتحقق فيه الفضائل في شخص الممدوح، ويتأتى حل هذا المشكل عند حازم من قوله ان الشاعر ينبغي الا يجعل من الفضائل حلية لمن لا يستأهلها، فضلاً عن ان الالحاح على مدح الممدوح بما يكون نافلة وفضلا يمكن ان يكون له مغزاه التربوي المتصل بالحكام انفسهم، وكأن مدح الممدوح بانكار الذات قد يدفعهم الى هذا الانكار بالفعل[2]، والا فالصمت والبحث عن حكام آخرين أولى بالشاعر واخلق.

ومن الضروري ان نشير هنا الى ان حازما يرفض بشدة أن يقف الشاعر مسترفدا بشعره لأن مثل هذا الموقف هو الذي أدى الى هوان الشعر وتدني مستواه وقيمته وقلة شأن الشعراء، ويتجلى ذلك في قوله: «ولكثرة القائلين المغالطين في دعوى النظم.... وقلة العارفين بصحة دعواهم من بطلانها لم يفرق الناس بين المسيء والمسف الى الاسترفاد بما يحدثه وبين

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٧١.

(٢) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ١٢٥.

المحسن المرتفع عن الاسترفاد بالشعر»[١]. ومثل هذا القول فضلاً عن انه يذكرنا بنظائره عند السابقين لحازم امثال الرازي ابي حاتم وابي عمرو بن العلاء[٢]، فانه يكشف بوضوح بالغ عن نظرة حازم الى الشاعر، انه عند حازم ليس «طالب سيب» أو «طالب فضل» وانما هو «صاحب مهمة» لها فعلها وخطرها في حياة الفرد والجماعة، ولولا هذا الاعتقاد بأهمية الشعر ونفعه وجدواه لما نقل الرجل عن ابن سينا قوله «كان الشاعر في القديم ينزل منزلة النبي، فيعتقد قوله ويصدق حكمه، ويؤمن بكهانته»[٣]، وهو نقل يعلي ـ دون شك ـ شأن الشاعر، ويجعله يتنزل منزلة أشرف الناس وافضلهم بدل منزلة اخسّ الناس وانقصهم، وهي منزلة تحقيقها موقوف على امرين: اعتراف الجماعة بالدور الذي ينهض به الشاعر وتقديرهم له من ناحية، واحساس الشاعر بأهمية الدور الذي يضطلع به في حياة الفرد او الجماعة من ناحية ثانية.

قد تتعدد اغراض الشعر عند حازم فتشمل المدائح والاهاجي والتعازي والتهاني، وقد ينظر حازم الى اغراض الشعر من زاوية الاحوال الانسانية التي يعالجها فتنقسم الاقاويل الشعرية بهذا الاعتبار الى الاقاويل المستطابة والاقاويل الشاجية والاقاويل الفاجعة، وقد يعالج الشعر ما يطلق عليه حازم الاغراض الجماعية، وقد يضيف الرجل الى كل هذه الاغراض ما يسميه «الاغراض الجمهورية». المهم ان اغراض الشعر عند حازم لا حصر لها[٤]، والاهم ان حازما ينفي الاسترفاد في اي من هذه، وهو نفي يقوم

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٢٥.

(٢) درويش الجندي: ظاهرة التكسب في الشعر العربي وفي نقده: ٢٥٣ وما بعدها.

(٣) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٢٤ وقارنه بصفحة ١٢٢.

(٤) شكري عياد: كتاب ارسطوطاليس في الشعر: ٢٤٦.

على صلة الشعر بالجماعة من جهة وعلى ضرورة ان ينبع الشعر من اعتقاد بنفعه وجدواه أو كما يقول حازم «عن فكر ولع بالفن والغرض الذي، القول فيه»[1] ولا شك ـ والامر كذلك ان الذي يقول عن رغبة أو رهبة ادنى منزلة ـ في مجال المفاضلة ـ من الذي «لم يقل رغبة ولا رهبة».

ان الشعر في اغراضه السابقة كلها يعالج الموضوعات التي تقع في دائرة المعرفة الانسانية، ويهدف في معالجته لها الى ايلاع النفوس بفعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده وذلك «بأن يخيل لها أو يوقع غالب ظنها انه خير او شر، بطريق من الطرق التي يقال بها في الاشياء انها خيرات او شرور»[2].

ان الاشياء التي يقال فيها انها خيرات وشرور او يتوهم انها كذلك منها امور يشترك في معرفتها وادراكها الخاصة والعامة ومنها امور ينفرد بادراكها ومعرفتها الخاصة دون العامة. المهم ان الشاعر ينبغي ان يكون اوفر حظا من غيره في معرفته بكل ذلك ما دام معنيا في كل ما له علاقة بهموم الانسان وآماله. وعلى هذا الاساس فان اعرق المعاني في الصناعة الشعرية هي ما اشتدت علقته باغراض الانسان، وكانت دواعي آرائه متوفرة عليه، وكانت نفوس الخاصة والعامة، قد اشتركت في الفطرة على الميل اليها او النفور عنها، اما ما لم تتوفر دواعي اغراض الانسان عليه وما انفرد بادراكه المكتسب الخاصة دون العامة فانه غير عريق في الصناعة الشعرية[3].

قد تتفاوت استجابة الجماعة للشعر وتأثرها لمقتضياته. فتضعف او

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٣٤١.
(٢) المصدر السابق: ٢٠.
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

تقـل بحسب قرب الشعـر من حياة الجمـاعـة او بعـده عنهـا. المهم ان الاستجابة لن تتحقق الا اذا كان الشعر حميم الصلة بحياة الجماعة، ولذلك يقول حازم «ان الالتذاذ بالتخييل او المحاكاة ـ الشعر ـ انما يكمـل بـأن يكون قد سبق للنفس احساس بالشيء المتخيل، وتقدم لها عهد به»[1]. واذا كان هذا القـول يشي بأن الشعر يمكن ان يعالج ما هو مرئي بالنسبة للانسان فانه يشي بأن الشعر يمكن ان يعالج جواني مستورة قد لا تظهر الى مستـوى الادراك العـادي، وبالجملة فان «الشاعر يحتاج الى ان تكون له معـرفـة بنعوت الاشياء التي من شأن الشعر ان يتعرض لوصفها، ولمعرفة مجـاري امـور الـدنيا وانحـاء تصرف الازمنة والاحوال، وان تكون له قوة ملاحـظة لمـا ينـاسب الاشياء والقضايا الواقعة من اشياء تشبهها، وقضايا متقدمة تشبه التي في الحال»[2].

ان علاقـة الشعـر بحياة الجمـاعة قوية، ولشدة علاقة الاقاويل الشعرية بالاغراض الجماعية كانت اشد تحريكا للنفوس واعظم اثرا فيها من غيرها. هذه العلاقـة تـتطلب من الشـاعر انماطا متنوعة في التناول تنوع المقاصد ذاتهـا، ففي الاغـراض الجمهورية في الشعر وهي التي يراد بها استثارة الافعـال الجمهـورية او كفكفتها بالاقناعات والتخاييل المستعملة فيه»[3] يمكن للشعر استغلال امكانات الخطابة في ايقاع التصديق وايلاع النفوس بفعـل شيء او التخلي عن فعله «لان صنـاعـة الشعـر تستعمل يسيرا من الاقـاويل الخطابية، كما ان الخطابة تستعمل يسيرا من الاقاويل الشعرية

(١) المصدر نفسه، ١١٨.
(٢) المصدر نفسه: ٤٠.
(٣) المصدر السابق: ٤١.

لتعتضد المحاكاة في هذه بالاقناع في تلك بالمحاكاة»[١]. صحيح ان لب الشعر وجوهره التخييل وان اساس الخطابة الاقناع ولكن الصحيح ايضا ان التخييل يرمى في جزء منه الى شيء غير بعيد من الاقناع طالما ان الغرض من الصناعتين واحد وهو: «أعمال الحيلة في القاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه»[٢]. وبسبب من هذا الاتفاق بين الصناعتين في المقصد ـ الغرض ـ ساغ للشاعر ان يخطب وللخطيب ان يشعر ولكن على جهة الالماع في الموضع بعد الموضع، ولقد قال الشاعر:

وما الشعر الا خطبة من مؤلف   يجيء بحق او يجيء بباطل[٣]

واذا اضيف الى ذلك ان النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال الى حال وتستريح الى استئناف الامر بعد الامر واستجداد الشيء بعد الشيء ليستجد نشاطها بتجدد الكلام عليها ـ او كما يقول حازم عن النفوس «ان شيمتها الضجر مما يتردد والولع بما يتجدد»[٤] ـ ادركنا ـ والامر كذلك ـ ان استغلال طرائق الخطابة في ايقاع فعل الاقناع يمكن ان يفيد الشعر في الاغراض الجمهورية، وعلى هذا الاساس يمكن ان نفهم ما يقوله حازم من ان ارداف التخييلية في الطريقة الشعرية بالاقناعية والاقناعية في الخطابة بالشعرية» أعود براحة النفس، وأعون على تحصيل الغرض»[٥].

هناك ثمة وسائل تعضد طريق الخطابة في ايقاع فعل الاقناع، منها

---

(١) المصدر نفسه: ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أن يلجـأ الشاعر الى الكذب، ومنها ان يعمد الى الايهام والتمويه، وهي وسـائـل لا تختلف برمتهـا عن وسائل الاقناع والاستدلال في المنطق(١)، المهم ان يستخدم الشاعر هذه الوسائل بنوع من (التلطف) أو «الدلة) لايقاع الحيل التي هي الاساس في ايلاع النفوس بفعل شيء أو النفرة منه، ولا يقل عن هذا اهمية ان هذه الوسائل بالجملة هي التي يتوقف عليها النجاح في الجمهوري من الاغراض، فضلا عن ان هذه الوسائل بالتالي تتجاوب مع تصور حازم الاخلاقي للشعر»، وانما ساغ في الشعر وقوع الكذب. . . اذ المقصود بالشعر الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بايقاعه منها بمحل القبول بما فيه من حسن المحاكاة»(٢) وهو التصور الذي لا تتعارض فيه الغاية مع الوسيلة ما دامت الغاية هي التي تفرض الوسيلة وما دام جلالها يبسط ظلاله على كل الطرق المؤدية اليه(٣).

ان تأكيد حازم المستمر على علاقة الشعر بالجماعة هو الذي دفعه الى التقدير اللافت للاثر الذي يمكن للتاريخ من جهة وللحكمة من جهة ثانية ان يوقعاه في هذا الصدد، اعني فيما يتصل بصلة الشعر بالجماعة. اما الحكمـة فان اهميتهـا ترتـد الى اعتبـارها «مثالا لكيفيات مجاري الامور والأحوال وما تستمر عليه أمور الأزمنة والدهور»(٤)، وتأثير الحكمة في الشعر رهين قدرتها على الاقناع خاصة عندما تتناغم التجارب المكثفة مع «حال من قصد به القول او وضع له»(٥). فتحدث في المتلقي ـ والامر كذلك ـ استجابة

---

(١) قاسم المومني: نظرية الشعر عند ابن سينا، بحث منشور في مجلة المورد العراقية، المجلد العاشر، العدد الثاني: ١٧، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٩٤.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٧.

(٤) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ١٥٥.

(٥) المصدر نفسه: ٦٧ وقارن بصفحة ٢٢١.

مقترنـة بالاقناع، وعلى هذا الاساس يمكن للحكمة ان تأتي على سبيل الاستدلال «لتوطن النفوس على ما لا يمكنها التحرز منه او لا يحسن بها التحرز من ذلك، ولتحذر مما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك، ولترغب فيمـا يجب ان ترغب فيه وتـرهب ممـا يجب ان ترهبه، وليقرب عندها ما تستبعده ويبعد ما تستقربه وليتبين لها أسباب الامور وجهات اتفاقات البديعة الاتفاق منها»(١).

أما التاريخ فان اهميته ـ في الشعر ـ تقع فيما تحمله العودة اليه من استحضار العظة والعبرة، وهو امر لا يختلف في جوهره عما يمكن للحكمة ان تحدثه. ان الشعر عندما يعمد الى المأثور ـ التاريخ ـ فانما يعمد اليه لا على اساس انه امر قد انبتر واندثر وانما يعمد اليه على اساس انه فعل يمكن ان يؤثر في المعهود ـ الحاضر ـ تأثيرا يوجه مساره على نحو افضل وذلك عن طريق «الاحالة».

قد يعني مصطلح «الاحالة» ـ عند حازم ـ الايماء الى وقائع التاريخ او معالجة هذه الوقائع معالجة تصل المأثور بالمعهود، وقد تتنوع الاحالة عند حازم لتشمل «احالة التذكرة، او احالة المحاكاة، او احالة الاضراب، او احالة الاضافة»(٢)، ودون ان نفصل القول في صنوف الاحالة صنف صنف فان الـذي يعنينا ان نقول ان الاحالة على الجملة متصلة بمقاصد الشعر الجمهورية مما يفرض على الشاعر عند محاكاة المعهود بالمأثور او احالته به عليه او استشهاده عليه به ان يوقع التوافق بين مقاصد كلامه ووقائع التاريخ واحداثه، وهو توافق يقتضي من الشاعر ان يراعي الانتقاء من وقائع التاريخ.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق: ٢٢١.

وتلعب القصص والامثال هنا دورا لافتا ذلك ان «ملاحظات الشعراء الاقاصيص والاخبار المستطرفة في اشعارهم ومناسبتهم بين تلك المعاني المتقدمة والمعاني المقاربة لزمان وجودهم، والكائنة فيها التي يبنون عليها اشعارهم مما يحسن في صناعة الشعر. ويجب للشاعر ان يعتمد من ذلك المشهور الذي هو اوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه وبيته ويعلقه عن طريق التشبيه، او التنظير، او المثل، او غير ذلك. ويسمى ما تسبب الى ذكره من القصص المتقدمة المذكورة بذكر قصة او حال معهودة، الاحالة، لان الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور»[1]. ومعنى ما يقوله حازم - كما افهم منه - ان العودة الى الاخبار المأثورة - التاريخ - مرتبطة اصلا بالوقائع المعهودة - الحاضر - وان المشابهة بين هذه وتلك امر لازم لتحقيق الربط المؤثر في ذهن المتلقي، ولقد قيل ان الاحالة الى الذائع المشهور يعين على تحقيق هذا الربط بصورة افضل[2].

ان الحاح حازم المتصل على علقة الشعر بالجماعة يعني الحاحه على المهمة الاخلاقية له، ويعني - وهذا هو الاهم - نفي الاسترفاد به لتعارضه اصلا مع هذه المهمة، وتتهاوى في غمرة هذا الالحاح او بسببه الجوانب الخاصة للشاعر المبدع بحيث تبقى الجوانب المتصلة بالتوجيه والارشاد، والتعليم والتهذيب هي الجوانب الاكثر وضوحا، ولكن حازما رغم كل ذلك يتقبل الجوانب الفردية الخاصة بالشاعر لانه لا ينكر اصلا تعدد جوانب الحياة الانسانية وتنوعها من ناحية وهو تنوع يستلزم - حتما - تنوع ضروب الشعر في التعامل معها من ناحية اخرى.

---

(١) المصدر نفسه: ١٨٩.

(٢) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٨.

ومن المنطقي طالما ان الشعر لا ينفك يتصل بالجماعة ان تتعدد مضامينه وتتنوع طرائقه وتختلف اغراضه، والتعدد في كل ذلك مواز لتعدد جوانب الحياة الانسانية مساو لها. ولما كان الناس في دنياهم منقسمين بحسب احوالهم اقساما ثلاثة وكانت احوال القسم الاول احوالا مفرحة او منعمة وأحوال القسم الثاني أحوالاً شاجية وأحوال القسم الثالث احوالا فاجعة، وجب ان تكون الاقاويل الشعرية ـ والقول لحازم ـ منقسمة بهذا الاعتبار، فهناك الاقاويل المنعمة وهناك الاقاويل الشاجية وهناك الاقاويل الفاجعة.

اما الاحوال المنعمة فهي التي تكون «مفرحة محضة يذكر فيها لقاء الاحبة في حال وجوده واجتلاء الروض والماء وما ناسبهما والتنعم بمواطن السرور ومجالس الانس»(١) وامثلتها نحو ان يذكر العناق اللثم وما ناسب ذلك من الملموسات والماء والخضرة وما ناسب ذلك من المبصرات، مثل ان يذكر الغناء والزمر والعزف ونحو ذلك من المسموعات، ونحو ذلك الخمر ونحوها من المطعومات، وتشمل الاحوال المنعمة اضافة الى كل ما تقدم مجالس الانس ومواطن السرور ومشاهد الاعراس والاعياد وما شاكل ذلك(٢). وكل هذه الاحوال تقوم بدور الترفيه عن الانسان وتجعله يستشعر اللذة والمتعة في تجشمه المشقة للوصول الى السعادة.

وعلى أساس هذا الترفيه أو «الامتاع» الذي يقترن بالاحوال المفرحة او المنعمة، يفهم حازم شعر المجون على الجملة فهما لا يفارق تصوره الاخلاقي ابدا، ويصبح هذا الشعر مقبولا على اساس من هذا التصور، ومن

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء ٢١-٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٧.

هنا يعقد الرجل مقارنة بين ما يسميه «طرق الجد» في الشعر «وطرق الهزل».

ان طرق الجد فيما يقوله حازم «مذهب في الكلام تصدر الاقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة والهوى الى ذلك»[1]، أما طرق الهزل فانها عند حازم «مـذهب في الكـلام تصـدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمة والهوى الى ذلك»[2]. ومن المنطقي والفارق بين الطريقتين ما ذكره ان يكون الواجب في معاني الطريقة الجدية «ان تكون النفس فيها طامحة الى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط عن مروءة المتكلم، وان تكون دون ادنى ما يحتشم من ذكره ذو المروءة او يكبر نفسه عنه»[3]، وان يكون الواجب في الطريقة الهزلية «ان تكون النفس في كلامها مسفة الى ذكر ما يقبح ان يذكر، والا تقف دون اقصى ما يوقـع الحشمـة. والا تكبـر عن صغير ولا ترتفـع عن نازل»[4]. وتتناغم اداة كل من الطريقتين مع مضمونها، فتتحرى طريقة الجد في عبـاراتها المتانة والرصانة وقد يسوغ فيها ايراد الوحشي والغريب. اما طريقـة الهـزل فقـد يتسـامـح فيها باستعمال الالفاظ الخسيسة والعبارات الساقطة، وقد تأخذ الاولى بطرف مما في الثانية كما تأخذ الثانية بطرف مما في الاولى[5].

قد نقول ان ما يقوله حازم في معرض مقارنته بين الطريقتين «الجدية والهزلية» يمكن ان نقع على اصوله عند نقاد من الفلاسفة امثال ابن رشد وابن سينا والفارابي، وان الجميع ينهل من النهاء الارسطي ولقد قيل ان كلا

(١) المصدر السابق: ٣٢٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣١.

(٥) المصدر نفسه: ٣٢٩.

المصطلحين ـ طرق الجد وطرق الهزل ـ قد استخدما منذ فترة مبكرة في النقد العربي وان المزج بين الطريقتين يستند الى تبرير فحواه ان النفوس ربما ملت الحق، ولذلك فهي تحتاج الى ان تمتري نشاطها وتبقى جمامها بشيء من الهزل، وهو تبرير تضرب جذوره، في النقد العربي المبكر(١)، وقيل ان مجمل ما اورده حازم في طريقتي الجد والهزل انما هو تطبيق مخلص لتقسيم ارسطو للشعر الى تراجيديا وكوميديا على فنون الشعر الغنائي(٢). ولكن علينا ان نلاحظ ان حازما عندما يستحسن ارداف الجد بالهزل او اعضاد الهزل بالجد، فانما يؤكد بطريقة او بأخرى انطواء الهزل على مدلول اخلاقي يتمثل ـ على صعيد ـ في تدارك للنفوس من ايلامها بالشاجي الصرف بأن تعرض عليها المعاني التي تلتذ بتخييل ما يعني بها وان آلمها مغيبه او انقضاؤه؛ ويتمثل ـ على صعيد آخر ـ في ان ذا الجد تحركه معاني الهزل وتطربه وان لم يكن من شأنه(٣). ولقد قيل ان الهزل برمته بما يتيحه للانسان من ترفيه ومتعة انما يمكن الانسان من مواجهة جهوده لتحقيق السعادة(٤)، وهو امر يؤكد ـ بالتالي ـ ان الشعر في معالجته لكل الجوانب الانسانية انما يؤكد الفضيلة بدرجاتها المتنوعة وبمثل هذا التأكيد ينداح الاسترفاد الرخيص بالشعر او الاستدرار الهين به.

ان الدور الذي ينهض به الشعر في معالجته جوانب الحياة الانسانية المتصل منها بالاحوال المنعمة هو الدور الذي يقوم به في معالجة الجوانب ذاتها ما اتصل منها بالاحوال الشاجية والفاجعة. اما الاحوال الشاجية «فهي

(١) جابر عصفور مفهوم الشعر: ٢٨٤.
(٢) شكري عياد: كتاب ارسطوطاليس في الشعر: ٢٧٧.
(٣) المصدر السابق: ٢٣٠.
(٤) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٦.

ان تذكر فيها مستطابات قد انصرمت فيلتذ لتخيلها ويتألم لفقدها»[1] وامثلتها ان توضع فيها الوحشة موضع الانس والكدر بدلا منها الصفاء والجور محل العدل والاساءة مكان الاحسان، ومن امثلة هذه الاحوال اعقاب التنعم بالوطن المؤنس بالتألم لفراقه واعقاب التنعم بالزمن المسعد بالتألم لفراقه، ومنها احوال كان الجور منها وضع موضع العدل والاساءة موضع الاحسان، ومنها تشكي جور الزمان وخون الاخوان وجري الامور على غير ما يلائم ذا لفضل، واكثر الناس فيما يورده حازم «لا يخلو عن بعض هذه الاحوال»[2].

اما الاحوال المفجعة فهي التي «يذكر فيها الانسان ما يلحق العالم من الغير والفساد ومآل بني الدنيا الى ذلك»[3] , بالجملة فان المعاني في هذه الاحوال المفجعة هي «اضداد المعاني المفرحة المنعمة»[4]. واذا كانت هذه الاحوال ـ الفاجعة والشاجية ـ تحمل معها تمرد الانسان على وضعه المتردي ورفضه، مثلما يمكن ان تحمل معها الم الانسان المرافق لكل وضع متوتر[5]، فان الشعر عندما يعالجها انما ينهض بدور ايجابي فعال عندما يؤكد تجاوز الانسان للمتردي من الوضع بعد رفضه له. وعندما يقدم البهجة من خلال ظلمة الفجيعة والامل من خلال عتمة الشجو، وهو دور يؤكده حازم عندما يقول «انه اذا تمادى استمرار الشاعر في الاسلوب على معاني من شأن النفس ان تنقبض عنها وتستوحش منها فقد يحق عليه ان يؤنس النفوس من استيحاشها ويبسطها من قبضها»[6]. وعندما يقول «ويجب ان تؤنس النفوس

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه ٢٢.

(٥) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٢.

(٦) حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٣٥٩.

عند استجمامها من توالي المعاني التي من شأنها ان تقبضها يناسب بينها وبين تلك مما شأنه ان يبسطها»[1]، وهذه اقاويل تشي بتآزر اغراض الشعر بعضها ببعض، وهو تآزر كمثل تآزر الاحوال الانسانية وتكاملها، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فانها اقاويل تشي بالاقتران الشديد بين الشعر في اغراضه المختلفة وبين السلوك الانساني في اوضاعه المتعددة، والشأن في ذلك هنا كمثل ما كان عليه في الاحوال السارة على السواء.

(٥)

يمكن ان نقول ـ بعد كل ما تقدم ـ ان الشعر يهدف ـ في المحك الاخير الى السمو بالانسان والارتفاع به عن مستوى الضرورة. ومن الطبيعي ان ينظر حازم الى الشاعر ـ والامر كذلك ـ باعتباره صاحب فعل جلل وامر مؤثر في حياة الفرد والجماعة وليس صاحب استرفاد مسف او طالب عطاء ذليل او قاصد سبب رخيص. واياً كان الاختلاف مع الرجل في تفاريق نظرته فاننا لا يمكن الا ان نسلم بالأساس الذي ظل يمتري منه في موقفه من الاسترفاد بالشعر.

قد لا يصل الناقد المعاصر الى ما توصل اليه حازم في معرض مقارنته بين الشعر والخطابة، فيرفض اصلا ان تكون المغالطة والتمويه اساسا للاستدلال والاقناع ويرفض اساسا ان يكون التأثير الذي يحدثه الشعر قرين الكذب والايهام. وقد يوجد الناقد المعاصر بين طرق الجد والهزل ـ هذا ان كان في الفن هزل ـ على اساس من الوحدة التي تجمع بين طرائق الشعر في المقصد والقيمة، وقد لا يرى الناقد المعاصر رأي حازم في ان الاخلاق

---

(١) المصدر نفسه: ٣٥٨.

الفواضل هي التي تصل بالفرد او الجماعة الى الكمال او السعادة باعتبار ان الاخلاق ليست الا محصلة لعلائق الجماعة المتشابكة. ان التأكيد على الاخلاق وحدها دون اعتبار لمكوناتها تأكيد يمس ظاهر الاخلاق دون ان يصل الى جوهرها، فضلا عن ان مطالبة الشاعر بالثبات عند الثوابت من الاخلاق الفواضل يعني بالضرورة حصر مهمة المبدع في جانب واحد واعني به معالجة ما هو كائن فحسب. ولقد قيل ان الشعر لا يصور الوجود كما هو وانما يصور مثاله(١).

قد نقول ان تأكيد حازم على هذا الجانب كان له ما يبرره ويسوغه، فالاسترفاد بالشعر قد كثر في عهده، والمغالطون في دعوى النظم كثر في ابانه وكل هذه امور ادت بالشعر الى التدني وبالشعراء الى الهوان والصغار، وقد نقول ان حازما كان يحيا في وقت ـ القرن السابع الهجري ـ كان يرافقه فيه احساس دائم بالغربة لغياب الاخلاق الفواضل فيه من ناحية، ولاستبداد الحكام من ناحية ثانية، وللتخلف بمستوياته المتعددة من ناحية ثالثة، وكل هذه امور تقف وراء الحاح حازم على مطالبته الشاعر بالتوقف عند الاخلاق الفاضلة فبمثل هذا الالحاح قد تعود للشعر نضارته وبمثل هذا الالحاح ينداح الاسترفاد عن الشعر. .

ولكن مهما كانت التبريرات التي تفسر تأكيد حازم على مطالبة الشاعر بالثبات عند الثوابت من المبادىء والقيم فان الذي لا شك فيه ان مهمة المبدع تخطي الكائن منها الى ما ينبغي ان يكون عليه منها لا على مستوى الفرد ولا على مستوى الجماعة وانما على المستوى الانساني برمته. وعند هذا الحد يمكن لمضمون الشعر الاخلاقي ان يفهم فهما ارحب يتعدل

(١) شكري عياد كتاب ارسطوطاليس في الشعر: ٢٧١.

خلاله مفهوم شعر المجون على الجملة، وعند هذا المستوى يصبح الشاعر في غير حاجة الى الكذب ويغدو في اشدها الى ان يعرف متلقية بما عنده من الامكانات الخاصة بفنه جدا[١]، بتردي وضعه ويغذي فيه رغبته في التغيير والتبديل والتخطي في آن، وعند هذا المستوى بالتالي يغدو التفريق بين طرق الجد والهزل امرا غير ذي شأن طالما ان المعول في الفن على الاثر الكلي للشعر في الانسان، وقدرة الشعر على ان يبده متلقية بالمفارقات الكامنة في العالم الذي يعيش فيه[٢].

وأيّاً كان الاختلاف بين حازم وبين الناقد المعاصر فلا يمكن للاخير الا ان يسلم بدقة منهج الاول في موقفه من الاسترفاد واتساقه، ولا يمكن له الا ان يتفق معه في الاساس الذي ظل يغذي موقفه وهو التأكيد المتواصل على وصل الشعر في اكتماله بالحياة الانسانية في كمالها، والتعامل مع الشعر باعتباره الاداة التي ترتقي بالانسان وتسمو به، وهنا يعالج حازم جانبا بالغ القيمة في بيان موقفه من الاسترفاد بالشعر، وهو جانب لا ينفك يتصل بعلقة الشعر بالجماعة، من حيث ما يستلزمه الموقف من المبدع والمتلقي في آن من متطلبات متساوية القيمة.

ان الشعر في تصور حازم ـ يكتسب قيمته من جلال غايته، وهو جلال جعل الشاعر مثل النبي يتبوأ منزلة اشرف الناس كما أسلفت. ويتطلب هذا الجلال من المبدع ان يكون فوق غيره ادراكا ومعرفة، وان يكون اكثر من غيرة قدرة على استحضار المأثور واستيعاب المعهود، وما دام الشاعر صاحب

---

(١) راجع هذه الامكانات عن قاسم المومني: نقد الشعر عند ابن شد بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، بحث منشور في مجلة المعرفة السورية، عدد ٢٢٩، أذار ١٩٨١ : ٣٠.

(٢) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٧ـ٢٨٨.

فعل جلل فان من المنطقي ان يكون اكثر من غيره خبرا ومعرفة . ومن هنا تبدو المعرفة بأصول الصناعة الشعرية امرا مهما، ويساوي هذا الامر في اهميته ان يكون الشاعر عميق الادراك للتجربة الانسانية . ان رحابة المعرفة اصل لازب لمعـرفة انحاء تصرف الازمنة ومجاري امور الدنيا طالما ان الاصل الـذي به يتوصل الى استشارة المعاني واستنباط تركيباتها هو «التملوء من العلم بأوصاف الاشياء، وما يتعلق بها من اوصاف غيرها، والتنبه للهيئات التي يكون عليها التأم تلك الاوصاف وموضوعاتها، ونسب بعضها الى بعض احسن موقعا من النفوس، والتفطن الى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع وعرض غرض»(١).

قد نقول ـ مثل حازم ـ ان المعتبر في حقيقة الشعر انما هو التخييل(٢)، فنعزف بهذا القول على اوتار عزف عليها الاسلاف من النقاد الفلاسفة ولكن الخيال لا يمكن ان يبدع شيئاً لم يؤد اليه الواقع الخارجي بصورة من الصور، ان فاعليتـه مقتـرنـة بالقدرة على الانتهاء الى العلائق الكامنة بين الاشياء وفيها، مثلما هي مقترنة باستيعاب تجارب الانسان في المأثور والمعهود ولقد قيل ان القدرة التخيلية تمكن الشاعر من اعادة تشكيل تجاربه التي مر بها بشكل او بآخر بحيث يشكل منها تجارب جديدة، قد لا يكون عاناها واقعيا، وان عاناها تخيليا(٣). وقال حازم لما كان القول في الشعر لا يخلو من ان يكون وصفا او تشبيها او حكمة او تاريخا احتاج الشاعر ان تكون له معرفة بنعوت الاشياء التي من شأن الشاعر ان يتعرض لوصفها، ولمعرفة مجاري امور الدنيا وانحاء تصرف الازمنة والاحوال، وان تكون له قوة ملاحظة لما

(١) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الادباء : ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١ وقارن بالصفحات : ٧١، ٨١ .

(٣) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ٢٨٩ .

يناسب الاشياء والقضايا الواقعة من اشياء اخرى تشبهها، وقضايا متقدمة تشبه التي في الحال[1] وهذا قول ينبىء بأن الشاعر قد يعايش بالفعل كل تجربة يعالجها في ابداعه، وينبىء ـ بنفس الوقت والقدر ـ بأن الشاعر قد يبدع في شعره تجارب لا تمت الى واقعه المعاش بصلة.

وقد نقول ان ثراء تجارب الشاعر قد يمكن من خلق تجارب جديدة، وعلى قدر هذا الثراء تكون الفائدة للشاعر والمتلقي، المهم ان يؤمن كل من الشاعر والمتلقي بأهمية الشعر ونفعه، لان مثل هذا الايمان يفرض على الشاعر ـ بالتأكيد ـ ان يترفع فوق كل استرفاد، ويتطلب من المتلقي ان يساعده في هذا الاتجاه ولا يسير في الاتجاه المضاد له. ان التأثير الذي يمكن للشاعر ان يحدثه في متلقيه قرين تأثره ـ أصلا ـ بموضوع ابداعه، طالما ان الدافع الاساسي للنظم ذاتي متصل باغراض اول هي «امور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس لكون تلك الامور مما يناسبها ويبسطها، او ينافرها ويقبضها، او لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الامر من وجهين: فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء، ويقبضها بالكآبة والخوف وقد يبسطها ايضا بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع. وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الامر من «مبدأ سار الى مآل غير سار»[2]. ومعنى ما يقوله حازم كما افهمه ان الدافع الاساسي للنظم ذو علقة بادراك الشاعر لجلال الموقف الذي ينهض به في حياة الانسان على مستوى الفرد والجماعة، واذا كان الشاعر لا يقوى على نظم شعر حق دون باعث ذاتي ودون ادراك لقيمة الشعر في حياته وحياة متلقيه، فان من المنطقي ان تكون

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١.

الجماعة اكثر عجزا عن الافادة من الشعر ان هي لم تدرك قيمته في حياتها[1].

قد يرد حازم مثل هذا الادراك الى التعاطف مع الشعر[2]، وقد يرتد هذا الادراك عند حازم الى الاعتقاد في الشعر انه حكم وانه غريم[3]. اما التعاطف مع الشعر فانه موجود في عهد الرجل، واما الاعتقاد بأهمية الشعر وجدواه ويفضل قول الشاعر وصدعه بالحكمة فيما يقول فانه معدوم على الجملة ايام حازم، والسبب في ذلك الاسترفاد بالشعر وهو امر ادى الى ازدراء الشاعر والنظر اليه على اعتبار انه طالب سيب رخيص.

وليس هناك من سبيل لدرء هذا السبب والرجوع بالشعر الى ما كان عليه ايام عزه وسؤدده خير من التركيز على المضمون الاخلاقي للشعر، والتأكيد على تصور اخلاقي يمتاح منه المبدعون ويفيد منه المتلقون وبمثل هذا الإلحاح ـ وهو إلحاح حرص عليه حازم كل الحرص كما أوضحت في الصفحات السابقة، يرتقي المبدع عن الاسترفاد الهين على حساب الفن، وترتفع درجة الاستعداد لقبول الشعر والتأثر بمعطياته. وبمثل هذا الالحاح ـ في النهاية ـ ترتفع قامة حازم عن قامات غيره من نقاد التراث ممن تأثر بهم الرجل في الموقف ذاته ـ موقف الاسترفاد بالشعر ـ او ممن ساير الشعراء في التقعيد للاسترفاد بالشعر والتأصيل للاستمناح به.

(١) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٩١.
(٢) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء والادباء: ١٢١
(٣) المصدر نفسه: ١٢١-١٢٢.

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الحادية والخمسين

للدكتور عدنان الخطيب
(عضو المجمع)

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الحادية والخمسين، بمدينة القاهرة في المدة الواقعة من ٥ جمادى الثانية، الموافق ٢٥ من شباط (فبراير) حتى ١٩ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٥هـ، الموافق ١١ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٥م، عقد خلالها ثلاث عشرة جلسة، منها جلستا الافتتاح والختام.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث وما انتهى اليه من مقررات:

أولاً: جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح العلنية في القاعة الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية، وحضرها لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الاعلام، برياسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر، وتم فيها ما يلي:

١ ـ **خطاب الدكتور مصطفى كمال حلمي** وزير التعليم العالي والبحث العلمي، استهل السيد الوزير خطابه بالترحيب بأعضاء المؤتمر وقال: «لقد أسعدني أن يكون الموضوع المقترح لمؤتمركم قضية **«تعريب التعليم»** **فهي** قضية طال عليها الأمد، فشغلت الأمة العربية وما زالت تشغلها، حتى صار علاجها **أملاً قومياً لكل عربي»** ثم أردف قائلاً: «ولا يفوتني ـ في هذا المقام ـ أن أشير بكل الاعزاز والاعتزاز الى ثراء لغتنا العربية في الميادين العلمية، والى ما تمتاز به **من قدرة على التعبير العلمي في مختلف صوره مصطلحاً واسلوبا**. .» ثم اختتم خطابه قائلاً: «ولعل اختياركم لهذا الموضوع لبحوث مؤتمركم ايذان بالبدء في تعميم حركة التعريب في وطننا العربي. . فقد آن الأوان لأن **تؤتي ثمارها المرجوة على أوسع نطاق»**.

٢ ـ **خطاب الدكتور إبراهيم مدكور** رئيس المؤتمر

رحّب السيد رئيس المؤتمر بالوافدين من أعضاء عاملين ومراسلين، منوهاً بتعاونهم الصادق وعطائهم السخي في خدمة أغراض المجمع منذ انشائه حتى اليوم، مؤكدا على أن **من مبادىء المجمع: «ألا يتخذ قرار لغوي ولا يعتمد، إلا إذا أقره مؤتمر المجمع في لقائه السنوي**، ومطبوعاتنا: مجلتنا، كتبنا، تحقيقنا، معجماتنا، لأخواننا فيها اثراء وعطاء ملحوظ. ولا نتردد في أن نبعث إليهم مستفسرين ومستجوبين ومستوضحين، وبخاصة فيما يتعلق ببعض المسائل الاقليمية. .».

ثم تحدث السيد الرئيس عن جهود المجمع في خدمة العربية وأضاف قائلاً: «. . إلى جانب دراساتنا المتخصصة **درج مؤتمرنا على أن يعالج**

مشكلة من مشاكلنا اللغوية الكبرى، وقد عالج من قبل ـ مثلا ـ لغة الصحافة، كما عالج تعليم اللغة العربية، إلى غير ذلك من موضوعات نحرص دائماً على أن تجتمع فيها الكلمة بين شيوخ العروبة في العالم العربي جميعه، وها أنتم ترون أننا في هذه المرة نعالج مشكلة من مشاكلنا الكبرى، وهي مشكلة تعريب التعليم في مختلف مراحله، وبخاصة: التعليم العالي والجامعي...».

وتحدث أخيراً عن ثراء اللغة العربية وجدارتها بأن تؤدي رسالتها في أي مادة من مواد العلوم الطبيعية أو الرياضية فضلاً عن الدراسات الإنسانية كلها من قانون وتاريخ وفلسفة. وختم خطابه قائلاً: «وأنا واثق كل الثقة من أن العربية ستستعيد مكانتها كتابة وتأليفاً وتدريساً في ميادين التخصص المختلفة».

٣ ـ خطاب الأستاذ عبدالسلام هارون الأمين العام للمجمع

تكلّم السيد الأمين العام عن رسالة المجمع ودور المؤتمر السنوي في هذه الرسالة، مبيناً ما تم انجازه في مؤتمر العام الماضي من أعمال ومصطلحات والقاء بحوث ونظر في أعمال اللجان المختلفة، وما انتهى إليه المؤتمر من مقررات وتوصيات.

ثم عدّد الأمين العام ما تمّ انجاز طبعه من أعمال المجمع من كتب ومعجمات ومحاضر جلسات، وعرض ما تمّ من صلات المجمع الثقافية، وأنهى خطابه بذكر أسماء الأعضاء الذين افتقدهم المجمع، وأسماء الأعضاء الذين فازوا بالانتخاب من مصريين وعرب ومستعربين.

٤ ـ خطاب الأستاذ محمد بهجة الأثري نيابة عن الأعضاء العرب

استهلّ الأستاذ الأثري خطابه بقوله: «في مثل هذا اليوم من العام الهجري الذي انصرم، وفي هذه القاعة، قاعة جامعة الدول العربية، احتفل مجمع اللغة العربية بعيده الذهبي بانقضاء خمسين عاما على زمن انشائه في كنانة العرب، وأطللنا على أعوامه تلك من شرفات جهاده الكبير في سبيل مجد العربية دأبا لا يعروه وفاء، وعزما لا يساوره خور، مواصلا عاما مضى بعام آت، ويوما أدبر بيوم مقبل، وهو يجود بعطائه الثري درراً متلاحقة وغزيرة دفاقة، ومجد العربية هو مجد العرب. . » ولئن زُعِمتْ تلك الأعوام الخمسون ذواهب فانيات في حساب تقلب الشمس على وجه البسيطة طلوعا ومغيبا، إنها في واقع الحال لبواقٍ خوالد في الأفعال، شوارق على الزمن، لا تطفأ لها أنوار، كما تطفأ الشموع حين يحتفل المترفون بتوديع عام من العمر مضى، واستقبال عام جديد اقبل، ولكنها تظل أبداً زواهر في سماء الحياة الإنسانية تملأ القلوب والعقول ضياءً ونوراً».

ثم استعرض الأستاذ الأثري أعمال المجمع منذ انشىء لمواكبة النهضة العلمية والفكرية التي استأنفها العرب، واصلين بها نهضتهم الأولى الخالدة الذكر، وقال: «ولست أشك في أنه من يوم انبثاق فجره الصادق قبل واحد وخمسين عاماً الى ساعته هذه، قد وُفِّق في معظم ما قدم من زاد للغة، أصولها وفروعها توفيقا ملحوظاً مشرق الوجه وواضح القسمات، وقد أعطى وأجزل العطاء وقطع أشواطاً بعيدة مما أريد منه من زاد للفصحى، لسان الأمة والملة. . ».

ثم ختم خطابه بقوله: «نحن أعضاء هذا المجمع الميمون المبارك،

القادمين الى كنانة العرب، مشاركين بتوفيق من الله في هذا الشأن العظيم ـ لسنا ضيوفاً على مصر، وكيف يكون المرء ضيفاً في داره؟ وإن طويت حتى الآن ـ حديث الشكر على ما نلقاه من الترحيب والحفاوة الصادقة المؤزرة بالحب والتقدير، فلأن المرء لا يشكر نفسه، ولكنه يحمد الله جلّ وعلا، وهو وحده سبحانه المحمود في جميع الأحوال، يحمده على النعمة التي يوليه إياها، وأي نعمة أحلى وأعلى وأغلى من نعمة السعادة تظلل الإنسان في مأواه، وحيث يحل من ديار قومه، بل من قلوب إخوته في هذا الوطن العربي الحبيب العزيز».

* * *

ثانيـاً: المصطلحـات العلميـة

درس المؤتمـرون وناقشوا، خلال جلساتهم اليومية، المصطلحات العلمية والفنية التي رفعتها اللجان المختصة إلى المؤتمر عن طريق مجلس المجمـع، فأقـروا غالبيتهـا بالاجماع، وبعضا منها بالأكثرية، كما أقروا البعض الآخر بعد تعديله.

وبلغ عدد المصطلحات التي عُرضت على المؤتمر ٢٠٠٢ مصطلح موزعة بين العلوم والفنون كما يأتي:

٢٤٨ مصطلحا في الجيولوجية.

٤٩٠ مصطلحا في الفيزياء.

١٧٩ مصطلحا في هندسة القوى الميكانيكية.

١٣٦ مصطلحا في الرياضة.

١٠٦ مصطلحات من ألفاظ الحضارة.

٧٠ مصطلحا في التاريخ.

٢٩٥ مصطلحا في الطب.

٣٢٤ مصطلحا في علوم الاحياء والزراعة.

١٩٩ مصطلحا في الكيمياء والصيدلة.

ثالثاً: البحـــوث والدراســـــات

استمع المؤتمرون، خلال مدة انعقاد المؤتمر، إلى عدد من البحوث والدراسات المتخصصة، ألقاها أعضاء المجمع وكانت غالبيتها تدور حول **«تعـريب التعليم»** وفيمـا يلي عرض موجز لها، مع أهم ما دار حولها من تعليقات أو مناقشات:

١ ـ قضية تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر

محـاضرة قيّمة ألقاها **الدكتور محمود حافظ**، تحدث فيها، خلال ساعة كاملة، عن الاهتمام الكبير بقضية تعريب التعليم العالي والجامعي بمصر في ربع القرن الأخير، مشيراً إلى مستوى خريجي الجامعات **«الآخذ في الهبوط والتردي الى درجة لفتت إليها الانظار في كل مكان»** مؤكداً: **«أن اللغة العربية هي الأداة الطبيعية للتعليم الجامعي والعالي وذلك لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية، إذ أن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت تعلّم بلغتها، وتكتب وتؤلف بلغتها. . »**.

وأكـــد المحـــاضـــر على أن: «قضية التعـريب في التعليم العـــالي والجـامعي ترتكـز على محـاور أو اهتمامات ثلاثة هي: **الأستاذ والكتاب والطالب»** ثم عرض الى كل واحد منها وما أصابها من التطور في مصر بفعل التوسع الجامعي، وزيادة عدد الطلاب زيادة عظيمة، داعما أقواله بالأرقام والاحصاءات الرسمية، مجملا القول: «بأن نحو ٣٠٪ من مجموع طلاب

المرحلة الجامعية في مصر، ونحو ٥٠٪ من مجموع أعضاء هيئة التدريس في هذه المرحلة يَدْرسون ويُدَرّسون باللغة الإنكليزية في الوقت الحاضر» ليبين حجم المشكلة وأبعادها في الحاضر والمستقبل قريبه وبعيده.

ثم تكلم عن دور الأستاذ والمعلّم في قضية التعريب وبيّن أن آلافاً من الأساتذة عادوا من الخارج بعد أن أتموا دراساتهم العليا بالجامعات الأجنبية «يقومون بتدريس أغلب العلوم باللغة الانكليزية في كلياتنا وجامعاتنا المختلفة على مدى سنوات طوال حتى اليوم، تجذبهم في ذلك المادة العلمية الجاهزة في مراجعها الأجنبية، ويميل بهم التراخي الى تكرارها، ويخشون استخدام اللغة العربية فيحتاجون إذن الى بذل جهود مضاعفة في الترجمة والاعداد هم في غنى عنها حين يستخدمون اللغة الأجنبية. ويا ليت اللغة الأجنبية التي يتعلم بها الطلاب لغة سليمة، بل هي آخذة في التردّي. وقد زاد الطين بلّة تكدس الطلاب بالآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة، وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماما..».

وعرض الباحث هنا صوراً مشرقة عن تجارب نفر من الأساتذة المصريين درّسوا مادتهم باللغة العربية في مصر أو في بعض البلاد العربية، وكانت تجربتهم في غاية النجاح ومدعاة للافتخار.

ثم تكلم المحاضر عن دور الكتاب في قضية التعريب، وتحدث عن فقر المكتبة العربية في الكتب والمراجع العربية، مشيراً الى ان من أسباب «العزوف عن التأليف بالعربية، أو ترجمة أمهات الكتب والمراجع العلمية الى العربية، غيبة الحافز الذي يدفع الى ذلك»، اضافة الى «الأزمة التي تمرّ

بها حركة الترجمة بوجه عام، لا في مصر وحدها بل في بلاد أخرى من الوطن العربي . . .».

وأخيراً تكلّم المحاضر عن دور الطالب الجامعي الذي هو «بمثابة التربة التي يتعامل معها الأستاذ، فإذا صلحت وصلحت مكوناتها آتى التعريب أُكله، وأتى بأعظم النتائج وأطيب الثمرات». وأردف يقول: «وإذا كنا ندعو لتعريب التعليم الجامعي - وهو أمل طالما اشرأبت لتحقيقه الرؤوس وتطاولت الاعناق، وهدف قومي أسمى طالما سعينا اليه - **علينا أن نعمل على رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية**، بعد أن هبط لديه ولدى غيره الى الحضيض، **وأصبحنا نجأر بالشكوى لما وصل اليه حال اللغة العربية هذه الايام** . . .».

ثم ختم محاضرته بالكلام عن الهيئات العلمية واللغوية التي تنهض بحركة التعريب في مصر، مُشيدا بجهودها، مقترحاً الأخذ ببعض التوصيات، مؤكداً على أنه: «**إذا أُريد لتوصياتنا أن ترى النور، وتأخذ طريقها نحو التنفيذ** لنستكمل الشوط الذي بدأناه ولاحت تباشيره، **فعلى الدولة أن تتبنى قضية تعريب التعليم العالي والجامعي بقرار سياسي ملزم** . . .».

وأعقب المحاضرة حوار بين المهتمين بتعريب التعليم الجامعي، وقد بدا اتفاقهم على ضرورة ذلك واضحاً، ولكنهم اختلفوا على اسلوب الوصول الى الغاية المنشودة والمدة اللازمة لها، غير أنهم أجمعوا **على أن تبعة تأخر هذا الامر إنما تعود الى النص القانوني** الذي يسمح بتدريس بعض المواد العلمية بلغة أجنبية، **والى تباطؤ الدولة في اتخاذ قرار بالزام التدريس باللغة القومية**.

٢ ـ معوقات تعريب التعليم الجامعي

بحث ألقاه الدكتور محمود مختار، عرض فيه لمكانة اللغة العربية في النفـوس، وصلاحها لأن تفي بكل ما يمتّ لحياة الانسان. ثم تساءل قائلا: «أين يا ترى تكمن جرثومة العزلة أو التباعد في مجال حيوي كتعريب التعليم الجامعي، الذي طال أمره واستعصى حلّه ما يزيد على نصف قرن من الزمان؟».

ثم ذكر بأن قانون الجامعة ينص صراحة على أن لغة التعليم فيها هي العـربية، على أن فيـه نصـاً على استثناء يجيز تدريس بعض المواد بلغة أجنبية. وهنا قال: «تلك هي الجرثومة التي ولدت ونمت وأنبتت ما تعانيه الجامعة اليوم من مأساة التعليم بغير العربية في كلياتها العلمية». ثم نادى بانقاذ التعليم من جرثومة الاستثناء هذه».

وانتقـل البـاحث الى معـوقين آخـرين هما: ١ـ عدم وجود الأستاذ الجامعي القادر على أن يخاطب طلبته بلغتهم البليغة بدلا من تلك العجمة البغيضـة. ٢ـ تلك الكتب الدراسية المترجمة عن لغات الغرب والشرق، والتي غزت سوق الكتاب العلمي. . هذه الكتب التي كتبت أصلا لطالب جامعي في مجتمـع متقـدم علميا وحضاريا، وتختلف أساليبه وبيئته عن أساليب وبيئة مجتمع نامٍ له ظروفه الخاصة المحدودة.

وأخيراً دعا الباحث الى انشاء هيئة قومية موسعة تتولى علاج المعوقات التي ذكرها بالدراسة المستفيضة والتخطيط السليم.

٣ - تعريـــــب التعليـــــم

بحث ألقـاه الـدكتور أحمد عبدالستار الجواري عرض فيه تجارب الأمم الأخـرى التي تعنى بلغـاتهـا القـومية، كالولايات المتحدة والصين واليابان، ورد على القائلين بصعوبة التعليم باللغة العربية، ثم دعا الى تيسير قواعد اللغة العربية وأساليب تدريسها، والى العناية بالمصطلح العلمي، كما دعا الى العناية بتعليم اللغة الأجنبية. وختم حديثه قائلا: «**يجب على أولي الأمر أن يستجيبوا لداعي العلم والاخلاص في خدمته ونشره بين أبناء الأمة، فيعينوا على وضع الأمر في نصابه، ويقرروا قطع دابر البلبلة والتردد في معـاهد التعليم ومؤسساته بين اللغة الأم، وهي العربية، وبين اللغات الأخرى الدخيلة**».

٤ - مواكبة التعليم باللغة العربية للتطوّر العلمي

بحث ألقاه الدكتور محمود الجليلي، عدّد فيه شروط مواكبة التعليم بالعربية للتطوّر العلمي، فأجملها بما يأتي:

أ - معرفة اللغات التي تستعمل في العلوم والتقنيات في الوقت الحاضر، والانكليزية أهمها.

ب - ترجمة ما يصدر باللغات الأجنبية الى العربية.

جـ - اصدار طبعات عربية من الدوريات المتعددة اللغات.

د - نشر الأبحاث التي تكتب بالعربية بلغة أجنبية في الوقت نفسه.

هـ - إصدار مجلات مراجعة وملخصات على غرار ما هو موجود في العالم الغربي.

و - اصدار كتب بالعربية ضمن سلاسل تختص كل سلسلة بعلم معين.

ز ـ تأليف كتب دراسية وكتب مراجع على أن تلاحق طبعاتها التطور العلمي.

وقد شرح كل هذه الشروط، مقارنا إياها بما يجري في الغرب. وأنهى حديثه بضرورة انشاء مركز بحوث عربي، تستخدم فيه وسائل التقنية الحديثة.

٥ ـ بين لغة الأدب ولغة العلم

بحث فلسفي مطوّل ألقاه الدكتور توفيق الطويل، استهلّه بتعريف مفهوم الأدب ومفهوم العلم، مستعرضاً أهم وجوه الخلاف بين لغة الأدب ولغة العلم، حاصراً هذه الوجوه بسبعة فروق هي:

١ ـ الجديد والقديم في الأدب وفي العلم.

٢ ـ ذاتية الأديب وموضوعية العالم.

٣ ـ صدق الأديب ونزاهة العالم.

٤ ـ وسيلة التعبير في الأدب وفي العلم.

٥ ـ الخيال بين لغة الأدب ولغة العلم.

٦ ـ معيار التقييم في الأدب وفي العلم.

٧ ـ بين أهداف لغة الأدب وأهداف لغة العلم.

ثم تكلّم عن موقف الأدب الحديث من العلم مؤكدا على: **خطأ النقاد والناس في استخفافهم بالأدب، والقول بأنه مجرد تسلية ومضيعة للوقت»**.

٦ ـ الكـــــون

بحث ألقاه الدكتور حسن علي ابراهيم عرض فيه حقائق عن الكون، وعن نظام المجموعة الشمسية بلغة مبسطة، ذاكراً تاريخ معرفة الانسان

لتلك الحقائق، بعد أن ظل قرونا طويلة يجحدها ويرمي الرواد الذين قالوا بها بالمروق من الدين، **مقارنا إياها بما ورد في القرآن الكريم**، الذي يدعو الانسان الى التفكير في خلق السموات والأرض لادراك عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

ودارت مناقشات حول هذا البحث كان أكثرها يتضمن شكر الباحث على بحثه الممتع المفيد، وبعضها كان تعليقا على بعض ما ورد من معلومات. وتضمن تعليق الدكتور سليمان حزين التأكيد على أنه: «**لا يجوز أن نفسر القرآن الكريم بالعلم**، وانما علينا أن ندع العلم يفسر نفسه في ضوء القرآن الكريم».

٧ ـ حورية

بحث ألقاه **الدكتور إسحق موسى الحسيني** حول شيوع اسم «حورية» في مصر وكثير من البلدان العربية. وهو يتساءل عما إذا كان للفظة حورية علاقة بكلمة «أوريا huraia» اليونانية؟ وبعد جولة بين معجمات لغوية مختلفة، تأكد له أن الكلمة يونانية الأصل، دخلت العربية ولا علاقة لها بمادة «حَوَر» العربية، ولا بلفظة (حُور) الواردة في القرآن الكريم، في أكثر من آية. والتفسير المتفق عليه أن معناها «**نساء بيض واسعات الأعين حسانها**». وأيد ذلك بما اثبته المعجم الوسيط من تعريفه كلمة حورية بفتاة **أسطورية تتراءى في البحار والأنهار والغابات**، وهو يؤكد بأن هذا الوصف يختلف اختلافا كبيراً عن وصف الحُور الواردة في القرآن الكريم، مما يرجح الظن بأن الوصف مأخوذ عن وصف «أوريا» الوارد في **الأساطير اليونانية**.

٨ ـ من معاني «إلا» في القرآن الكريم

بحث ألقاه الأستاذ سعيد الأفغاني، ذكر فيه نبذة عن اهتمام العلماء منذ المئة الثانية للهجرة بمعاني الحروف، وعدد ما ألفوه في هذا الموضوع. ثم عرض لمعـاني «إلا» في القرآن الكريم، وقد أحصى ورودها فيه فبلغ ٦٤٣ مرة، كثرتها الغالبة طابقت معانيها أعاريبها. وكانت من الاستثناء كما يقـول النحـاة، ولكن ٣٤ منهـا لهـا معنى آخـر لا يذكـر في كتب النحو المـدرسية، ولكن المفسـرين يذكـرون معنـاهـا الصحيح فيقولون: «إلا» معناها: لكن.

وانتهى الباحث إلى اقتراح «الغاء ما سمّوه (النحويون): الاستثناء المنقطع، لأنه لا استثناء فيه، فإنه لا معنى لأن تخرج شيئاً لم تدخله قط». وأضاف قائلاً: «لكلمة إلا أربعة معان، ثلاثة منها تكثر في الكلام، وهي:

أ ـ الاستثناء، حين يكون في الجملة مستثنى منه.

ب ـ الحصر، وهو ما أسموه بالاستثناء المفرغ، والخير أن يحذف أيضاً من باب الاستثناء.

جـ ـ الاسـتدراك.

د ـ والمعنى الرابع قليل الاستعمال، وهو الوصفية أو مرادفة غير».

٩ ـ الأثر النفسي والاجتماعي في تعريب التعليم

بحث ألقاه الدكتور يوسف عز الدين، بيّن فيه صعوبة تعريب التعليم بعد أن مرّ العرب بمرحلة طويلة من التأخر العلمي والجمود الفكري. ثم تكلم عن خطط تعريب التعليم الجامعي في العراق، ومن أبرزها ما وضعه مؤتمر تعريب التعليم في الوطن العربي، الذي عقد في بغداد في شهر آذار سنة ١٩٧٨.

واستعرض الباحث عوامل نجاح خطط التعريب، فأجملها بما يلي:

أ - توفير الكتب العلمية ومصادر البحث والمراجعة باللغة العربية.

ب - اعداد الأساتذة اعدادا نفسياً ليكون الأستاذ قادراً على تدريس العلوم البحتة باللغة العربية.

ثم تكلم عن أثر العامل النفسي في نشر التعليم باللغة العربية، فهو «يخلق الثقة بقابلية العربية لاستيعاب العلوم الحديثة وهضم الحضارة الجديدة، لتكوين وحدة روحية تزرع الثقة العميقة بأصالة اللغة العربية والاعتداد بالتراث الاسلامي.

وأخيراً دعا الى تدخل المشرع لتحقيق نجاح التعريب.

١٠ - حرفا الباء والفاء في اللغة

بحث ألقاه الدكتور عمر فروخ، أشاد فيه بمكانة اللغة العربية، فيما يتعلق بفقه اللغة المقارن، بدأه بالكلام عن «الأبجدية» مستعرضاً مختلف الأقوال في اختراعها وانتشارها وعدد حروفها، وبيَّن عدد الحروف التي زادها العرب عليها، وأتى على ذكر بعض الأصوات الغامضة التي يعبّر عنها بحرفين، وهي في الأصل صوت واحد سمعته الأمم سماعا مختلفا، ثم تناول الكلمات الحائرة بين الباء والفاء في حالتي انتقالها، في ضوء التاريخ، من لغة أجنبية إلى العربية، أو من العربية الى لغة أجنبية، وذكر بعض الكلمات التي «تقال في العربية بالباء وبالفاء، والمعنى بالحرفين واحد أو كالواحد» مثل فعلي باءَ وفاءَ معناهما: رجع، وبأرَ وفأرَ بمعنى حفرَ، وختم بحثه اللطيف واصفا اياه بأنه يفتح «نافذة صغيرة على الثروة العظيمة الجميلة في لغتنا العربية، في ذلك الدور القديم من تاريخها، حينما كان

الصوت معبراً عن المعنى، أو حينما حاول الانسان أن يعبر عن الصوت بالمعنى».

١١ ـ درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب

بحث لغوي عميق ألقاه الدكتور تمام حسان، عالج فيه مسائل كثيرة من قضايا النحو واللغة، وقدّم له بمقدمة طويلة نوجزها بما يلي، قال: «للصواب والخطأ زاويتا نظر، احداهما ترتبط بصناعة النحو، والأخرى تتعلق باسلوب الاستعمال اللغوي؛ أي أن احداهما فنية والثانية اجتماعية. فأما من وجهة النظر الاسلوبية الاجتماعية فالصواب ما وافق الشائع في الاستعمال، والخطأ ما ندّ عنه».

وبيّن الباحث كيف أن صاحب السليقة «**لا يهتم للقاعدة، إذا عرفها، أيّ قدر من الاهتمام، ما دام حدسه اللغوي يرى الصواب فيما قيل**. وتلك هي القضية التي كانت مثار المشاكسة بين الفصحاء والطاعنين على العرب، كالذي كان بين الفرزدق وابن ابي إسحق، إذ قال الفرزدق له: (علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا)».

وبما أن «معترك اللغة أوسع من أن يخضع لضوابط النحو، ويرجع هذا الى أسباب متعددة، ليس أهونها طموح الأدباء والشعراء الى الترخص والابتداع، ولا ما وقع فيه النحاة أنفسهم من التماس الاطراد في لهجات العديد من القبائل. ومن هنا كان من صلب عمل النحاة أن يقيدوا كبريات القواعد باستثناء هنا، واستدراك هناك، وشروطٍ في موقع ثالث، وأن يصوغوا قاعدة لكسر قاعدة أخرى، أو يقعدوا لعدولٍ عن الأصل، أو يتقبلوا أسلوبا

فصيحا عدل به عن الأصل، ثم يتناولوه بالتبرير والتأويل.. وأخيراً كان عليهم أن يرتضوا بعض الخروج على هذه القواعد لأغراض أسلوبية، وأن يرفضوا بعضاً آخر لكونه شاذاً أو نادراً.. وأن يحكموا على ما خالف قواعدهم عدا كل ما سبق، بأنه خطأ من الخطأ لا تقبل فيه شفاعة التأويل، ولا تبرره الشواهد القليلة».

وانتهى الباحث في مقدمته الى القول: «ذلك موقف النحاة من جانب، والعرب الفصحاء من جانب آخر. أمّا نحن فلنا موقف نظري آخر، نشرح فيه تدرج الصواب والخطأ على مساحة تشمل الموقفين جميعاً، بدءاً بالقاعدة المحكمة وانتهاء بالسنّة المتبعة».

وأخذ الباحث يشرح المسائل التي ركّز عليها ويعالجها معالجة الخبير المتمكن، الذي يريد أن يخضع اللغة الى مقاييس رياضية دقيقة.

وأثار البحث عاصفة من التعليقات والاعتراضات، كان أبرزها اعتراض الأستاذ محمد بهجة الأثري على موضوع: «التضمين»، الذي اتكأ الباحث عليه في تبرير أكثر الامثلة على مخالفة القواعد النحوية، قائلا: «موضوع التضمين من أخطر قضايا اللغة، وإذا فتحنا هذا الباب على مصراعيه نكون قد هدمنا اللغة من أساسها، وسمحنا لكل إنسان بأن يستعمل فعلا موضع فعل، بحجة أن هذا من باب التضمين».

١٢ ـ من كناشة النوادر

الحلقة السادسة من سلسلة الأحاديث التي عوّد الأستاذ عبدالسلام هارون المؤتمرين أن يمتعهم بها كل سنة، تضم طرائف منتقاة من كتب التراث، وتضمنت هذه السنة نبذاً عديدة، نقتطف منها النبذ الآتية.

أ ـ الكرم الحاتمي، وقد تضمنت صوراً رائعة من الجود والسماحة والندى، تنبىء عن طيب العنصر العربي في جاهليته وفي إسلامه، والتي جعلت من الجود صفة لاصقة بحاتم الطائي خلّدته على مرّ الأيام، وصار يضرب بجوده المثل السائر «أجود من حاتم».

ب ـ برّ الابناء، وقد تضمنت قصة خالد بن عبدالله القَسْرِيّ الذي يضرب به المثل الرائع في سماحة الإسلام، وفي حثّه على برّ الوالدين، مما دفعه، وكان أميراً على الكوفة، أن يبني لأمه ـ وكانت نصرانية ـ بيعة تتعبد فيها هي ومن على نحلتها من النصارى. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان، عند كلامه على (بِيعة خالد) قال: «منسوبة الى خالد ابن عبدالله القَسْري؛ كان بناها لأمه، وكانت نصرانية، وبنى حولها حوانيت بالآجرّ والجص» لتعمير تلك البقعة.

جـ ـ عيد الغطاس، وتضمنت ما ذكره المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ في كتابه مروج الذهب، وكان مما قاله: «ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وهي لليلة إحدى عشرة تمضي من طوبة، وستة من كانون الثاني».

د ـ حساب العَقد، وتضمنت الدلات، كما ذكرها الجاحظ في «البيان والتبيين» منها حساب العَقد، ويكون بأصابع اليدين، ويقال له «حساب اليد» وهو طريقة حسابية إشارية كان العرب يستعملونها، يعبّرون بها عن العدد، ولا سيّما عند المساومة على البيع.

ويقول البغدادي في خزانته[١] عن نظام العَقد عند العرب «وقد ألّفوا

(١) انظر خزانة الأدب ٧: ٥٣٨.

فيه كتباً وأراجيز، منها أرجوزة أبي الحسن الشهير بابن المغربي».

هـ ـ **القاضي القبطي**، وتضمنت خبر أبي عمرو عبدالملك بن عمير بن سويد اللخمي، وكـان قاضياً على الكـوفـة بعـد الشعبيّ، ويعرف بالقبطي، وقد ذكره الذهبي في كتابه «المشتبه» قال: «**وكان له فرس يقال له القبطيّ، فعرف بفرسه**».

١٣ ـ الملحـــــون

بحث ألقاه **الأستاذ محمد الفاسي**، عرض فيه دراسة مطوّلة قام بها عن الشعر العامي في المغرب، نافياً أن تكون تسميته مشتقة من «اللحن» بمعنى الخطأ، لأنه لا يعقل أن يُسمِّي أحدٌ شعره بكلمة تنم عن الجهل. وارتأى: «أنهم اشتقـوا هـذا اللفظ من «التلحين» بمعنى أن الأصل في هذا الشعر الملحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شيء».

وذكر الباحث أن أخص مميزات الأدب الشعبي أنه لا يعرف قائله، «أما الملحون فلا يربطه بالناحية الشعبية إلا كون قائليه في الغالب من عامة الشعب، وليسوا كذلك في الغالب من المثقفين، بل كانوا أميين. وأما من حيث اللغة العامية، فإنها ليست لغة طبقة شعبية منحطة، بل هي لغة أرقى من اللغة التي يتكلم بها حتى المتعلمون، لأن شعراء الملحون يدخلون في كلامهم كثيراً من الكلمات الفصيحة بعد اجرائها على الأسلوب العامي، ثم إن من بين شعراء الملحون من لو تُرجم انتاجهم للغة حيّة لعدّوا من أكابر شعراء الدنيا».

وتحـدث الباحث عن موضوعات الملحون فقال: «إن الموضوعات

التي يطرقها شيوخ الملحون يمكن أن نقول عنها من أول وهلة: **إن سائر النواحي التي نعتادها في الشعر العربي الفصيح نجد لها مقابلا في الملحون»**.

وأنهى الباحث حديثه بقوله: «هذه نظرة وجيزة عن جانب من هذا الفن البديع وانني أهتم به وأجمع الانتاجات التي أبدعها الأشياخ المغاربة، ونعني بهذا التعبير الشعراء منذ نعومة أظفارهم، وجمعت من القصائد خمسة آلاف قصيدة، ومن الشعراء خمسمائة شاعر، ووضعت أسس عروضه ومصطلحاته. **وجُمع من ذلك كله مؤلف ضخم يحتوي على عشرين جزءاً**، أخذت الأكاديمية المغربية تنشره وسيظهر، إن شاء الله، جزؤه الأول بعد شهر».

١٤ ـ مرّ السنين

قصيدة ألقاها الدكتور حسن علي إبراهيم بلغت ٥٩ بيتاً، يصف فيها حياته من يوم ولد إلى أن دبّتْ فيه الشيخوخة، وصفاً رائعاً فعدّد متاعب الشيخوخة، وعدّد منغصات الحياة فيها، وهذه بعض أبياتها:

هذا الوليد ترى ماذا يروّعه	ولِمْ تسيل على الخدين أدمعه؟
أهاله صرف دهر ليس يعلمه	أوهل تبدّى له في الأفق مصرعه؟
وغادر المهد وثابا وفارقه	وصدر أم رؤوم كان يرضعه
سرعان ما دبّ في درب الحياة فتى	إن الطريق طويل سوف يذرعه

* * *

تبدّل الحال: ما قد كان يولعه	بالأمس أصبح في ذا اليوم يفزعه
ماذا يريد من الدنيا وقد ذهبت	وهل شباب تولى سوف ترجعه؟

قد كان يسمع همس الريح عابرة | واليوم رعدُ دَوَى ما كاد يسمعه
قد كان ينظر للدنيا وفتنتِها | واليوم أصبح للأخرى تطلُّعه

* * *

إن الحياة مضت والموت مقترب | كأس المنية دانٍ سوف يجرعه
قالوا المشيب جميل في رزانته | وأنه في طريق العمر أمتعه
عانى من المشيب أهوالا منغَّصةً | لو أن للشيب أنفا كان يجدعه
أقول للناس عيشوا قدر طاقتكم | مع الشباب وقَوْلي من سيسمعه؟

* * *

وقد أطرى المؤتمرون الطبيب الشاعر على قصيدته الرائعة، وقد استمتعوا بها، واثنوا عليها. وكان أبلغ تعليق قول الأستاذ محمد بهجة الأثري: «لقد أبدع الطبيب الشاعر أو الشاعر الطبيب، واعتقد أن هذه القصيدة في وصف المشيب تكاد تكون وحيدة في بابها في الأدب العربي، وهناك قصيدة بقيت وحيدة أيضاً في الأدب العربي أبدعها أمير الشعراء أحمد شوقي، بدأها بالحديث عن مراحل العمر المختلفة حتى وصل الى الشيخوخة، وهكذا سمعنا من قبل وقرأنا في دواوين الشعراء كلاماً عن الشباب، أما عن الشيخوخة فلعلهم جميعاً تجنّبوا الحديث عنها. لذا نشكر الشاعر الطبيب، فقد جاءت قصيدته رائعة في جزالة التعبير وانسجام الاداء وروعة المعاني، والله نسأل أن يمتعه في شيخوخته بعنفوان الشباب».

رابعاً ـ تأبين زميل

افتقد المجمع بتاريخ ٢٢ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٥ زميلاً محترماً هو الشاعر الأديب الموسوعي محمد عبدالغني حسن، الذي كان،

منذ انتخابه عضواً في المجمع، من أنشط أعضاء المؤتمر السنوي. وقد عقد المؤتمر لتأبين فقيده جلسة علنية، حضرها لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الإعلام. وفيما يلي عرض موجز لأهمّ ما دار في تلك الجلسة:

١ - افتتح الجلسة الدكتور إبراهيم مدكور بكلمة موجزة أشاد فيها بالفقيد، منوّهاً بالدور الكبير الذي كان يقوم به خلال المؤتمرات السنوية، منذ انتخابه عضواً بالمجمع حتى وفاته.

٢ - ألقى الأستاذ عبدالسلام هارون باسم المجمع كلمة مؤثرة في تأبين الفقيد، معدداً مآثره قائلاً: «عرفت الفقيد في مقتبل الشباب ونحن نسعى لقطاف أوائل المعرفة في تجهيزية دار العلوم، التي كانت نمطاً فريداً بين دور العلم، تجمع إلى أصول العربية والدراسات الدينية طوائف من علوم العصر وفنونه، فكان علماً بارزاً بين إخوانه، مجلّيا بين أقرانه، ممتازاً بنشاطه في الحياة الاجتماعية..».

ثم أخذ يترجم للفقيد في مختلف مراحل حياته حتى انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية، موضحاً مجمل نشاطه المجمعي، مؤكّداً على أنه «ظل يسهم اسهاماً فعالاً في نشاط المجلس ومناقشاته، وفي المؤتمرات وبحوثها ودراساتها، وفي المجلة وفي اللجان الخاصة، التي سعدت بعضويته، وهي: لجنة المعجم الكبير، ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة الفنون، ولجنة الأدب، ولجنة التراث».

وأخيراً عدّد مؤلفات الفقيد، وما نشر منها في مختلف الفنون: من دواوين شعر، وكتب أدبية ونقدية وتاريخية، وكتبه في تراجم الرجال، وما

حقّقه من مخطوطات التراث.

٣ ـ ألقى الدكتور إبراهيم الدمرداش قصيدة في رثاء الفقيد، بلغت ٣٣ بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية:

ما للبلابل فوق الأيك صامتة ... هل خُبِّرت بمصير الشاعر العلمِ؟
«عبدالغني» لقد لبيت دعوته ... فانعم بصحبة خير العرب والعجمِ
شوقي وحافظ والمطران قد وقفوا ... يستقبلون ببشر شاعر الهرمِ
أمسك كتابك في يمناك شاهدة ... بالسعي في الخير والاخلاص في القلمِ
بيني وبينك دين لست ناسيه ... من يوم ذكرك لي في مجمع القممِ
قد كنت فينا فقيهاً شاعراً علماً ... ذا خبرة بحديث اليوم والقدمِ
في النحو والصرف والآداب نابتة ... في الشعر والنثر ذا فضل وذا هممِ
صدّاح مجمعنا في كل مؤتمر ... وناثر الدرّ في الأفراح والألمِ
فاغفر له ربنا ما كان من خطأ ... واغفر لنا ذنبنا يا واسع الكرمِ

٤ ـ ألقى الأستاذ حسن عبدالله القرشي قصيدة في رثاء الفقيد، ورثاء كل أديب وكل شاعر أحدقته الأيام، وكانت عدة أبياتها (٣٣) بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية:

قف على الدرب زهوًا وابتساما ... إنه عرس شهيد يتسامى
يحطم القيد إذا القيد عنى ... ويرد الموت مهزوما مضاما
راهب للفن علوي الرؤى ... لم يكن يخفر للفنّ ذماما
شاعر للخلد قد سار الى ... موكب الخلد محبّاً مستهاما
لم يعد في الكون ما يؤنسه ... بعد أن عاد يبابا وحطاما
لم يعد بين الندامى شارب ... نشوةُ العنقود ولّت والندامى

يا عريق الـجـرح كم صغـت من ... الـجـرح للأمـجـاد غاراً ووسـامـا
يا فلسـطيـن توارى عاشـق ... طالـمـا غنّـاك وجـداً وهـيـامـا
جرحـك الـقـدسـي كم قبُـله ... باكـياً لم يخش في الـحـب ملامـا
أيهـا الـحـبّ الـذي كان سنـا ... عبـقـريا وصـفـاء وسـلامـا
عش بدار الـحـب فالـدار هنـا ... لم تعـد إلا جحـيـمـا وخـصـامـا

٥ ـ ألقى الأستاذ علي هاشم رشيد قصيدة في رثاء الفقيد بلغت ٣٥ بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية:

كأس على كل الأنـام تدار ... ومـوارد لم يأتـهـا اصـدارُ
هل ظلّ معـنـى لم يُقَـلْ لأقـولـه ... أولم يزل في عيشـنـا أسـرارُ
«عـبـدالـغـنـي» أهـكـذا غادرتـنـا ... قبـل الـوداع ودمـعـنـا مدرارُ؟
أبـخـلـت عنـا بالـوداع وأنـت مَن ... صان الإخـاء ولـلـوفـاء شعـارُ
يا عالـمـا، يا باحـثـا، يا شاعـراً ... ماذا أعـدد والـخـصـال كثـارُ؟
فإذا مضـيـت فإن ما خلّفـتـه ... شمس به درب الـعـلوم تنـارُ

٦ ـ ألقى نجل الفقيد المهندس نبيل محمد عبدالغني حسن كلمة الأسرة، شاكراً مجمع اللغة العربية على اقامة حفل التأبين، خاصا بشكره رئيس المجمـع، وأمينـه العـام، والشعـراء على كلمـاتهم ومـرثياتهم، والحاضرين على جميل مواساتهم.

خامسـاً : المعجـم الكبيـر

عُرضتْ على المؤتمرين المواد التي أنهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير، وهي المواد المبتدئة من أول حرف (الحاء) الى (ح ب ي).

واستمع المؤتمرون الى الملاحظات التي قدمها الأساتذة: حمد الجاسر، وعبدالسلام هارون، ومحمد بهجة الأثري، وحسني سبح، وعدنان الخطيب، فتقرر احالتها الى اللجنة المختصة لاعادة النظر في المواد التي شملتها تلك الملاحظات.

سادساً: أعمال لجنة الأصول

عُرضت على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقرّها مجلس المجمع ووافق على عرضها على المؤتمر. وفيما يلي نص قرارات اللجنة وما انتهى المؤتمر إليه بشأنها:

١ ـ التصرف المحدث في أساليب الاستفهام

أ ـ حذف همزة الاستفهام:

يجري في الاستعمال المعاصر حذف همزة الاستفهام في مثل قولهم: كتبت الدرس؟ محمد في الفصل؟ اكتفاء بالنبر وطريقة الأداء، أو بوضع علامة الاستفهام عقب الجملة.

وترى اللجنة جواز ذلك، لما ورد من أمثلته في المأثور اللغوي، شعره ونثره، ولما نصّ عليه جمهرة النحاة.

وجرت مناقشات مطولة حول هذا القرار، انتهت **بقبول المؤتمرين له في الاستفهام الحقيقي دون الانكاري**؛ رغم اصرار اعضاء اللجنة على عدم التفريق.

ب ـ خروج (ماذا) عن الصدر:

يكاد النحاة يجمعون على أن أسماء الاستفهام لها الصدارة في

جملتها، ولكن البحث في آراء الأئمة وشواهد العربية يجيز لنا في شأن (ماذا) أن يقال: (فعلت ماذا؟) و(قرأت ماذا؟) ونحوهما.

لذا ترى اللجنة أن لا تثريب على هذا الاستعمال حيث تكون (ماذا) معمولة لما قبلها.

وافق المؤتمرون على هذا القرار.

جـ- تسويغ أساليب في ظاهرها خروج أدوات الاستفهام عن صدارتها:

يشيع قولهم: محو الأمية مسؤولية قومية. كيف؛

وأنت من؟ منزلك. أين؟ السفر. متى؟

مما ظاهره خروج أداة الاستفهام عن صدارتها؟

ولهذه الاستعمالات نظائر منها:-

قوله تعالى: كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة[1].

وقول محمد بن كعب الغنوي:

وحدّثتماني إنما الموت في القرى فكيف وهاتا روضة وقليب

وقول زياد الأعجم:

ومن أنتم إنا نسينا من أنتم وريحكم من أي ريح الأعاصر

وتخرج على ان أسماء الاستفهام وقعت صدراً في جملتها التي حذف ركنها، أو حذفت برمتها. وترى اللجنة إجازة هذه الاستعمالات استشهادا بالمأثور؛ استئناسا بهذا التخريج.

بعد مناقشة وجيزة حول هذا القرار **أعلنت موافقة المؤتمرين عليه.**

---

(١) التوبة: ٨.

٢ ـ حذف تمييز «كم»

يجري في الاستعمال حذف تمييز كم: استفهامية أو خبرية في مثل قولهم:

كم بقي من الشهر؟ وكم نصحت لك؟

وقد ورد مثل ذلك في الفصيح: كقوله تعالى:

«قال كم لبثت، قال لبثت يوما أو بعض يوم».

وقول معن بن أوس:

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ولما كان جمهرة النحاة لا يصرحون بجواز الحذف في كلا الاستعمالين، وكانت كتب القواعد التعليمية تغفل ذلك؛ ترى اللجنة ضرورة النص على ذلك تعويلاً على المأثور في الفصيح، وعلى ما ذكره بعض النحاة، وبأن يوجه هذا بذكره في المرحلة المناسبة.

وافق المؤتمرون على هذا القرار.

٣ ـ جواز دخول الألف واللام على «كل» و«بعض»

يجري في الاستعمال دخول (أل) على (كل) و(بعض) فيقال: الكل موافق أو البعض موافق، وجمهرة النحاة يمنعون ذلك، على أن منهم من أجازه وبينهم ابن درستويه والزجاجي. وثمة من المأثور أمثلة لورود ذلك في الشعر، وقد جرى بذلك استعمال المولدين من قديم.

ولذا ترى اللجنة اجازة دخول الألف واللام على (كل) و(بعض).

جرت مناقشات حامية حول هذا القرار **انتهت باعلان قبول الاكثرية له.**

٤ ـ دخول «إذا الشرطية على الجملة الاسميّة»

يجري كثيرا في الاستعمال دخول إذا الشرطية على الجملة الاسمية في مثل قولهم: إذا المطر انقطع فاخرج.

وللنحاة في تخريج مثل هذا رأي بصرى شائع، وهو أن الاسم الذي بعدها فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور.

وهناك رأي يقول إنه مبتدأ وينسب الى الأخفش والفراء، وغيرهما من نحاة الكوفة. ويعزى الى سيبويه فيما ذكره السيرافي أيضا.

ولما كانت أمثلة القرآن الكريم من ذلك تزيد على العشرين، ومن الشعر تزيد على ستمائة، وظاهرها دخول اذا على جملة أسمية خبرها ماض لفظا أو معنى، فان اللجنة ترى أن إعراب الاسم فاعلا، وان كان اقيس في الصناعة النحوية، فان الرأي الذي يجعله مبتدأ فيه أخذ بالظاهر، وتيسير في الإعراب، وبعد عن افتراض فعل محذوف.

جرت مناقشات مطوّلة حول هذا القرار انتهت الى اعلان قبول المؤتمرين له.

سابعاً: أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب التي وافق مجلس المجمع على عرضها على المؤتمر، وفيما يلي نص القرارات التي اتخذتها اللجنة، وموجز لما دار حولها من مناقشة، وما انتهى اليه المؤتمر بشأنها:

كلمات فصاح فاتت المعجمات

استخلصتها اللجنة من «المفضليات» كما نبّه عليها الأستاذان أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، شارحا المفضليات، بالاستناد الى شرح الانباري وغيره.

(١) رهيـــــب

لفظة «رهيب» مما لم يرد في المعاجم، ولكنها جاءت في شعر أبي ذؤيب الهذلي (-٢٦هـ)

بيض رِهَابٌ ريشهُنَّ مفزَّعُ

(٤٢٧ المفضليات)

بيض رهـاب: نصـال رقـاق مرهفـة، ورهـاب جمع رهيب بمعنى مرهوب. وجميع المعاجم لم تذكر هذا اللفظ المفرد.

وتخريج ذلك صرفياً أنها محولة عن مفعول، والتحويل كثير أو قياسي

(٢) عزَّة بمعنى صعبة

وردت بهذا المعنى في شعر عَبَدَة بن الطبيب، وهو من المخضرمين:

وثنيَّةٍ من أمرِ قَوْمٍ عزَّةٍ

فَرَجَتْ يداي فكان فيها المطلعُ

(١٤٧ المفضليات)

وهي بهذا المعنى مما لم يرد في معاجم اللغة

(٣) مشهود بمعنى ممزوج بالشهد

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر ربيعة بن مَقْرُوم الضبيِّ، وهو من المخضرمين:

وبارِداً طيِّبا عذبا مقبَّلُهُ

مخيَّفا نبْتُه بالظَّلم مشهودا

(٢١٣ المفضليات)

وباردا: يريد الشاعر به ثغر حبيبتِه، وكلما برد الثغر كان أطيب لريحه

الظَّلم: ماء الأسنان، واذا صَفَت الأسنان ورقَّتْ كان لها ظَلْمٌ

مشهـودا: اي كأن طعمـه طعمُ الشهـد، أو ممزوج بالشهد. وهذا المشتق (مشهود) مما لم يذكر في المعاجم بهذا المعنى.

(٤) قذِيف بمعنى دَعيّ النسب

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر لِسُبَيْع بن الخطيم، وهو جاهلي:

من غير مـا جُرْم أكونُ جَنَيْتُه
فِيهم، ولا أنَا إن نُسِبْتُ قَذِيفُ

(٣٧٤ المفضليات)

واللفظة مما لم ترد في المعاجم بهذا المعنى

(٥) عَنْوَة بمعنى جِهَاراً غَيْرَ خَتْلٍ

وردت بهذا المعنى في شعر لِخَرَاشَة بَن عَمْرٍو العبسي وهو جاهلي:

ونحن تركنا عَنْوَةً أُمَّ حَاجِبٍ
تُجاوِبُ نَوْحا ساهرَ الليلِ ثُكّلا

(٤٠٦ المفضليات)

النَّوحْ: النساءِ النائحاتِ. الثُّكل جمعَ ثاكِل وهو المرأة فقدت ولدها أو عزيزاً عليها

ولفظ عَنْوَة مما لم يرد في المعاجم بهذا المعنى

(٦) رَجلٌ آنِسٌ

ذو الايناس، ورد بهذا المعنى في شعر المرقش الأكبر:

وقِدْرٍ ترى شُمْط الرجالِ عِيالَها
لها قَيِّم سهلُ الخليقةِ آنِسُ

(٢٢٦ المفضليات)

شُمْط جمع أَشْمَط وهو ما خالط سواد رأسه الشيب.

عيالها: أي كأنهم عيال لها. قَيِّم: قائِمٌ بشأنها. آنس يستعمل في المؤنث فيقال: جارية آنسة إذا كانت طيبة النفس، واستعمال هذا اللفظ (آنس) في المذكر صحيح قياسي ولكن لم تنص عليه المعاجم.

(٧) آلٍ بمعنى سياسة

هذه اللفظة استعملها الشَّنْفَرى وهو جاهلي، بهذا المعنى، فقال:

تخاف علينا العَيْلَ إن هي أكثرت

ونحن جياعٌ، ايّ آلٍ تَألَّت

(١١٠ المفضليات)

العَيْل: الفقر. أي آل تألت: أي سياسة ساست، والآل: أصله الأوّل قلبت الواو ألفا لسكونها بعد فتحة... ولم يذكر في المعاجم بهذا المعنى

(٨) رجلٌ بُكْمَة أي أبكم

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر الجُمَيْح مُنْقِذ بن الطمّاح وهو جاهلي:

حاشا أبا ثَوْبان إنَّ أبا

ثوبانَ ليس بِبُكمَةٍ قَدْمِ

(٣٦٧ المفضليات)

وهذه اللفظة بهذا المعنى مما لم يرد في المعاجم

(٩) المعين بمعنى الأجير

لأنـه يعـاون صاحب العمـل في امره. وهذه اللفظة بهذا المعنى، وردت في شعر المثقّب العبدي، وهو جاهلي، يمدح عمرو بن هند ملك

الحيرة:

كأنَّ نَفِيَّ ما تَنْفِي يداها

قِذافُ غِريبةِ بِيَدَيْ مُعِين

(٢٩١) المفضليات)

شبه ما تنفى يدا الناقة من الحصا في سيرها بحجارة تقذف بها ناقةٌ غريبة أتت حوضا غيرَ حَوضِها لتشرب منه فرمُيَت

ولفظ المعين في المعاجم بمعنى الظهير والمساعد على الأمر، أي المستعان به، سئل الأصمعي: هل تعرف المُعِين بمعنى الأجير؟ فقال: لا أعرف، ولعلها لغة بحرانية، يعْني لغة أهل البحرين. وتفسير المعين بالأجير لم يذكر في المعاجم.

(١٠) اتَّنَى أي انثنى

وردت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى، قال جابر بن حنّى التغلبي، وهو جاهلي:

تناوله بالرمح ثم اتَّنَى له

فَخَرَّ صريعا لليدين وللفم

(٢١٢ المفضليات)

اتّنى: أراد انثنى، فأدْغَم النون في الثاء، ثم أبدلها تاء، قاله الأنباري، وهو من نادر التصريف، الذي لم يوجد له مثال، والقياس في مثله أن يكون أصله انثنى على وزن افتعل، واللغة العامية المصرية تستعمل هذه اللفظة بالمعنى المذكور.

(١١) تَحَذَّرَه بمعنى أخَذَ حِذْرَهُ منه

ورد في شعر عبدالمِسَيح بن عَسَلَة، وهو جاهلي:

لا ينفع الوحشَ منه أن تحذَّره

(٢٨٠ المفضليات)

تَحَذَّرُه أصله تتحذَّرُه مضارع تحذَّر وهذا الفعل ليس في المعاجم بل فيها حذر واحتذر.

(١٢) النَّواهِد بمعنى الدَّواهي جمع نَاهِدة

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر مُزرَدّ بن ضِرَار الذُّبْيانِي، وهو جاهلي:

٠ ٠ ٠ وقد دَلُّهْنَهُ بالنّواهِد

(٨٠ المفضليات)

دلهنه: أزعجنه. النواهد الدواهي وهذا مما لم يذكر في المعاجم.

وبعد حوار قصير حول بعض الكلمات وافق المؤتمرون على احالة الكلمات الواردة في قرار اللجنة الى لجنة المعجم الكبير للنظر في اثبات كل كلمة في المادة التي تعود إليها.

ألفاظ وأساليب عصرية

١ ـ التشخيص ـ الأنسنة

بعد أن تدارست اللجنة المذكرات التي قدمت لها حول هاتين الكلمتين انتهت الى القرار الآتي:

«مما هو معهود في فنون الأدب إنزال غير العاقل، كالحيوان والنبات والجماد والمعاني المجردة، منزلة العاقل في التعبير والتصوير والخطاب، وقد جرى ذلك في الأدب العربي وفي غيره من آداب اللغات المختلفة، ولهذا الفن الأدبي مصطلحات أجنبية مختلفة، وقد عُبِّر عن هذا المعنى في

النقد الأدبي الحديث بكلمات شتّى منها: **المغالطة الوجدانية، والانطاق، والتجسيد، والتجسيم، والتشخيص، والأنسنة، والتأنيس**. وترى اللجنة أن أنسب هذه الكلمات إما **التشخيص** وإن كانت مشتركة في دلالات أخرى كالتمثيل وتحديد المرض، وإما **الأنسنة** وإن كانت اشتقاقا من كلمة الإنسان على لفظها، وإما التأنيس وهي اشتقاق من أصل مادة الانسان وهو الأنس».

وتمت الموافقة على قرار اللجنة بعد حوار قصير حوله.

٢ ـ التركيـــــــز

انتهت اللجنة بعد أن اطلعت على ما قدم إليها من مذكرات الى القرار الآتي:

«مما يجرى في الاستعمال المحدث مثل قولهم: «**شراب مُركَّز**» **بمعنى أنه مكثف غليظ القوام وافر الحظ** من العنصر الأصلي فيه، وكذلك مما يجري في الاستعمال مثل قولهم **ركَّز على كذا بمعنى قوّاه وأكّده**. ولكن الذي في اللغة هو رَكَز الرُّمحَ أو الوتَدَ رَكْزاً اي دقه في الأرض تثبيتاً له، وترى اللجنة أن التثبيت يسوغ فيه مجاز التغليظ أو الترديد أو التجميع وكذلك تعدية الفعل رَكَّز بالتضعيف وجعل مصدره «التّركيز» مما لا تأباه أقيسة العربية. وأما التعدية بالحرف «على» فَتُحْمَل على التثبيت أو التجميع واقع على الشيء، وكذلك يُحْمَلُ التعبير على تضمين الحرف «على» معنى الحرف «في» كما حدث التضمين العكسي في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1] أي عليها.

---

(١) سورة طه الآية ٧١.

اعترض الأستاذ محمد بهجة الأثري على القرار واصفا كلمة التركيز بهـذه الدلالة بأنها عامية، وبعد مناقشة حادة اشترك فيها كل من الدكتور عزالـدين عبـدالله، والـدكتور أحمد عبدالستار الجواري، والأستاذ محمد شوقي امين، اعلنت موافقة الاكثرية على القرار.

٣ ـ اللصق واللاصق

قررت اللجنة ما يأتي:

«يجـري في الاستعمـال المحـدث مثل قولهم: «لصق الاعلانات ممنوع» أو مثل قولهم: «شريط لاصق». وقد منع بعض نقاد اللغة المحدثين اللصق مصدرا بمعنى اللصوق، ولكن المنقول عن ابن دُرَيْد كما في التاج: قوله اللزق الزامك الشيء بالشيء، ومعلوم أن اللزق يجوز فيه الصاد والسين بديلا من الزاي. كذلك جاء في اقرب الموارد اللصق مصدراً رديفاً للصوق؛ يضاف الى ذلك أن المجمع أقرَّ أن الفعل المتعدي يصاغ له مصدراً على وزن «الفَعْل»، بفتح فسكون، ما لم يدل على حِرْفة. ومن حيث أن «لَصَقَ» فعل متعد فنقول «لَصْقُ الشيءِ بالشيءِ» فإن الشريط اللاصق يحمل معنى الملتصق بغير، على أن في اللغة ما يدل على الشريط اللاصق ألفاظاً مفردة «كـاللِّصاق» هلى وزن «كِتاب» و«اللَّصوق» على وزن «طَروب» و«اللُّصاق» على وزن «جَـذَّاب» وكلهـا مما يجوز أن تتعاقب عليه الزاي والسين الى جانب «الصاد».

بعد حوار بسيط حول هذه الكلمة أعلنت موافقة المؤتمر على قرار اللجنة.

٤ ـ معنى الخيارين والخيارات

قررت اللجنة ما يأتي :

«يجري في الاستعمال مثل قولهم : «العرب اليوم أمام خيارين : إما كذا وإما كذا. أو أمام خيارات : إما كذا وإما كذا واما كذا». وقد يُرَدّ على هذا التعبير أن الخيار لا يتعدد، ولكن الذي يتعدد ما يدخل تحت الخيار من أمرين أو أمور. ففصيح التعبير أن يقال : «العرب أمام خيار بين أمرين، أو خيار بين أمور. هذا إلا إذا تعدد موضوع الخيار فيكون في كل منها خيار. ولكن توجيه التعبير الشائع بأن كلا من الأمرين أو الأمور كان مظنة الاختيار، ففي الكلام مجاز مرسل باعتبار المحلية أو ما كان لأن كل أمر كان محلا للاختيار، وكان في نفسه داخلا في الخيار قبل أن يسقط عنه الاختيار.

بعد نقاش قصير حول هذا القرار أعلنت موافقة المؤتمر عليه .

٥ ـ الحياد والتحييد

جاء في قرار اللجنة ما يأتي :

«من الاستعمال المحدث قولهم «الحياد السياسي، والحياد الايجابي» وكذلك قولهم «تحييد الدولة» بمعنى الزامها الحياد، والمقصود بالحياد والتحييد المجانبة أو التجنيب للدولة بحيث لا تتحيز لسياسة معينة. وقد نصت اللغة على أن الحياد هو المجانبة والميل عن الشيء. وكذلك جاء التحييد بمعنى جعل حيود أو عقد في السير أو القيد. على أن الفعل حاد يجوز فيه التضعيف للتعدية، كما أقرّ ذلك المجمع، فيقال حاد عن الطريق وحيّده، صرفه عنه بمعنى جنّبه إياه وأماله عنه، ومن ثمّ ترى اللجنة جواز ما يجري في الاستعمالات المحدثة من هذا القبيل».

بعد تبادل الرأي حول هذا القرار أعلنت موافقة المؤتمرين عليه .

ثامناً: توصيات المؤتمر واختتامه

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية في ١٩ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٥هـ، الموافق ١١ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٥م، واستمعوا الى تقرير الأمين العام الأستاذ عبدالسلام هارون، وقد تضمن موجزاً لما أنجزه المؤتمر خلال دورته هذه، كما تلا ما تلقاه من مقترحات الاعضاء وملاحظاتهم.

وبعد أن تداول المؤتمرون الرأي حول ما قُدّم من مقترحات وتوصيات، **أقرّوا بالاجماع ما يلي:**

١ - يؤكد المؤتمر توصياته السابقة، ويأمل **أن تهتم بها الجهات المختصة وتستكمل تنفيذها.**

٢ - **يوصي المؤتمر بضرورة العمل على تعريب التعليم**، ولا سيما في مرحلة التعليم العالي والجامعي.

٣ - يؤكد المؤتمر على ضرورة توحيد **المصطلحات العلمية**، ومتابعة الجهود التي يقوم بها اتحاد المجامع العربية في هذا المضمار.

٤ - يوصي المؤتمر بالمبادرة الى التوسع في وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والانكليزية والفرنسية.

٥ - يوصي المؤتمر الهيئات العلمية المختصة، في كل قطر عربي، بترجمة أمهات الكتب والمجلات العلمية المعاصرة في مختلف اللغات والتخصصات.

وأخيراً أعلن الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر ختام الدورة الحادية والخمسين، شاكراً للمؤتمرين جهودهم، وآملاً اللقاء بهم إن شاء الله في الدورة القادمة.

ثانيًا - مع الكتب

تعليق على كتاب

«المعجم الوافي في النحو العربي»

للدكتور جميل علوش

يلاحظ المهتم بالحركة الثقافية في الاردن إقبالاً على التأليف في الموضوعات اللغوية وبخاصة قواعد الصرف والنحو. ويلاحظ كذلك أنَّ هٰذه المؤلفات تجعل هدفها خدمة الطالب الذي يجد صعوبة في فهم تلك القواعد وتَمثُّلِها. بل نستطيع أن نقول إن الاقبال على التأليف في هذا الموضوع ناجم في أساسه من احساس عميق بأزمة حادة في دراسة النحو وتدريسه، فهي إذن مؤلفات مدرسية تخدم الطالب في مختلف مراحله ومستوياته الدراسية.

بيدَ أنَّ ممّا يؤخذ على هذا الاتجاه في التأليف والتصنيف النحوي المدرسي أنّه يحتاج الى كثيرٍ من التأني وإطالة النظر في جمع هذه القواعد وتصنيفها والحرص على اثباتها متقنة صحيحة لا يشوبها شيء من شوائب الخطأ وسوء التقدير وضعف التخريج وسطحية التحليل والتعليل. فلا شكَّ في أنّ الإقدام على التأليف في قواعد العربية ليس عملاً يسيراً ولا مهمة سهلة.

وكنت قد اطلعت قبلَ مدة على كتاب جديد في هذا الموضوع صادر عن دائـرة الثقـافـة والفنون هو كتاب «المعجم الوافي في النحو العربي» لصاحبيه الدكتور علي توفيق الحمد والاستاذ يوسف جميل الزعبي . وممّا يؤخذ على هذا الكتاب أنّ المؤلفيْن ـ على الرغم من الجهد الكبير الذي بذلاه في تأليفـه ـ حشـدا فيه كل صحيح وخـاطىء من الاحكـام والآراء ووجهات النظر، فجاء يشكو النقص وعدم الدقة والبعد عن الاصابة ومجافاة المنطق النحوي .

والأمر المهمّ الذي يغفل عنه الكثيرون ممّن يقدمون على مثل هذه المهمات هو أنّ التأليف في النحو وقواعد العربية ليس جمعاً واختياراً ممّا كتب الآخـرون، بل هو بحـاجة الى السيطرة على الملكـة النحوية التي تحدّث عنها ابن خلدون، والتحلّي بتفكير نحوي سليم، يقوم على العناصر التالية :

١ ـ التزام موقف شامل متكامل في علم النحو.

٢ ـ القدرة على نخل آراء النحاة وتمييز صحيحها من فاسدها .

٣ ـ وجوب الاعتماد في التأليف على نظرية واضحة شاملة .

فليس التأليف في النحو إذن ضرباً من الاختيار والجمع والتكديس، لا يقوم على أساس من الفكر الواضح والنظر السَّليم، إذ إنَّ مصادر النحو ومؤلفات النحاة تحتوي على كل غثٍّ وسمين من الآراء ولا بدَّ لنا عند الإقدام على التأليف أن نستخلص منها ما نعتقد أنّه صحيح أو ما نستطيع بمنطقنا النحوي أن نجعله كذلك .

من هذا الأساس انطلقت في نقدي لهذا الكتاب راجياً أن أوضح أنني

أبعد ما أكون عن الرغبة في إثارة الخلافات وتأريث الخصومات وشنّ الغارات واختلاق الأخطاء والمزالق لفتح أبواب المناظرات الطويلة والمحاورات العقيمة. فلم أقصد الى اكثر من عرض وجهات نظر أتيقَّنُ أنها صحيحة بحكم خبرتي الطويلة في هذا الميدان. فإنني من الذين لا يقبلون أن يكون دورهم محصوراً في قراءة كتب النحو وقبول كل ما يرد فيها، بل من الذين يعرضون ما تقعُ عليه أعينهم منها على ملكة سليمة وحاسّة دقيقة، ينخلون بها مختلف الآراء ويغربلون متباين النظرات، ويحرصون على أن يظفروا بكل صالح وصحيح منها. أمّا من يظنُّ كل ما ورد في كتب النحو صحيحاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو أقصَرُ من أن يتصدّى لهذه المهمة ويضطلع بعبء هذه التبعة.

بهذا المقياس تطرقت الى نقد هذا المعجم النحوي الشامل. وعلى هذا الأساس سُقت ما سُقت من مأخذ وملاحظات عليه. وإني لأرجو أن أحقق بهذا النقد ما أتوخّاه لقرائه من الطلبة والدارسين من عميم النفع وجليل الفائدة.

هذا وقد قسمت تعليقي الى ثلاثة أقسام:

الأول ـ يتناول الأخطاء في اسلوب المؤلف.

الثاني ـ يتناول ضبط الشواهد وتصحيحها.

الثالث ـ يتناول أخطاء موضوعية في النحو والإعراب.

فمن أخطاء القسم الأول التي تتعلق بسلامة اسلوب المؤلف ما يلي:

ورد (ص٩) قوله: وقد توافر على خدمة هذه اللغة. والصحيح أن يقول قد توفّر لا توافر. ويبدو أنّ المؤلف قد خلط بين صيغتين هما:

توفر على الشيء أي صرف همته إليه كما ورد في المصباح المنير ورعى حرماته كما ورد في لسان العرب.

توفر الشيء بمعنى كَثُر. وقد زعم بعضهم أنّ هذا الاستعمال غير وارد في كتب اللغة فأشاروا باستعمال توافر. ومع الاقرار بصحة هذا الاستعمال وسلامته، نود أن ننبه الى انّ استعمال توفر بمعنى كَثُرَ هو أيضاً صحيح. قال صاحب المصباح المنير: وفّرته بالتثقيل مبالغة. وقال أيضاً: وفّرت له طعامه توفيرا اذا اتممتـه ولم تنقصه. وهذا يعني أن صيغة (فعّل) واردة من فِعْلِ (وَفَر) الثلاثي. واذا كانت صيغة (فعّل) بالتشديد موجودة فهذا يعني أن صيغة (تفعّل) من هذا الجذر (وَفَر) واردة وموجودة لأنها صيغة قياسية. وقد دعا الى قياسية هذه الصيغـة من (فعّـل) معـظم من كتبـوا في الأخـطاء الشائعة. ونستخلص ممّا سبق أنّ المؤلف أراد أن يلتزم رأي من منع استعمال (توفّر) بمعنى كثر فاستعمل (توافر) وفاته أن التنبيه يدور حول (توفّر) بمعنى كثر لا توفّر على الشيء بمعنى صرف همته إليه.

ورد (ص٩) قوله: ومع إدراكنا أنّ اعراب الكلمة... إلاّ أنّ العوامل ثابتة في عملها. وإقحام (إلاّ) هنا لا مسوّغ له. فكان عليه أن يعيد صياغة الجملة بصورة مقبولة.

ورد (ص٩) قولـه: كاستفهام مرة، ونفي أخرى... والصحيح أن يقول كالاستفهام مرة والنفي أخرى, لأنّ الاستفهام والنفي من الموضوعات المعروفة المشهورة في اللغة والنحو فلا مسوّغ لأن يجيء بهما نكرتين.

ورد (ص١٠) قولـه: فقـد تمـرُّ بالمـرءِ كلمـة يحتـار في اعرابها. والصحيح يحار أو يتحير أمّا يحتار فهي لهجة عامية.

ورد (ص١٠) قوله: ولا نحيد عن الحقيقة إن قلنا. كان أفضل أن يقول اذا قلنا بدل إن قلنا، لأن الموقع موقع يقين لا شك.

ورد (ص١٠) قولـه: والفضـل في الاهتـداء الى هذه الطريقة لأصحابها. والصحيح أن يقول: والفضل في الاهتداء الى هذه الطريقة يعود الى أصحابها أو ينسب الى أصحابها.

ورد (ص١٠) قولـه: حتى بلغت الشـواهـد القـرآنية ما يقـرب من ستماية. والصحيح أن يقول ستمائة بالهمزة لا بالياء. أمّا الألف فتكتب ولا تلفظ: والذي أثبتهُ المؤلّف لهجة عامية ليس لها مكان في الكلام الفصيح.

ورد (ص١١) قوله: إن تعذرت الاحالة الى كتاب لغوي. والصحيح الاحالة على كتاب.

ورد (ص١١) قولـه: المعجم الألف بائي. والصحيح أن يقـول المعجم الألفبائي بتركيب الكلمتين في كلمة واحدة وبناء الجزء الأول على الفتح.

ورد (ص١٤) قوله: تكون الهمزة أول الفعل. والصحيح أن يقول في أول الفعل لأنّ أول لا تصلح لأن تكون ظرفاً مكانياً.

ورد (ص١٤) قوله: سواء أكانت حروفه أصلية أو واحد منها زائداً. وهذا تركيب مضطرب صحته: سواء أكانت حروفه أصلية أم كان واحد منها زائداً.

ورد (ص٢٢) قوله: مبني على ما يرفع به وهي الألف. والصحيح وهو الألف لأنّ الضمير يعـود في الأصـل الى ما قبله لا الى ما بعـده الاسم الموصول الذي يعود اليه الضمير المنفصل هذا مذكر بدليل عودة الضمير

المتصل (به) اليه. واذا كان عاد اليه الضمير الأول مذكراً فكيف يعود اليه الضمير الثاني مؤنثاً؟

ورد (ص٢٨) قوله: أمّا إن كان ثانيه حرف علّة وجب بقاء الحرف. ووجه الخطأ في هذه الجملة أنّ المؤلف جعل الجواب لحرف الشرط (إن) فجرّده من الفاء التي هي واجبة الدخول على جواب (أمّا) الشرطية. ومن المعروف أنه اذا اجتمع شرطان أو شرط وقسم أو قسم وشرط كان الجواب للسابق منهما. هذا اذا اعتمدنا على قواعد النحو. فإذا احتكمنا الى قواعد الذوق السليم والملكة الصحيحة تبيّن لنا أنّ اهمال الفاء في هذا الموضوع كريه غير مستساغ. ولأنّه لا يجوز دخول الفاء على الفعل الماضي في جواب (أمّا) الشرطية، يصبح من الواجب اجراء تغيير على الفعل الماضي فنقول: أمّا إن كان ثانيه حرف علّة فيجب بقاء الحرف أو فالواجب بقاء الحرف أو غير ذلك ممّا يجعل الصياغة سليمة متسقة.

ورد (ص٢٩) قوله في حديثه عن الأجدل: وهي لفظة ليست صفة. ويبدو من نسق الكـلام أنه يقصد انها لفظة لا تحمل مدلول الصفة. فصاغ الجملة بصورة يفهم منها أنه يريد أن يثبت أنها لفظة وينفي أنها صفة. مع العلم أنه ليس ثمة تناف أو تضاد بين اللفظة والصفة حتى يصبح من الممكن نفي احداهما واثبات الأخرى. إنّ الذي يقابل الصفة في هذا الموضع هو الاسم ولذلك كان الأجدر به أن يقول: وهي اسم لا صفة.

ورد (ص٣٢) قولـه: لئلاّ يحدث التعارض بين الابتداء الدال عليه فعل الشروع وبين الاستقبال. ومن المعروف أنّ (بين) لا تتكرر في فصيح الكلام اذا كانت مضافة الى اسم ظاهر. أمّا في غير فصيح الكلام فكل شيء

يجوز. .

ورد (ص٣٤) قوله: يعوّض عنها تنوين. والصحيح أن يقول: يعوّض عنها بتنوين.

ورد (ص٤٨) قولـه: لقد حزتُ على الشجاعة. فعدّى حاز بحرف الجر (على). والصحيح أنها تتعدى مباشرة فنقول حزتُ الشجاعة.

ورد (ص٦٢) في حديثه عن جملة (سامحه الله) قوله: لأنها خبرية لفـظاً دون معنىً. والصحيح أن يقول لأنها خبرية لفظاً لا معنى. هذا ما تقتضيه قوانين الفصاحة وغير ذلك رطانة.

ورد (ص١٢٥) قوله في مخاطبة الاثنين (تعالا) والصحيح أن يقول (تعاليا) لأنّ الفعل الماضي تعالى والمضارع يتعالى والأمر للمفرد المذكر تعالَ بالبناء على حذف حرف العلة لأنه ناقص. فإذا أسند الفعل الى الف الاثنين عادت الالف المحـذوفـة إلى أصلها الذي هو الياء لتعذّر اجتماع ألفين في مكان واحد هما ألف العلة وألف الاثنين. وانما قلنا إن أصل الألف هو الياء لأننا نتحدث عن أصلها القريب إذ إنّ أصلها البعيد هو الواو لأنها من علا يعلو. ومن المعروف أنّ الواو قلّما تبقى على حالها اذا وقعت رابعة فصاعدا، فإنها تقلبُ ياء.

ورد (ص١٣٤) قوله: أمّا إن فتحت الهمزة اعربت لا الخ. . . فقد جرّد خبر (أمّا) من الفاء، كما أشرنا في موضع سابق لأنّ المؤلف يكرر هذا الخطأ. ولا يصحُّ في أية حال من الأحوال تجريد جواب (أما) الشرطيّة من الفـاء إلّا اذا حذفت جملة الجـواب كلّها كما في قوله تعالى: فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم.

وقد يطول الحديث ويمتدُّ مجال الكلام لو رحنا نتتبع هفوات المؤلف في اسلوبه فلننتقل الى القسم الثاني من التعليق.

القسم الثاني ـ ضَبْطُ الشواهد

وقعت أخطاء في عدد قليل من الشواهد الشعرية نبيِّنُها على الوجه التالي:

الشاهد رقم ٢ وهو:

فوالله ما أدري وإن كنتُ دارياً   بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانِ

أورده المؤلف خطأ على الوجه التالي:

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً   بسبعٍ رَمَيْتُ الجمر أم بثمانِ

فجعل الفعل (رمى) مسنداً الى ضمير المتكلم وهو في الحقيقة مسند الى ضمير النسوة.

الشاهد رقم ٦٨ وهو:

انيخت فألفت بلدةً فوقَ بلدةٍ   قليلٍ بها الأصواتُ إلا بغامها

أورده المؤلف برفع (قليل) والصحيح جرّها لأنها من قبيل النعت السببي فهي نعت سببي لبلدةٍ الثانية. وكان يجب أن تكون مؤنثة لأنّ النعت السببي يتبع في تذكيره وتأنيثه ما بعده. لكنها جاءت مذكرة حملاً على الفعل لأنه يجوز تذكير الفعل وتأنيثه اذا كان الفاعل جمع تكسير. ومن المعروف أنه يشترط في الاسم المشتق حتى يرفع فاعلاً أن يعتمد على شيء قبله يتقوى به. وقد اعتمد هنا على موصوف. وهذا بخلاف ما لو رفعنا (قليل) فهي في هذه الحالة تصطدم بالمحظورات التالية:

أولاً: اذا اعربناها مبتدأ امتنع ذلك بأنه لا يجوز في مذهب البصريين

الابتداء بالنكرة دون الاعتضاد بمسوّغ.

ثانياً: اذا اعربناها خبراً مقدماً اختل مبدأ التوافق بين المبتدأ والخبر في التذكير والتأنيث.

ثالثاً: اذا اعربنا (أصوات) فاعلاً سد مسد الخبر امتنع ذلك بأنّ المبتدأ النكرة كما أسلفنا يجب أن يعتمد على نفي أو استفهام. وهذا ما لم يتوفر في النص.

الشاهد رقم ٩٧ وهو:

لولا توقُّعُ معتـرٍ فأرضيهُ ما كنتُ أوثرُ إترابـاً على تَرَبِ

وردت الراء في كلمة (تِرْب) مسكنة والصحيح فتحُها إذ إنَّ التَرَب بفتح التاء والراء هو الفقرِ والإتراب هو الغنى أو الاستغناء. ولا وجه لكسرِ تائِها وتسكين رائها كما ضبطها المؤلف لأن (التِرْب) بكسر التاء وتسكين الراء هو اللدة أي المساوي في العمر ولا معنى له في البيت.

الشاهد رقم ١٣١ وهو:

غيرُ منفكٍ أسيرَ هوى كلُّ دانٍ ليسَ يَعتبرُ

أثبته المؤلف برفع (أسير) وببناء (يَعتبر) للمجهول. والصحيح نصب (أسير) لأنها خبر غير منفك مقدم أما اسمها فهو (كلُّ) المتأخر. أمّا (يعتبر) فهي بالبناء للمعلوم بمعنى يتعظ وينظر في عواقب الأمور. ولا مجال لبنائها للمجهول. ولم أعثر لهذا البيت في كتب النحو ومصادره على تفسير أو تخريج ويبدو أنّ فيه خللاً في المعنى، لأنَّ الواني لا يكون أسير هوى بل المستعجل هو الذي يكون أسير هواه. ويبدو أن البيت من صنع النحاة، كأنهم لفقوه للتدليل على أن النفي كما يجيء حرفاً أو فعلاً يجيء اسماً.

الشاهد رقم ١٨٠ وهو:

ثمَّ تفـري الُـلجم من تعـدائهـا   فهي من تحتُ مشيحـات الحُـزُم

أثبتـه المؤلف بفتح اللام في كلمة (اللجم). والصحيح ضم اللام لأنها جمع لجام وقد تكونُ خطأ طباعيّاً. ومهما يكن فالمهم هو كشفُ الخطأ لا تجريم مقترفة.

الشاهد رقم ١٩٢ وهو:

وقـد جعلت اذا ما قمت يثقلني   ثوبي فأنهضُ نهضَ الشـارب السكـر

وردت (فـأنهض) منصـوبـة. ولا وجـه لنصبهـا فهي معـطوفة على (يثقلني) المجرّدة من الناصب والجازم. واذا اعتبرنا الفاء استئنافية كانت (أنهض) مرفوعة أيضاً.

الشاهد ٢٠٠ وهو:

قد زادَه كلفاً بالحبِّ إذ منعت   وحَبُّ شيء الى الانسان ما منعا

والاعتراض هنا على (إذ) فقد اثبته المؤلف بها. ونسق الكلام يقتضي أن تقوم (أن) مقام (إذ) لأننا بحاجة الى فاعل للفعل (زاد) ولا يمكن أن يكون هذا الفاعل إلا المصدر المؤول من أن وما بعدها. هذا من ناحية القياس أمّا من ناحية الرواية والسَّماع فقد وجدتُ في كتاب «المرجع في اللغة العربية» للشيخ علي رضا بهذا الخصوص ما يلي: قال الشاعر:

منعتَ شيئـاً فاكثـرتَ الـولـوعَ به   وحبُّ شيء الى الانسـان ما مُنِعـا

وأضاف المؤلف قوله: ويُروى:

وزادنـي كلفـاً بالـحبِّ أن منعت   وحبُّ شيء الى الانســان ما منعـا

وهذه الرواية هي الرواية التي أعرفها. امّا إحالة المؤلف على كتاب

العقد الفريد فهي لا تعني شيئاً أمام توفّر القياس والسماع وتعاضد العقل والنقل.

الشاهد رقم ٢١٣ وهو :

قد كنتُ أمجـد أبا عمرٍو أخا ثقـةٍ حتى ألمت بنا يومـاً ملمّـاتُ

أوردَهُ المؤلفُ منقوصاً حرف التحقيق (قد) من أوله ممّا سبب حدوث اختلال في وزنه. والصحيح اثبات (قد) لتوكيد المعنى وإقامة الوزن.

الشاهد رقم ٢٢٣ وهو:

ومـا كنتُ أدري قبـل غرة ما البُكـا ولا موجعـات القلب حتى تولتِ

اثبتَ المؤلف كلمـة البكـا بالألف المقصـورة هكـذا (البكى) ومن المعروف أنَّ الكلمة في الأصل ممدودة وأن الشاعر قصرها للضرورة. فلا وجه إذن لكتابتها بالألف المقصورة اللّهم إلاّ اذا أخذنا برأي الكوفيين الذين يجيزون كتابة الألف. في الأسماء المقصورة المضمومة الأول أو المكسورة الأول على صورة الياء حتى لو كان أصلها واواً. غير أنّ القاعدة التي يجدر بنا الاعتماد عليها في هذه المسألة هي ما ذكره الشيخ الغلاييني في جامع الـدروس العـربية بصـدد ما نحن فيه قال: ومـا كان من ذلـك ممـدوداً فقصرته. . . فلا يكتب بالياء بل يكتب بالألف. ولا شك أن (البكاء) هو ممّا كان ممدوداً فقُصِرَ فلماذا كتابة ألفه على صورة الياء؟

الشاهد رقم ٢٢٧ وهو: بلال خير الناس وابن الأخير.

اثبت هذا الشاهد في الكتاب على أنه بيت شعر تام في حين هو شطر بيت لا بيت تام. وقد حاولت أن اعرف شطره الثاني فلم استطع. ومهما يكن فلا بدَّ أن يكتب كما تكتبُ أنصافُ الأبيات.

الشاهد رقم ٢٣١ وهو:

دعتني أخــاهــا أم عمــرو ولم أكن أخــاهــا ولم أرضَـعْ لهـا بلبـانِ

أثبت المؤلف كلمة (لبان) بفتح اللام وإنما هي بكسر اللام فاللُّبان بفتح اللام هو المصدر أمّا اللبان بكسر اللام فهو حليب الرضاع. وهذا ما يناسب معنى البيت.

الشاهد رقم ٢٦٠ وهو:

ومـا زلت من ليلى لدن أن عرفتُهـا لكـالهـائمِ المُقصى بكـل مُرادِ

أثبته المؤلف بحذدف (أن) الواقعة بعد لدن. ولا شك أن حذف (أن) يجعل البيت مختلاً من ناحية الوزن. فالصحيح اثباتها.

الشاهد رقم ٢٧٧ وهو:

لشــتــانَ ما بينـي وبـينَـك إنـنـي على كل حال أسـتـقـيم وتــظَلعُ

أثبت المؤلف (لشَتان) مجردة من اللام. وتجريدها مِن اللام يجعل الوزن مختلاً فالصحيح اثباتها.

الشاهد رقم ٣٠٢ وهو:

أبــى اللهُ إلّا أنَّ سرحــة مالــكٍ على كل أفــنــان الــعِـضــاهِ تروق

أثبت المؤلف كلمة العضاة في البيت وعلى هائها نقطتان كأنها تاء. وهي في الحقيقة هاء لأن العضاه في اللغة شجر له شوك فلا مسوّغ لجعل الهاء تاءً. أمّا مفرده فهو عضاهة فهو من قبيلِ ما يطلق عليه شبه الجمع.

الشاهد رقم ٣١٩ وهو:

لذ بقــيسٍ حين يأبــى غيرَه تلفِــهِ بحــراً مفــيضــاً خيرَه

أورده بنصب (غيرَه) و(خيرَه) نقلاً عن ابن هشام في المغني. وقال: وبعضُ النحاة يُجيزُ بناءَها (يقصِدُ غير) على الفتح اذا اضيفت الى مبني.

أقولُ نقلَ المؤلف هذه القاعدة عن ابن هشام دون أدنى تأملٍ أو تفكير. ولو فكّر ملياً في الموضوع لما قبلها على علاّتها، لأنّ هذه القاعدة تتضمن المطاعن التالية:

أولاً - قال ابن هشام تعليقاً على هذا البيت: وذلك في البيت الأول أقوى. وهو يقصدُ البيت التالي:

لم يمنَع الشَّربَ منها غيرَ أن نطقت   حمامةٌ في غصون ذات أو قالِ

ثانياً: إنّ ما يجعلُ البناء في هذا البيت أقوى أنّ (غير) فيه اضيفت الى مصدر مؤول. ومن المعروف أنّ بعض الأسماء كالظروف مثلاً تبنى على الفتح بناءاً عارضا اذا اضيفت الى جمل اسمية أو فعلية أو الى مصادر مؤولة. ومن الظروف المضافة الى الجمل قوله تعالى: «هذا يوم ينفعُ الصادقين صدقُهم». وكذلك قول الشاعر: على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا.

ثالثاً: قال شارح المغني الشيخ محمد الأمير تعليقاً على كلام ابن هشام: إن كانَ المضاف اليه مبنياً تقوى البناء بعض تقوي. وبعضُ التقوّي يعنّي الضعف فهو لا يصنع من الخطأ قاعدة.

رابعاً: قال شارح المغني في نسبة هذا البيت: قال السيوطي لم يسم قائله. ومن المعروف أنّه - كما ذكر الاستاذ الافغاني - لا يحتجُّ بكلام مجهول القائل، وبخاصة اذا امكن تخريج هذا الكلام تخريجاً يتسق مع قواعد النحو، كما سنبيّن بعد قليل.

خامساً: حينَ عَرَضَ ابنُ هشامٍ القاعدة السابقة احتجّ بالبيت الذي

اضيفت فيه (غير) الى مصدر مؤول قبل البيت الذي اضيفت فيه الى ضمير اعتقاداً منه أنّ الأول يحقق القاعدة ويثبتها اكثر من الثاني. فجاء المؤلف وعكس الامر اذ قدّم الثاني وأخّر الأول مخالفاً بذلك ابن هشام.

علاوة على كل ما سبقَ، نؤكـد أنّ ابن هشـام نفسـه أخـطأ حينمـا استخلص قاعدة نحوية من بيت لم يعرف قائله. فإنّه من الممكن تخريج هذا البيت تخريجاً يتسقُ مع قواعد النحو فنسوقُ البيت أولاً على الوجه التالي:

لذا بقـيسٍ حين يأبـى غيرهُ   تلفِـهِ بحـراً مفـيضـاً خيرُه

برفع (غيرُه) و (خيرُه) على أن تكون (غير) مرفوعة على أنها فاعـل (يأبـى) وأن تكـون (خير) مرفـوعـة على انهـا فاعـل لاسم الفـاعل (مفيضاً). والذي يجعل هذا التخريج مقبولاً ورود فاضَ وأفاض في اللغة بمعنى واحد. قال صاحب المصباح المنير فاض السيل يفيض فيضاً كثر وسالَ من شفة الوادي وأفاض بالألف لغة. فليس من شرط دخول الهمزة على (فاض) أن تجعله متعدياً بل قد يكون لازماً ويكون متعدياً.

الشاهد رقم ٤٤١ وهو:

ومـا حرمتـكِ حتـى قلت معـلنـةً   لا ناقـة لي في هذا ولا جَمَـلُ

أثبت المؤلف البيت على الوجه التالي:

ومـا حجـرتُـكِ حتـى قلتِ معـلنـةً   لا ناقـة لي فيهـا ولا جَمَـلُ

والعجيب أنه يحيل على كتاب سيبويه ج٢ ص٢٩٥، وبالعودة الى هذا المصدر تبين أن البيت ثبت بالصورة التي نقلناها في أعلاه، وأنّ الاحالة ليست صحيحة.

الشاهد رقم ٤٤٦ وهو:

كأنّ دثــاراً حلّقــتْ بلبــونــهِ   عقــابُ تنــوفى لاعقابُ الـقــواعِــلِ

أثبت المؤلف كلمة (تنوفى) بنقطتين على الياء. والصحيح أنها بألف مقصورة لا بياء. وقد تكون خطأ مطبعيا. وسواء عندنا أن يكون الخطأ من المؤلف أو من المطبعة فليسَ القصد هو الادانة بل اظهار الخطأ والتنبيه عليه مهما كان سببه وعلته. إنّ النقد هو كشف وتوجيه لا اتهام وتجريم.

الشاهد رقم ٤٦٦ وهو:

تنتـهض الـرعــدة في ظُهْـيري   من لدن الــظهير الى الـعُـصَـيْـرِ

البيت بصـورتـه الحالية مختل الوزن. وليس شرح ابن عقيل الذي أحال عليه المؤلف بين يدي الآن حتى اتمكن من معرفة الرواية الصحيحة للبيت. ولكنه لا يخرج عن ان يكون على احدى الصورتين التاليتين:

الأولى:

تنتـهض الــرعــدة في في ظُهيري   من لدن الــظُهـر الـى العُصَيّرِ

الثانية:

تنــتــهِضُ الــرعــدة في ظُهــيْـري   من لدن الــظهــير للعُــصَــيْــرِ

الشاهد رقم ٥٢٦ وهو:

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقالِ.

سَقَط من البيت كلمة (له) فجاء مختلّ الوزن.

الشاهد رقم ٥٣٩ وهو:

ورجّ الــفــتــى للخــيــرِ ما إن رأيتــه   على السنّ خيراً لا يزال يَزيدُ

ورد هذا الشاهد وقد سقطت منه كلمة (للخير) فجاء مختل الوزن.

الشاهد رقم ٦٦٥ وهو:

يا ابـتـا لا تزل عنـدنـا   فإنـا نخـاف بأن تخـتـرم

والبيت بهذا الشكل محزوم اي حذف منه أول الوتد المجموع بحيث انتقلت (فعولن) فيه الى (عولن) وكان من الممكن أن يصحح كما يلي:

أيا أبـتـا لا تزل عنـدنـا   فإنـا نخـاف بأن تخـتـرم

اي بوضع (أيا) بدل (يا)

وقد رجعت الى ديوان الأعشى طبعة المكتبة الثقافية التي يظن أنها مأخوذة عن طبعة دار صادر فوجدت البيت كما يلي:

ويا أبـتـا لا تزل عنـدنـا   فإنـا نخـاف بأن تخـتَـرمْ

القسم الثالث: ويدور حول عدد من المسائل النحوية والاعرابية التي أخطأ فيها المؤلف وجه الصواب. ولقد طالَ بنا السَّيرُ وأضنانا السُّرى قبلَ أن نصل الى هذا القسم. فلا بدَّ لنا إذن من أن نلجأ الى الايجاز والاختصار اذ لو أرخينا للقلم العنان لامتدَّ بنا المدى وطال بنا المجال وخرجنا عما يمكن أن تتحمّلهُ مجلة فالأخطاء كثيرة ومجال الكلام متّسع. ولكننا سنكتفي بما لا غنى عنه إن شاء الله.

ورد (ص٢٥) قوله في الحديث عن (ابتع): ولا بدَّ أن يسبقها الفاظ التوكيد الاربعة كل أجمع اكتع أبصع فنقول جاء الطلاب كلّهم أجمعون اكتعون ابصعون ابتعون. وجاءت القبيلة كلّها جمعاء كتعاء بصعاء بتعاء. ويتبادر الى الذهن سؤالان:

الأول: من أينَ جاءَ صاحبنا بهذه القاعدة العجيبة الغريبة؟

الثاني: هل ورد في الكلام العربي شعره ونثره شيء من هذا القبيل؟

وإني أؤكـد له أني بعدَ خبرة اكثر من ثلاثين عاماً في معاناة الكلام العربي لم تعثر عيني على شيء من مثله. فلماذا هذا الاغراب والتزيد بما لا قيمة له في النحو ولا موقع في الكلام؛

ورد (ص٢٨) في حديثه عن (أتاح) قوله: فعل ماضٍ ينصب مفعولين يصل لأحدهما بنفسه وإلى الاخر باللام نحو: أتاحَ الله لي ظروفاً حسنة. ولنا على هذا الكلام اعتراضان:

الأول ـ ليست (أتـاحَ) من أفعـال القلوب ولا أفعال التحويل ولا الأفعال المتعدية التي تنصب مفعولين ليس اصلها مبتدأ وخبراً مثل أعطى ومنح وسأل. فهي اذن من جملة الأفعال التي تتعدّى الى مفعول واحد وتتعدّى الى ما بعدَه بحرف الجر. وهذا النمط من الأفعال علاقتـه باللغـة أوثق من علاقته بالنحو. ولو رحنا نتتبع أمثال هذا الفعل لضاق بنا المجال وكنّا بحاجة الى معجم، وهذا يعني أن لا داعي للتطرق الى مثل هذا النوع من الأفعال في كتابة معاجم النحو ومراجعه.

الثاني ـ إن المجرور بالحرف ليس مفعولاً. وإنّ الأفعال التي تتعدّى بحرف الجر لا تسمّى متعدية. ولا يطلق النحاة اسم الأفعال المتعدية الى مفعولين إلاّ على الأفعال التي تتعدّى الى مفعولين حقاً سواء كان أصل هذين المفعولين مبتدأ وخبراً أو لم يكن أصلها مبتدأ وخبراً. أمّا الأفعال التي يعقبها مفعول به ثم جار ومجرور فلا تسمّى أفعالاً متعدية الى مفعولين بل الى مفعول واحد. والدليل على ذلك انّ ابن هشام قد عدّ من ضمن الامور التي لا يكون معها الفعل إلاّ

قاصراً أن يُضمَّنَ الفعل المتعدّى معنىٰ فعل قاصر. وضرب على ذلك من الأمثلة قوله تعالىٰ: ولا تعدُ عيناك عنهم، وقوله: فليحذر الـذين يخالفون عن أمره وقوله: أذاعوا به وقوله: وأصلحْ لي في ذريتي الـخ... فهـذه الأفعـال (تعـدو) و(يخـالفـون) و(أذاعوا) و(أصلحْ) متعدية في الأصل ولكنّها ضمنت كما يقول ابن هشام معنىٰ تنبـو ويخـرجـون، وتحدثوا، وبارك فاستخدمت استخدام الأفعال القاصرة على الرغم من أنها كلّها في الآيات متبعة بجار ومجرور. فإذا كان الفعل المتعدي الذي يتبعه جار ومجرور في رأي ابن هشام قاصراً اي لازماً فكيف الفعل القاصر في الأصل؟

ورد (ص٢٨) في حديثه عن (اثنـان) قولـه: وهي ليست بحاجة الى تمييز كبقية الاعداد. وكان الصحيح أن يقول: وهي ليست بحاجة الى معدود لأنّ التمييز لا ينبغي أن يطلق إلاّ على ما كان منصوباً منها إذ إنَّ من المعدودات ما يجيء منصوباً ومنها ما يجيء مجروراً. ومن المعروف أنَّ التمييز حكمه النصب وأنّ ما يحمل معنىٰ التمييز وهو مجرور لا يسمّى تمييزاً. فلو أطلقنا على المعدود المجرور اسم التمييز لكنّا قد زدنا المجرورات واحداً هو التمييز. ونحن نعلم أنّ الاسم لا يجرُّ الى في موضعين: المجرور بالحرف والمجرور بالاضافة، فمن اين جاء هؤلاء بمجرور ثالث هو التمييز؟ ثم متى كان يجوز أن يكون للوظيفة الواحدة حكمان نصب وجر؛ كفى عبثاً ايّها العابثون؟

وَرَد (ص٣٠) في حديثه عن (أجمع) قولـه: لا تستعمل

مضافة ولا متصلة بضمير يربطها بالمؤكد. وبعد قليل يعارض نفسه فيجيء بها مضافة الى ضمير فيقول: جاءَ القوم بأجمعهم. فقد اضافها الى ضمير هنا، وهو استعمال فصيح لا غبار عليه، فكيف يزعم أنها لا تضاف الى اسم أو ضمير. إنها حقا لا تضافُ الى اسم ولكنها تضاف الى ضمير.

ورد في الصفحة نفسها في اعراب بأجمعهم قوله: واعراب ما جاء منها في مثل ذلك بحركات مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد، وهذا التعبير غير مقبول للأسباب التالية:

١ ـ كان ينبغي أن يقول ويعرب ما جاء منها بدل واعراب لأن الكلام بهذه الصيغة ناقص.

٢ ـ ليسَ ثمة صراع بين حركة الحرف الأصيل وحركة الحرف الزائد حتى تمنع احداهما الاخرى. ولو حصل هذا الصراع لكانت الغلبة لحركة الحرف الاصيل.

٣ ـ ليس الموضع موضع تقدير حتى يمتنع ظهور شيء بسبب التعذر أو الثقل او اشتغال المحل بحركة المناسبة.

٤ ـ ربّما ورد شيء من هذا القبيل في كتب النحو، ولكن ليس كل ما ورد في كتب النحو صحيحاً، فالنحاة منهم الحذّاق ومنهم المغفلون.

ولـذلك كلّه كان الاعراب الصحيح في مثل هذه الحال أن نقول: مجرور لفظاً مرفوع محلاًّ لا اكثر ولا اقل. وهذا الخطأ يتكرر في مواضع متعددة فلا ضرورة للعودة اليه بالتنبيه والتصحيح.

ورد (ص٣٢) قوله: أمّا أُخَر جمع أخرى أنثى آخِر بكسر الخاء بمعنى الأخير

فهي مصروفة. وهذا كلام خاطىء لا مسوّغ لايراده. إن أخرى لا تكون إلا مؤنث أُخر على وزن أفعلَ. أمّا آخِر على وزن فاعل فمؤنثه آخِرة. ولذلك لم يكن لهذا الكلام كله اي معنىٰ.

ورد (ص٣٣) قولـه: ومن خصائص (اخلولق) أنه فعل يأتي ناقصاً كالمثال المتقدم، وتاماً، شرط أن يليه أن والفعل المضارع، وأن يكون خالياً من الضمير وألا يلي الفعل الذي بعد أن اسم ظاهر يصح أن يكون مرفوع (اخلولق) نحو اخلولق أن يهدأ.

ولـم يصب المؤلف الهـدف لا في شرحه ولا في مثاله. فالفعل في المثال المذكور ـ اخلولق أن يهدأ ـ ليس خالياً من الضمير بل لا يمكن أن يكون خالياً من الضمير، فليس ثمة فعل خال من الضمير إلا اذا كان فاعله اسماً ظاهراً، وإذ لم يكن الفاعل هنا اسماً ظاهراً فلا بدّ أن يكون الفاعل ضميرا مستتراً. وهذا يخل بالقاعدة التي قررها المؤلف، والصحيح أنَّ هذا الفعل يمكن أن يعتبر تامّاً اذا وليه فعل مضارع منصوب بأن المصدرية وبعده فاعله الظاهر. نحو اخلولق أن يهدأ الموج. على أن يكون الموج فاعل يهدأ والمصدر المؤول فاعل اخلولق. كما يجوز أن يكون (الموج) اسم اخلولق والمصدر المؤول في محل نصب خبراً مقدماً لها. وينطبق هذا الكلام على ما ذكره بخصوص (أوشك) ص٩٦.

ورد (ص٣٧) في التمثيل على اذا الفجائية قوله: تأخرت في السهر فلمـا استيقظت فاذا الشمس. هذا مثال خاطىء على اذا الفجائية. وكان يكفي أن يقول: استيقظت فإذا الشمس لأنّ اذا الواقعة في جواب الشرط غير اذا الفجائية. ويمكن أن تصاغ الجملة على الوجه التالي: تأخرت في السـهر

واستيقظت فإذا الشمس. ولكن الجمع بين لما الحينية واذا الفجائية لا يتفق في هذه الجملة.

ورد (ص٤١) في حديثه عن أشياء قوله: ليست على وزن أفعال وإنما أصلها شيئاء على وزن فعلاء. وهذا الكلام خطأ من وجهين:

أحدهما ـ ان أشياء كما يزعم البصريون على وزن لفعاء لا على وزن فعلاء.

الآخر ـ أنّ الزعم بأنَّ أشياء على وزن لفعاء هو من قبيل الشعوذة والخرافات.

انها على وزن أفعال دون شك كما قال الكوفيون. والسبب الصحيح في منعها من الصرف هو السماع عن العرب كما رأى المؤلف نفسه.

ورد (ص٤٤) في حديثه عن (أغرم) قوله: الاسم المرفوع بعدها يعرب فاعلاً وليس نائب فاعل ويبدو أنّ المؤلف أخذ عن واحد وترك كثيرين. إنّ الاسم الواقع بعد الفعل المبني للمجهول لا يمكن أن يكون إلّا نائب فاعل. وليس من المقبول الزعم بأنَّ الفعل المبني للمجهول يليه فاعل مهما كان معناه حتى لو كان قائل ذلك سيبويه. أما قوله بأنَّ شبه الجملة تكون في محل رفع نائب فاعل فشيء عجيب لأنّ نائب الفاعل هنا هو الضمير المستتر لا شبه الجملة والتقدير اغرم هو بالشيء. والمثال الصحيح على مجيء نائب الفاعل شبه جملة قولنا: زيدُ طُمِعَ فيه. فالجار والمجرور هنا في محل رفع نائب فاعل. واعترافه بأنَّ هذه الأفعال المبنية للمجهول اذا تبعها جار ومجرور تكون شبه الجملة نائب فاعل لأنَّ الفاعل لا يكون شبه جملة، هذا الاعتراف المنقول عن النحاة طبعاً هو بذاته برهان على أنَّ

الاسم الذي يعقب هذه الأفعال هو أيضاً نائب فاعل فلا يصح في فعل واحد أن يكون الاسم الذي يليه تارة فاعلاً وطوراً نائب فاعل او بالأحرى لا يصح أن يأخذ الفعل الواحد مرة فاعلاً ومرة نائب فاعل. إنّ هذه النقطة بعينها هي التي تبيّن خطأ هذه المسألة وتكشف عوارها. ويلحق بأغرم كل الأفعال المبنية للمجهول التي أوردها المؤلف وأجرى عليها نفس الحكم، فلا ضرورة للعودة اليها مرة أخرى.

أورد في التمثيل على الاستثناء المنقطع (ص٥٤): قوله: اكلتُ السَمَكَ إلا عصفوراً.

فهل هذا مثال معقول؛ وإلاّ فما علاقة السمك بالعصفور؟ إن الاستثناء المنقطع يحصل حينما يكون ثمة صلة بين المستثنى والمستثنى منه، مثل قول الشاعر:

وبلدةٍ ليس بها أنيس الا اليعافير وإلاّ العيش

وقد أشار المؤلف إلى هذه الصلة (ص٥٦)، وأنكر على أساس هذه العلاقة أن يقال: صهلت الخيل الا الابل. والسؤال الذي نرجو من المؤلف أن يجيبنا عليه هو: لماذا جاز عندَه: اكلت السمكَ إلا العصافير ولم يجز: صهلت الخيل إلا الابل؟

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يخوض فيه ناقد كتاب «المعجم الوافي في النحو العربي» للدكتور علي توفيق الحمد وزميله. غير أن المجال لا يتسع فلنثنِ عنان القلم راجين أن يوفقنا الله الى الصواب ويسدد خطانا على درب النقد اللغوي الصحيح.

د. جميل علوش

ثالثاً - تعليقات ومناقشات

ملاحظة حول (عديد) بمعنى (معدود)

للسيد توفيق أبو الرب

يلاحظ المعنيُّ بالعربية الفصيحة هذه الأيام أن ثمة اسلوبين مُحدَثين شائعين في استعمال كلمة «عديد»، الأول: ان تستعمل الكلمة وقد دخلت «أل» عليها، وجاء الحرف «من» بعدها، نحو قول القائل: لقيتُ العديدَ من الاصدقاء في السوق. وفي هذا الاسلوب لا يتورع الكاتب أو القائل عن أن يحلّي بالألف واللام الاسم «عديد» في ابتدائه الكلام، أو في اثنائه دون مسوغ، على الرغم من أن «أل» العهدية «إمّا ان يشار بها الى معهود ذهني أو ذكريّ، فالأول كقولك: جاء القاضي، اذا كان بينك وبين مخاطبك عهد في قاض خاص، والثاني كقوله تعالى: فيها مصباح المصباح...»[1]..
و«عديد» في هذا الاسلوب يقصد بها «الكثير» كما هو واضح من الاستعمال!

.. وأما الاسلوب الثاني فيلاحظ عليه ان كلمة «عديد» تأتي دائماً فيه نعتاً لاسم مذكور قبلها نحو قول القائل: لقيتُ اصدقاء عديدين في السوق.

ويلاحظ أنّ كلمة «عديد» تعني ايضاً «الكثير» وفق هذا الاسلوب.

فهل كان القدماء يستعملون كلمة «عديد» استعمال المحدثين؟؟

* * *

(١) ابن هشام، شذور الذهب، ص١٤٩، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية - القاهرة - ١٩٦٥.

قبل اكثر من سنة قدِّر لي ان احضر مناقشة اطروحة ادبية في جامعة اليرموك، وقد لفت نظري ذلك اليوم أن الحضور كثار، وقد ارجعت ذلك ـ بيني وبين نفسي ـ الى أن احد المناقشين في اللجنة هو استاذ عراقي مشهور، فقد كان هو الدكتور احمد مطلوب الذي لم يتوانَ عن ان يتجشم مشقة الحضور من القطر العراقي الشقيق؛ ليناقش رسالة جامعية تدور حول كتاب «التشبيهات» لابن أبي عون، وفي اثناء مناقشته الطالب، كان مما أخذه عليه انه استعمل كلمة «عديد» نعتاً بمعنى «كثير»، وكان رأيه ان كلمة «عديد» تعني العدد فقط، ولا تأتي بمعنى «كثير»، واستشهد على ذلك بقول السموأل:

«تـعـيِّرنـا أنـا قليل عديدنـا   فقـلـت لهـا: إن الـكـرام قليلُ»

وهذا الذي ذهب اليه الدكتور مطلوب هو حق، وهو واضح، من تأمل البيت المذكور، ولكنه ليس الشاهد الوحيد، فثمة شاهد آخر، يتردد في كتبنا النحوية القديمة، لاحظت أنه يتضمن كلمة «عديد» بمعنى «عدد»، وهذا الشاهد هو قول الشاعر:

«عـددت قومـي كعـديد الـطيْس

إذ ذهـب الـقـوم الـكـرام ليسـي»

وقد استشهد ابن هشام الانصاري بالبيت في «مغني اللبيب» على أن الراجز استعمل الفعل الجامد «ليسي» دون أن يأتي قبل ياء المتكلم بنون الوقاية! وقد علق على البيت الذي لم يسمّ صاحبه بقوله: «وأما قوله عددت قومي . . . الخ فضرورة»(١) مما يدل على ان صاحبه ممن يحتج بهم من

---

(١) مغني اللبيب، ج٢، ص٣٤٤، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة المدني، القاهرة، (دون تاريخ).

الناحية اللغوية، وليس من المحدثين أو المولدين. وقد استشهد به ابن هشام ايضا في اوضحه، فنسب شارح كتابه محمد محيي الدين عبدالحميد البيت لرؤبة بن العجاج، ثم شرح كلمة «عديد» في البيت بقوله: «العديد كالعدد، يقال: هؤلاء قوم عديد الثرى، والمعنى أنهم عدد الثرى»[1].

وحتى المولدون من الشعراء فقد استعملوا كلمة «عديد» استعمال القدماء، أي بمعنى «عدد»، نحو قول ابن هانىء الاندلسي يصف اسطول المعز لدين الله الفاطمي:

«أما والجواري المنشآت التي سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد»

ولذلك كله فليس بغريب ان نجد المعنيين بفصاحة الاستعمال اللغوي من المحدثين ينبهون الى ان استعمال كلمة «عديد» بمعنى «كثير» هو من الاغلاط اللغوية الشائعة، حتى اضطر واضعو منهاج اللغة العربية للمرحلة الاعدادية مثلاً الى التنبيه الى هذا الخطأ على حاشية احدى المقطوعات المقرّرة، حيث لم يتورع الكاتب عن استعمال «عديد» نعتاً بمعنى «كثير»[2].

أجل: إن كلمة «عديد» تعني «العدد»، ونحن نسلم بذلك! ولكن: هل صحيح أنّ كلمتي «عديد» و«عدد» لا تتضمنان معنىٰ «الكثرة»؟! اننا دون شك يمكن أن نلمح منهما معنىٰ الكثرة من خلال استعمالها: فنحن حين نقول مثلاً: كانت قبيلة تميم ذات عدد في الجاهلية وفي صدر

(١) اوضح المسالك الى الفيه ابن مالك، ص٧٨، ج١، ط٥ دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٦.
(٢) انظر منهاج اللغة العربية للصف الاول الاعدادي: ص٥١.

الاسلام، فاننا نقصد «بذات عدد» أنها كثيرة العدد، ونحو ذلك قول الشاعر القديم.

لكـنّ قومـي وان كانـوا ذوي عدد
ليسـوا من الـشـرِّ في شيء وان هانـا

فقد قصد: وان كانوا كثاراً.

ومثل ذلك كلمة «عديد» فعندما يقولُ الراجز:

«عددتُ قومي كعديد الطيس»

فقد قصد انهم كثار. ولذلك نجد محمد محيي الدين عبدالحميد قد شرح البيت بقوله: «المعنىٰ انهم عدد الثرى، والمراد كثرتهم، وانهم فوق العد، قال قوم: كل من على ظهر الارض من الأنام فهو الطيس، وقال بعضهم: بل هو كل خلق كثير النسل نحو النمل والذباب والهوام، وقال قوم: الطيس هو الكثير من الرمل»[١]، أجل إن كلمة «عدد» أو «عديد» تفيد الكثرة وتوحي بذلك، فلا داعي اذن الى القول: ان كلمة «عديد» لا تعني «الكثير»، وليس هذا في رأيي هو وجه الاعتراض الحق على استعمالَيْ المحدثين للكلمة: ذلك أن ثمة اعتراضين آخرين يمكن ان نوجههما: أما الاعتراض الأول فينصب على الاسلوب الأول في استعمال «عديد» وهوالتعسف في ادخال «أل» العهدية عليها دون مسوغ، كأن يبتدىء الكاتب كلامه بالقول: في رحلتي الى اوروبا قابلت العديد من الاصدقاء، وحق العربية عليه ان يقول: قابلت عديداً من الاصدقاء، ولو قال ذلك لجاز دون اعتراض؛ لأنه يجوز ان نبتدىء فنقول: قابلت عددا من الاصدقاء، واذن فالاعتراض هو التعسف في استعمال «أل» العهدية» مع الاسم «عديد» دون

(١) اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ـ ج١، ص٧٨.

مسوغ، أو دون أن نشير بها الى معهود ذكريّ أو ذهني.

وأما الاعتراض الثاني فيتعلق بالاسلوب الثاني من استعمال كلمة «عديد»، وهو ان تأتي نعتاً لاسم مذكور قبلها وهي تعني «الكثير»؛ فقد قرأت في العدد السابع والعشرين من جملة مجلة اللغة العربية الاردني مقالة قيمة للدكتور عدنان الخطيب أوجز فيها «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخمسين ١٩٨٤»(١) وكان مما جاء فيها ان المؤتمر قبل قراراً حول عشر كلمات في اللغة وردت على صيغة «فعيل» وهي تعني «مفعول» ومنها كلمة عديد، والذي سوغ ذلك ان كلمة «عديد» قد استعملت نعتاً «في مقدمة اللسان والمخصص.. ص١٧٠». والحق انه لا اعتراض لنا على قرار المجمع لسببين اثنين:

الاول: لأن وزن فعيل من الاوزان التي تنوب عن مفعول نحو جريح بمعنى مجروح وكحيل بمعنى مكحول... الخ.

«وامثال هذه الصيغ في اللغة كثيرة جداً حتى قال بعض العلماء: إن اشتقاق «فعيل» بمعنى مفعول من الثلاثي قياسي، غير ان اكثر العلماء، قالوا: انه سماعي لا قياسي»(٢).

والسبب الثاني: لأن كلمة «عدد» التي بمعناها «عديد»- كما رأينا - تعني أيضا كلمة «معدودة» ولذلك نجد ابن هشام يقول في شذور الذهب: «العدد في اصل اللغة اسم للشيء المعدود، كالقبض والنقض والخبط بمعنى المقبوض والمنقوض والمخبوط، بدليل قوله تعالى:

---

(١) ص٤٥.

(٢) د. عبدالعزيز عتيق، المدخل الى علم النحو والصرف، ص٨٩، ط٢. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧.

«كم لبثتم في الارض عدد سنين» والمراد به هنا الالفاظ التي تعد بها الاشياء»[1].

واذا كان مجمع القاهرة قد أقر ان تأتي كلمة «عديد» بمعنى «معدود»، فمعنى ذلك انه يجوز ان ينعت بها الاسم، كما يجوز النعت بكلمة «معدودة»، فنقول: بقي معي دنانير عديدة مثلما نقول: بقي معي دنانير معدودة، . . . ولكن لنا مع ذلك أن نلحظ ان ثمة فرقاً دلالياً بين النعتين، فنحن إذ نقول: بقي معنا دنانير معدودة، فانما نعني في الغالب «دنانير قليلة» ربما تعد على اصابع اليد، هذا ما يمكن أن يفهمه القارىء أو السامع، فكلمة «معدود» اذا جاءت نعتاً فإنها تعني في الغالب القلة، ولعل الذي حدد هذا المعنى الدلالي لها هو قوله تعالى: «وشروه بثمن بخس دنانير معدودة»[2]، فالثمن كما رأينا بخس، وهو دراهم معدودة أي قليلة، ولكننا حين نقول: بقي معنا دنانير عديدة، فان القارىء او السامع يفهم في الغالب ان الدنانير كثيرة، وهو المعنى الشائع للكلمة كما رأينا ـ ومعنى ذلك ان مجمع القاهرة لم يحل المشكلة اللغوية القائمة حول استعمال كلمة «عديد» حلاً جذرياً، وانه لم يزل فيها ما يمكن أن يقال.

---

(١) شذور الذهب، ص٤٥٧، ط١٠، تحقيق محمد محيي عبدالحميد.

(٢) سورة يوسف آية ٢٠.

رابعاً - أخبار مجمعيّة

التقرير الصادر
عن مؤتمر التعريب الخامس

- بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومشاركة مجمع اللغة العربية الأردني، عقد مؤتمر التعريب الخامس اجتماعاته في عمان (المملكة الأردنية الهاشمية) في الفترة من ٧ ـ ١١ محرم ١٤٠٦هـ الموافق ٢١ ـ ٢٥ أيلول / سبتمبر ١٩٨٥م.

وقد تفضل صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين برعاية المؤتمر، وتفضل مجمع اللغة العربية الأردني، كريماً، باستضافته.

- افتتح المؤتمر في مقر مجمع اللغة العربية الأردني في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٧ محرم الموافق ٢١ أيلول / سبتمبر، وحضره مندوب صاحب الجلالة الملك الحسين، وبعض اعضاء الحكومة الاردنية، والسفراء العرب، وكبار الشخصيات الرسمية والجامعية، وأعضاء مجمع اللغة الغربية الأردني، واتحاد الجامعات العربية، وعدد كبير من رجال الثقافة والاعلام.

وبعد تلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم، ألقى السيد الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني كلمة جاء فيها:

«إن آمالنا كبيرة، وإن مستقبل أمتنا لمشرق باذن الله، وانني من على هذا المنبر في مؤتمر العربية والعروبة، أقدّم خالص الشكر لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم على تفضله برعاية هذا المؤتمر، وأرحب بعلماء امتنا العربية من اقصى المغرب الى اقصى المشرق، الذائدين عن حياض لغة القرآن: لغة العروبة والاسلام، في وطنهم الاردن المجاهد، وفي مجمعهم: مجمع اللغة العربية الاردني، متمنياً لهم التوفيق والنجاح وطيب الاقامة».

ثم ألقى السيد الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كلمة استهلها بالتحية، وقال فيها:

«إن مؤتمرات التعريب الدورية وسيلة منهجية من وسائل عمل مكتب تنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية، في اختيار المقابل العربي الأدق والأوفق، ذلك أن مشكلة المصطلح العلمي الأجنبي ليس في تعريبه، ولكن في توحيده؛ فالمصطلح الأجنبي الواحد يترجم الى العربية بكلمات مختلفة، لاتساع اللغة العربية، من ناحية، ولترك الأمر للاجتهاد الشخصي، من ناحية أخرى. ومن هنا قامت الحاجة لتوحيد المصطلح العربي حتى تنشأ لغة علمية موحّدة، يكون لكلّ مفهوم علمي محدّد فيها كلمة واحدة، وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية؛ ذلك انه يعمل على تأصيل حقيقتين أساسيتين: احداهما قومية وهي تأكيد الوحدة الفكرية، والأخرى حضارية وهي اقتحام المعاصرة التكنولوجية».

ثم افتتح مندوب جلالة الملك، معالي وزير التعليم العالي الأستاذ ناصر الدين الأسد المؤتمر بكلمة استهلها بقوله:

«إن هذا البلد الذي ورث رسالة الثورة العربية الكبرى، وإن ملكه العربي الهاشمي، الذي ورث رسالة جدّه الكبير الحسين بن علي، انما ورثا ـ فيما ورثاه ـ حماية اللغة العربية، واعلاء شأنها وتوطيد مكانتها؛ فهي لغة الاسلام ولغة العرب؛ بغيرها لا استمرار لهما ولا بقاء، وتحية الحسين لكم، وترحيبه بكم، وفرحته بهذا اللقاء في مجمعكم الأردني للغة العربية، وفي بلدكم الأردن، انما هو على أساس من رسالة يؤمن بها، وليس مجرد كلام يقال في مناسبات عابرة».

(الكلمات الثلاث تلي التقرير)

وبعد استراحة قصيرة عقد المؤتمر جلسة اجرائية برئاسة الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الذي اقترح أن يرأس المؤتمر الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، فرحب المؤتمر بذلك بالاجماع. ثم طلب الرئيس من المؤتمر أن ينتخب نائبي رئيس ومقررا عاما، فانتخب السيد الدكتور راشد عبدالعزيز المبارك والدكتور حمزة الكتّاني نائبين للرئيس والأستاذ أديب اللجمي مقررا عاما والدكتور مصطفى حداد مقررا عاما مساعدا.

ثم أقر المؤتمر جدول أعماله.

وشكل المؤتمر تسع لجان متخصصة تتولى دراسة مشروعات المعاجم المعروضة عليه وحدد السيد رئيس المؤتمر مهامها بما يلي:

دراسة الملاحظات والاقتراحات التي حملتها الوفود من بلادها أو التي ارسلت الى المؤتمر والاتفاق على ما اختلف فيه بشأنها.

اختيار مفردة واحدة لكل مصطلح أجنبي .

وفي جلسة العمل الأولى انتخبت كل لجنة متخصصة رئيسا ومقررا لها (والأسماء مثبتة في ملحق التقرير) .

وفي يوم الأحـد استقبل سمو الأمير حسن ولي العهد، نائب جلالة الملك رؤساء الوفود المشاركة ورئيسَ المؤتمر والمديرَ العام للمنظمة العربية للتـربية والثقـافـة والعلوم، وأكد سموه في هذا اللقاء اهتمام الاردن ملكاً وحكومةً ومؤسسات بدعم مشروعات التعريب وتمكين اللغة العربية من تبؤ المكانة العلمية والعالمية التي هي أهل لها .

ثم واصلت اللجان المتخصصة أعمالها في اليومين الثاني والثالث من أيام المؤتمر وخصص اليوم الرابع لبحوث المؤتمر الثلاثة وهي :

قضايا التعريب، المشكلات والحلول للأستاذ الدكتور جميل ملائكة .

تعريب العلوم الطبية للأستاذ الدكتور حسني سبح .

نحو نظام للرموز العلمية للأستاذ الدكتور أحمد سعيدان .

وأعقبت كل بحثٍ مناقشةٌ عامة شارك فيها اعضاء المؤتمر، وتميزت بالتعمق، والمـوضـوعية والحـرصِ على دعم مسيرة التعـريب، وضمـانِ نجاحها، وكان السيد رئيس المؤتمر قد تلا في بداية الجلسة الرسالة التي وجهها الى المؤتمر السيد الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة وفيها يرجو للمؤتمر النجاح (نص الرسالة مع الملاحق) .

وفي مساء اليوم الرابع اجتمعت الهيئة العامة للمؤتمر واستمعت الى

تقارير اللجان التسع المتخصصة واقرت ما جاء فيها (التقارير مع الملاحق).

وفي صبيحة اليوم الخامس عقد المؤتمر جلسته الختامية وأقر فيها التقرير النهائي لنتائج اعماله.

ثم ألقى رئيس المؤتمر كلمة شكر فيها الوفود المشاركة لما قدمته من عمل جاد، وأشار الى أهمية النتائج التي تمخض عنها المؤتمر خدمة للامة العربية. ثم ألقى الأستاذ الدكتور راشد عبدالعزيز المبارك كلمة باسم الوفود هنأ فيها الرئيس والمؤتمرين على ما تم انجازه.

ثم اعلن الرئيس اختتام المؤتمر.

وفيما يلي توصيات المؤتمر الخامس للتعريب.

ان مؤتمر التعريب الخامس المنعقد في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني، بعد أن درس الموضوعات المعروضة عليه والمتمثلة بصفة خاصة بسبعة مشروعات معاجم اعدها مكتب تنسيق التعريب، وثلاثة مشروعات معاجم أخرى اعدتها منظمات عربية متخصصة؛ انتهى الى مجموعة من التوصيات العامة اضافة الى التوصيات الخاصة بكل مشروع من مشروعات المعاجم المذكورة نثبتها فيما يلي:

توصيات المؤتمر الخامس للتعريب

يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقره من توصيات خاصة بالمبادىء التي يرتكز عليها التعريب في الوطن العربي ومن أهمها:

١ - ان اللغة العربية مقومٌ رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية. وكلّ ضعف، أو اضعاف يصيب اللغة هو خطر يتهدد الكيان العربي ووجوده.

٢ ـ أن تأصيل العلوم لا يكون الا بلغتها، ولذلك فان لحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة، ومواكبته لها، ومشاركته فيها، يجب أن يبـدأ باستخدام اللغة العربية لغةً للتدريس في جميع مراحل التعليم واعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك.

٣ ـ ان تأصيل اللغـة لا يقتصـر على الاخـذ بها في مرحلة تعليمية دون مرحلة، وانما يجب أن يساير مراحل التعليم كلّها، منذ بدايتها وحتى المراحل العليا من البحث العلمي، بحيث يتيسر لابناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد على تطويعها وتطويرها.

٤ ـ ان اللغة العربية قد دللت في مختلف مراحل تاريخها المديد وبحكم خصائصها انها لغة حضارة ذات أبعاد انسانية وعالمية، وهي بهذا قادرة كليا على ان تكون لغة العلم الحديث تدريسا وتأليفا وبحثا وتوليدا للمصطلح.

٥ ـ ان ما يهـدف اليه التعـريب هو بالـدرجـة الاولى توحيد المصـطلح العلمي، وتطبيق هذا المصطلح، واستعماله، وتداوله في كلّ مجالات حياتنا اداءً وابلاغا.

٦ ـ ويعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الفعلي الذي حققه التعريب حتى الآن في الـوطن العـربي، وهـم اذ يقدرون ما اسهم به العلماء والاختصاصيون العرب وما قدموا من جهود كبيرة في تعريب فروع كثيرة من فروع المعرفة والعلم فانهم يؤكدون مرة اخرى على ان جهودهم لا تؤتى ثمـراتهـا كاملة اذا لم تتخـذ الامـة العـربية قرارها، ومن اعلى مستويات المسؤولية، بالزام تداول واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربي كله، وفي الوقت نفسه بالزام مؤسسات التعليم

العربية كلها بأن يكون التعليم فيها تأليفا وتدريسا، وبحثا باللغة العربية.

٧ ـ **في منهجية التعريب**

يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات تعريب المصطلحات؛ وتتناول هذه المنهجية مراحل العمل جميعا في الاعداد، والدراسة، والاقرار.

أ ـ في الاعداد

من المناسب اجراء عمل اولي منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة وجمع المصطلحات الحديثة.

أما استقصاء المصطلحات القديمة فيكون من مظانها كالكتب المتخصصة والمعاجم والكتب الأخرى التي قد تستخدم هذه المصطلحات، ومن المفيد ترتيب هذه المظان ترتيبا تاريخيا وحصرها وجرد ما فيها وتقديمه على انه جزء من الموروث العربي الاسلامي؛ وان هذا العمل يساعد على احياء المصطلحات العلمية المبثوثة في كتب التراث العلمي العربي وربطها بالتعبير العلمي المعاصر محليا وعالميا.

وفي مجال جمع المصطلحات الحديثة، يكون ذلك بجمع المصطلحات التي اقرتها المجامع، أو استعملتها الجامعات ومعاهد التعليم العالي، او تواضعت عليها الهيئات العلمية، او جاءت بها المعاجم الجديدة، او استخدمتها وسائل الاتصال والاعلام الحديثة، ومن الخير الافادة من الوسائل التقنية الحديثة من اجل انجاز هذا العمل في الفهرسة والاسترجاع.

ب ـ في الدراسة :

ان دراسة المصطلحات يجب أن تتدرج وفق نظام مراحل : ففي المرحلة الاولى يكون الجمع والاستقراء والاستقصاء ، ثم تأتي مرحلة ايكال التعريب الى اختصاصيين، او لجان فنية، تشارك فيها الاقطار العربية ، ثم تأتي مرحلة تنظيم الندوات المتخصصة للتمحيص والدراسة، والتحقق من مطابقة المفهوم العربي للمفهوم الاجنبي، واختيار مقابل عربي واحد للمصطلح الاجنبي ما امكن ذلك.

جـ. في الاقرار

وهنا تأتي مرحلة المؤتمرات ولجانها المتخصصة؛ اذ تتم فيها مراجعة ما انجز من عمل في هذا الميدان استنادا الى الاصول والقواعد التي ينبغي توافرها في المصطلح العربي : السلامة في اللغة، والسهولة في الاداء، والوضوح في الفكرة، والدقة في التعبير.

واذ ان مؤتمرات التعريب تضم نخبة من الاخصائيين الذين يمثلون الدول العربية، والمجامع العربية، والاتحادات والمنظمات العربية المعنية، وعددا من كبار العلماء الذين يمارسون التعريب، ويعملون في مجالاته، فان قرارات هذه المؤتمرات بقبول المصطلحات التي عرضت عليها ضمان لقيمة تداولها واستعمالها.

ولكي تحقق هذه المؤتمرات ما تهدف اليه، فان المؤتمر الخامس يوصي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب التابع لها، بأن يكون الاعداد للمؤتمر دقيقا منظما وافيا، وان يشرع بهذا الاعداد قبل وقت كاف، على ان ترسل وثائق المؤتمر الى

الجهات المدعوة للمشاركة فيه قبل سنة على الاقل من موعد انعقاده، وبذلك تكون امامها فترة مناسبة لدراستها والتعمق بها وتسجيل الملاحظات والاقتراحات بشأنها. ومثل هذا يُيَسِّر للمؤتمر انجاز مهمته على الوجه الافضل في الايام القليلة المخصصة له.

٨ - يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب) بطباعةبحوث المؤتمر الثلاثة مع المناقشات التي صاحبتها.

٩ - وان المؤتمر اذ يشيد بما تبذله المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعلى رأسها مديرها العام الاستاذ الدكتور محيي الدين صابر من جهود دؤوبة صادقة في مجال التعريب يأمل ان تزيد المنظمة من جهودها في هذا المجال وان تتمكن من طبع جميع المعاجم التي اقرتها مؤتمرات التعريب، ووضعها في التداول على اوسع نطاق، وفي اقرب وقت ممكن.

كما يبارك المؤتمر الاعمال التي انجزها مكتب تنسيق التعريب والتي ساعدت على تدعيم تعريب العلوم في مراحل التعليم العام.

١٠ - كما يشيد المؤتمر بالجهود التي بذلتها المنظمات والهيئات العربية في حصر المصطلحات الخاصة بها، وتعريبها، واخراجها، ووضعها موضع التداول، آملاً أن يكون ذلك حافزاً لها للاستمرار في جهودها، وباعثا للمنظمات، والهيئات العربية الأخرى المتخصصة للقيام بعمل مماثل.

١١ - كما أقر المؤتمر التوصيات التي جاءت بها اللجان المتخصصة التسع التي درست كلّ منها مشروعات المعاجم الموكلة اليها (وهي مرفوقة بهذا التقرير).

١٢ ـ ويعرب المؤتمر في ختام أعماله عن حرصه على تقديم أعمق الشكر والاكبار لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم لتفضله برعاية المؤتمر.

كما يعرب المؤتمر عن صادق مشاعره بالشكر والعرفان للمملكة الاردنية الهاشمية حكومة وشعبا وبخاصة لمجمع اللغة العربية الأردني لما احيط به من كريم الضيافة وحميم الاستقبال.

كما يبعث المؤتمر بتحية مودة وتقدير عميقين الى السيد الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المؤتمر، لحكمته وحسن ادارته.

ويحرص المؤتمر على أن ينوه بالجهود المشكورة التي بذلها المشرفون على تنظيم المؤتمر وجميع الذين اسهموا في اعداد وثائقه وتيسير أعماله.

والله ولي التوفيق.

كلمة الدكتور عبد الكريم خليفه
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني
السبت في ٢١/٩/١٩٨٥

معالي وزير التعليم العالي، مندوب جلالة الملك المعظم
معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
أيها العلماء الضيوف
أيها الاخوة الزملاء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فانه لشرف كبير أن أقف في مؤتمر العروبة الحقة، الصافية صفاء هذه اللغة الشريفة، والصادقة العزم على تحقيق وحدتها تحت راية لغة القرآن، كي أتقدم باسم مجمع اللغة العربية الأردني بالشكر العميق لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين، على رعايته لهذا المؤتمر العتيد. وان هذه الرعاية السامية للغة العروبة والاسلام لتعبر اجمل تعبير عن فكر احرار العرب وآمالهم من الرعيل الأول الذين شاركوا في بناء الدولة الحديثة في شرقي الاردن ، وأرسوا فلسفة وجودها وصدق انتمائها لامتنا العربية والاسلامية.

وكانت اللغة العربية والعناية بها وجعلها منذ البداية لغة جميع دوائر الدولة ولغة التعليم، بمراحله الابتدائية والثانوية اذ ذاك، تكوّن معْلما اساسيا في هوية هذه الـدولـة النـاشئـة. ومن هنا جاءت فكرة انشاء مجمع للغة العربية، منذ السنوات الاولى من تأسيس امارة شرقي الاردن. فقد نشرت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في كانون الثاني سنة ١٩٢٤، في الجـزء الاول من المجلد الـرابع على صفحتها السادسة والاربعين (٤٦) تحت عنوان: «مجمع علمي في شرق الاردن» ما نصه:

«جاءتنا نشرة مآلها ان سمو الامير عبدالله اصدر امره بتأسيس مجمع علمي في عمـان عاصمة شرق الاردن العربي، وانتخب رئيسا له سماحة رصيفنـا الشيخ سعيد الكـرمي وكيل الشؤون الشـرعية. وأما أعضاؤه فهم العلمـاء رضـا توفيق بك الفيلسـوف التـركي المشهـور والشيخ مصـطفى الغـلاييني ورصيفنـا رشيد بك بقدونس ومحمد بك الشريقي مدير جريدة (الشرق العربي) المنشأة في تلك البقعة منذ زمن قريب. وعلمنا أنه انتخب أعضـاء شرف له العلمـاء الرصفاء احمد زكي باشا ورئيس مجمعنا السيد محمـد كرد علي والشيخ عباس الأزهري والأب انستاس الكرملي والسيد اسعاف النشاشيبي. وفي تلك النشرة ان المجمع سيعنى باحياء اللغة العربية ونشر المدارس والقاء المحاضرات وانشاء دار كتب واصدار مجلة شهرية. فنرحب بهذا الرصيف الجديد.

وان طبيعة تكوين هذا المجمع لأصدق شرح للمبادىء الأساسية التي قامت عليها الدولة الاردنية في هذا الجزء الغالي من الوطن العربي. فكان اعضاء هذا المجمع نخبة من اعلام الفكر العربي الذين قضوا حياتهم في

خدمـة لغـة القـرآن والذود عن حياضها. رحمهم الله جميعا وجزاهم خير الجـزاء. ولكن شاءت الظروف القاسية ان لا يستمر هذا المجمع وبقيت العربية لغة جميع دوائر الدولة ومؤسسات التعليم، تكّون احدى المسلمات الأساسية في سياسة المغفور له الملك عبدالله بن الحسين، على الرغم من ظروف الانتداب ودسائس الاستعمار.

وفي أوائل الستينات، عندما بدأت شمس الحرية والاستقلال تبزغ من جديد على أجزاء غالية من وطننا العربي في الشمال الافريقي، بدأت شعوبها على التوّ معركة استرداد لغتها القومية، لغة العروبة والاسلام، لغة القرآن الكريم الذي كان العامل الأساسي في بقائها، وانتصارها في صراع مرير مع عدو غاشم دام اكثر من قرن من الزمان.

واستجابة لهذه المرحلة التاريخية في حياة امتنا الثقافية في المغرب العربي وفي شرقه ايضا، عقدت الادارة الثقافية في الجامعة العربية، وهي النواة التي انبثقت عنها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، اقول عقدت الادارة الثقافية مؤتمر التعريب الاول في مدينة الرباط في شهر نيسان سنة ١٩٦١م. واستجـابـة لاحـدى توصيات هذا المؤتمر التاريخي، تأسست اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر واستمرت هذه اللجنة في عملها ومشاركتها المتواضعة حتى نهاية ايلول سنة ١٩٧٦، حينما بدأ مجمع اللغة العربية الأردني يمارس مهامه ويطور عمله في خدمة لغتنا العربية.

ومنذ البداية، انضم مجمع اللغة العربية الأردني الى اتحاد المجامع اللغوية العربية، الذي رحب بالشقيق الجديد اجمل ترحيب، ونحن اذ نعتز باتحاد مجامعنا اللغوية، لنرجو ان يصبح في المستقبل القريب ـ ان شاء الله

مجمعا واحدا، للغة واحدة، تمده اقطار العروبة بروافدها الخصبة، كي تصبح لغتنا العربية قادرة على استيعاب جميع العلوم والفنون في هذا العصر. فان اواخر القرن العشرين يشهد تفجر المعرفة العلمية وازديادا هائلا في نموها المتسارع، بل وربما لا نعدو الحقيقة اذا قلنا: ان عالمنا الحديث يقف على اعتاب فجر حضارة جديدة.

فاللغة من حيث المبدأ ليست أداة للتفاهم فحسب، ولكنها الأداة التي تمازج من حيث طبيعتها حياة الانسان الفكرية والحسية والعاطفية، فيعبر بها عن افكاره واحاسيسه ومشاعره. وهي التي تطبع هذه الآداب بطابعها المميز وتحدد هويتها، سواء أكان ذلك ناتجا عن دلالات الالفاظ وبنية التراكيب والجمل أم كان ناتجا عن الاسلوب والمنهج والدقة في التعبير والوضوح. فاللغة متصلة بالفكر، اتصالا عضويا. فلا تفكير بدون لغة. فالانسان، لا محالة يفكر باللغة من خلال ألفاظها وتراكيبها وأساليبها. ومن هنا نلاحظ الغرابة والتناقض عند هؤلاء الذين يفكرون بلغة مثلا ويعبرون عنها بلغة اخرى. وان وضوح الفكرة في ذهن الكاتب وسلامة تفكيره يجعله اكثر قدرة على وضوح التعبير ودقة الافهام.

وقد أدركت المجامع اللغوية العربية، وادرك علماؤنا في شتى ميادين المعرفة الذين يحرصون على تراث امتهم ولغتها وعلى نهوضها وتقدمها، ان لا تحرر من التبعية الفكرية والسياسية، ولا ابداع في مضمار العلوم الحديثة، الا بأن تسترد اللغة العربية سيادتها في اوطانها. وان تعود ـ كما كانت في عصورها الزاهرة ـ لغة العلوم والفنون والفكر، تدريسا وبحثا وممارسة. فاللغة هي الأمة، والأمة هي اللغة، وان التفريط بلغة الأمة تفريط

بهويتها وجوهرها.

فأنجز شيوخ العربية وعلماؤنا الافذاذ اعمالا مجيدة في مجامع اللغة الخـالـدة ـ فالعـربية خالـدة بخلود القرآن الكريم اقول في المجامع وفي الجامعات والمؤسسات العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد. فوضعوا عشرات الآلاف من المصـطلحـات العلمية الحديثة، ونقلوا الى العربية كثيرا من امهات المصادر الاجنبية، ولكنها في كثير من الاحيان، كانت توضع على الرفوف، وتكدّس في مستودعات الكتب، لا تجد طريقها الى الاستعمال. والاستعمال هو الذي يوفّر للغة حياتها.

وقـد رأى مجمـع اللغة العربية الاردني ومن خلال امكاناته المادية المحـدودة، أن يخـرج من حيز المنـاقشات والمناظرات حول قدرة اللغة العـربية على استيعاب العلوم والمعارف الحديثة، الى المجال العملي، فأسهم بصـورة عملية ومن خلال امكـانـاته المادية المتواضعة في تعريب العلوم. فاستطاع حتى الآن ان يترجم الى العربية حوالي خمسة عشر مصدرا من امهات المصادر في الفيزياء والكيمياء والاحياء والجيولوجيا والرياضيات التي تدرس في الجـامعـات. وحـرص المجمـع على الاستفـادة من المصطلحات العلمية التي انجزتها المجامع اللغوية ومؤتمرات التعريب، وعلى ان ينتهي كل كتاب بثبت بالمصطلحات العلمية التي استخدمت فيه مع وضع مقابلاتها باللغة الانجليزية.

وربما كان من المفيد أن أشير هنا الى ان المجمع واجه قضية مهمة في حملته لتعريب العلوم في التعليم الجامعي. فقد اضطر ان يستعمل الرموز الاجنبية في الكيمياء والفيزياء بخاصة، وفي ذلك تناقض مع جوهر التعريب. فالرموز

الاجنبية من حيث المبدأ لها ايحاءاتها الخاصة في لغتها الام، ولكنها رموز صماء لا توحي بشيء بالنسبة للغة العربية ولكي نبسِّط الامور وهي اعقد من ذلك بكثير نقول: إن استعمال حرف (N) باللغة الانجليزية رمزا لكلمة (Number) مثلا له ايحاءاته الدالة على المعنى باللغة الانجليزية، ولكننا عندما نستعمله اي الحرف (N) كي يرمز باللغة العربية الى كلمة «العدد» فالصلة مقطوعة تماما. وكذلك مثلا يستعمل حرف (S) باللغة الانجليزية كي يدل على (Safer) وهو في حد ذاته كما نلاحظ يوحي بالمدلول (Safer) في لغته الأم. ولكن عندما نستعمل في الكتب المترجمة الى العربية حرف (S) كي يرمز الى الكبريت. . فالصلة مقطوعة تماما. فضلا عن تناقض اختلاف الحروف واختلاف الاتجاه من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين ومن الانتقال المفاجيء من لغة الى لغة. وأمام قضية الرموز العلمية ووجوب تعريبها، عهد المجمع الى لجنة متخصصة من العلماء من مجمع اللغة العربية والجامعة الاردنية وجامعة اليرموك وغيرها من المؤسسات العلمية الاردنية بدراسة امكانية وضع رموز عربية بدلا من الرموز اللاتينية المستعملة في علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات. وبدأت هذه اللجّنة عملها منذ سنة ١٩٨٢ واستمرت فيه بجد ومثابرة مدة سنتين ونصف تقريبا، واستطاعت ان تضع مشروعا متكاملا ولأول مرة باللغة العربية. وقد صدر هذا المشروع في كتاب خاص ضمن منشورات مجمع اللغة العربية الاردني تحت عنوان: «مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية» وقد وزع هذا المشروع على اتحاد المجامع اللغوية ومجامع اللغة العربية والجامعات العربية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، والمؤسسات العلمية في الوطن العربي من اجل دراسته وموافاتنا بملاحظاتهم. ويسعدني ان اذكر في هذه

المناسبة ان مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية قد قرر ان يكون هذا المشروع موضوع ندوة الاتحاد المقبلة وان تعقد هذه الندوة في مجمع اللغة العربية الاردني في نيسان سنة ١٩٨٦ بغية دراسته والخروج بنظام موحد للرموز العلمية باللغة العربية. فإنّ حرصنا على تعريب العلوم لا يوازيه شيء سوى حرصنا على توحيد لغة العلوم بالعربية بتوحيد مصطلحاتها ورموزها وتراكيبها.

وقد كان لمؤتمرات التعريب في الوطن العربي انجازات مهمة في مجال توحيد المصطلحات العلمية ودفع مسيرة التعريب الى امام وبث الوعي السياسي في تقدير اهمية تعريب العلوم والتقنيات الحديثة باعتبارها شرطا اساسيا للخلاص من حالة التبعية الفكرية والوصول الى حالة الابداع والمشاركة الاصيلة في بناء الحضارة الحديثة. ولكن ويا للأسف فقد تكدست المصطلحات ووضعت على الرفوف وبقيت عشرات التوصيات دون تنفيذ، وذلك بسبب غياب سياسة الالتزام بالتعريب في معظم الاقطار العربية.

سيدي مندوب جلالة الملك المعظم

فقد أوصى مؤتمر التعريب الرابع الذي عقد في طنجة في القطر المغربي الشقيق في نيسان سنة ١٩٨١، بأن يعقد مؤتمر التعريب الخامس في مجمع اللغة العربية الأردني. وقد كانت هذه المبادرة تحية وتكريما للأردن المجاهد، وهو يواجه أشرس حملة استعمارية استيطانية تستهدف وطننا العربي وأمتنا العربية والاسلامية. فالاردن حصن من حصون العربية في اعماق التاريخ، وهو حصن العروبة الوحيد الذي يطل على مشارف

القـدس، ويقف على مرأى من المسجـد الاقصى، أولى القبلتين وثـاني الحرمين ومسرى الرسول الكريم ﷺ. فقد استباح العدو الحاقد حرماته وهو يعمـل جاهـدا على هدمـه وخـرابـه، بعـد ان نهب الأوطان وأقام المدن والمستعمرات، وشرد الأهل محاولا اقتلاع جذور شعبنا، في سياسة للتهويد معلنة، لم تعد سرا على أحد.

وقد وجدت تحية مؤتمر التعريب الرابع ما تستحقه من تكريم واعزاز. فأقرت الحكومة الاردنية اذ ذلك هذه التوصية، بل وتفضل صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم برعاية مؤتمر العربية والعروبة.

وغني عن البيان، فان مؤتمـرات التعريب باتت تعقد مرة كل ثلاث سنوات من حيث المبدأ، وهي ترمي الى تحقيق هدفين أساسيين، احدهما اقرار المعاجم العلمية التي وضعها العلماء المتخصصون واضفاء الشرعية عليها بعد الاطلاع عليها ومناقشتها في اللجان المتخصصة في المؤتمر.

والهـدف الآخـر، بحث سياسـة التعـريب، وتقويم مسيرة التعريب وتلمس الـوسائل التي تكفل نجاح التعريب وتعميق جذوره، وجعله قادرا على مواكبة التطور الهائل والنمو السريع الذي تشهده المعرفة العلمية في أواخر القرن العشرين.

فبعد مضي ربع قرن على انعقاد المؤتمر الاول للتعريب بالرباط، نجـد ان الشـوط الـذي قطعنـاه كان متـواضعا وان الهوة التي تفصل بيننا وبين تحقيق اهدافنا، ما زالت سحيقة وواسعة، ولذا فان الوقت قد حان لكي يشكل مؤتمر التعريب الخامس انعطافاً تاريخيا في مسيرة التعريب، وبالتالي في حياة أمتنـا العلمية والحضـارية، بأن يتـوجـه الى مؤتمر القمة العربي

القادم، الذي سيعقد ـ ان شاء الله ـ في مهبط الوحي ومهد العروبة والاسلام، ليتخذ قرارا تاريخيا، يعيد للغة العربية الفصيحة لغة القرآن الكريم، سيادتها في اوطانها، بأن تكون لغة التدريس في جميع مستوياته ومجالاته، لا سيما في الكليات العلمية والمهنية مثل كليات العلوم والطب والهندسة والصيدلة والزراعة وغيرها، وأن تكون العربية، لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة والحياة الحضارية.

وان مثل هذا القرار التاريخي الذي يصدر عن اتفاق الامة جميعها على اعزاز لغتها والتصميم على استعادة هويتها ومكانتها في المشاركة العلمية الاصيلة، ليوجب اتخاذ قرار آخر، بانشاء مؤسسة علمية عربية، على مستوى الوطن العربي. تكون مهمتها نقل العلوم والفنون والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية، ويكون عملها مستمرا، لنقل اهم البحوث العلمية التي تنشر في اهم الدوريات العلمية العالية الى اللغة العربية، واعطاء ملخصات عنها. وذلك على غرار مؤسسات الامم التي سبقتنا في نهضتها العلمية مثل المؤسسات اليابانية والصينية والسوفيتية وغيرها. فان انشاء مثل هذه المؤسسة العلمية العربية بات ضرورة يحتمها التطور التاريخي لامتنا العربية وهي في الوقت ذاته ذات جدوى اقتصادية، لانها تستند على لغة واحدة، هي اللغة العربية الفصيحة، لغة العروبة والاسلام. فهي اللغة التي توحد بين اقطار العروبة على امتدادها الجغرافي من الرباط الى بغداد، وهي مستودع تراثها الضخم على الامتداد التاريخي وعبر القرون.

وان الآمال معقودة على المجامع اللغوية العربية وعلى اتحاد مجامعنا، بل والمجمع الواحد، للغة الواحدة كي تقوم بدورها الأساسي في

اغناء العربية ومدها المستمر بالمصطلحات العلمية والرموز والتعابير العلمية الموحدة.

سيدي، مندوب جلالة الملك المعظم

فان آمالنا كبيرة، وان مستقبل أمتنا لمشرق، باذن الله، وانني من على هذا المنبر في مؤتمر العربية والعروبة، اعود فأقدم صادق الشكر لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم على تفضله برعاية هذا المؤتمر. وأرحب بعلماء امتنا العربية، من اقصى المغرب الى اقصى المشرق، الذائدين عن حياض لغة القرآن، لغة العروبة والاسلام، في وطنهم الاردن المجاهد، وفي مجمعهم، مجمع اللغة العربية الأردني، متمنيا لهم التوفيق والنجاح وطيب الاقامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

كلمة الدكتور محيي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد ممثل صاحب الجلالة الملك المعظم، ووزير التعليم العالي

سعادة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية

أصحاب المعالي والسعادة والسيادة. . . .

أصحاب السيادة الأخوة ممثلي الهيئات والمنظمات العربية

السيدات والسادة

أحييكم التحية التي أنتم أهلها، وأُرحب بكم في عمان، المدينة العربية الشامخة المضياف عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية، الصامدة الصاعدة، قياما بحق الحرية القومية واستجابة لنداء التقدم الاجتماعي، واشكر لكم استجابتكم الكريمة للدعوة الى هذا المؤتمر القومي العلمي، وسعيكم المسؤول اليه، مشاركة وعطاء.

وفي هذه المناسبة الجليلة، فاني ارفع الى مقام صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم حفظه الله، اسمى آيات الشكر، وازكى مشاعر الاجلال، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تعتز بما لجلالته من اياد بيض على اهدافها ومشروعاتها، وتجيء رعايته السامية، لهذا المؤتمر تعبيرا جديدا في اطار عناية جلالته الموصول بالعمل العربي المشترك.

وانه حق من الحق، أن أشيد هنا، بالجهد الكبير الذي نهضت به الحكومة الاردنية، ممثلة في وزارة التربية والتعليم، واللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، وفيما قام به كريما ومسؤولا، مجمع اللغة العربية الاردني، واني اتجه هنا بالشكر مستحقا الى معالي الاخ الاستاذ عبدالوهاب المجالي، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير التربية والتعليم والى معاونيه القادرين والى سعادة الاستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الاردني، وزملائه ومعاونيه، لما انجز من اعداد دقيق، وتنظيم وثيق ومتابعة موصولة، وتنسيق قريب، في عمل متصل وطويل والشكر بعد ممدود لهم جميعا على كرم اللقاء وحسن الضيافة وصادق التعاون. وأشيد في اعتزاز بالاسهام القادر الذي يقوم به المجمع في خدمة اللغة العربية.

أيها الاخوة:

ان مؤتمرات التعريب الدورية، وسيلة منهجية، من وسائل عمل مكتب تنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية في اختيار المقابل العربي الادق والاوفق. ذلك ان مشكلة المصطلح العلمي الاجنبي ليس في تعريبه، ولكن في توحيده، فالمصطلح الاجنبي الواحد، يترجم الى العربية

بكلمات مختلفة، لاتساع اللغة العربية من ناحية، ولترك الامر للاجتهاد الشخصي من ناحية اخرى، ومن هنا قامت الحاجة، لتوحيد المصطلح العربي حتى تنشأ لغة علمية موحدة، يكون لكل مفهوم علمي محدد فيها كلمة واحدة. وهذا الامر على جانب كبير من الاهمية ذلك انه يعمل على تأصيل حقيقتين اساسيتين: احداهما قومية، وهي تأكيد الوحدة الفكرية، والاخرى حضارية وهي اقتحام المعاصرة التكنولوجية..

وقضية التعريب، ليست قضية لغوية، كما يظن كثيرون، وانما هي قضية معاصرة حضارية بكل ما في هذا التعبير من دلالات، فلا يمكن اجتماعيا، ان يتقدم شعب الى المجال العلمي التكنولوجي المعاصر دون اكتساب العلم، واستنباته وتوطينه لغويا، واستنبات العلم وتوطينه يعني تعليمه وتعلّمه وانتاجه باللغة القومية، مهما كانت تلك اللغة ذلك ان جنسية الفكر، هي اللغة كما ان جنسية الانسان هي الدولة، فكل ما يكتب في لغة، يصبح جزءا من تراثها، مهما كانت الجنسية السياسية والحضارية للكاتب، وفي اللغة العربية نفسها شواهد تاريخية، فيما كتب الشعراء والادباء من غير العرب مما هو مفخرة للادب العربي والفكر العربي، وما ينتجه العلماء من ابناءَ البلاد النامية في اللغات المتقدمة من علم او فن، هو جزء من تراث تلك اللغات....

ومن هنا فان الارض ينبت فيها العلم وتطبيقاته العملية، انما هي اللغة وهنالك تلازم عضوي بين اللغة والتقدم، فالتعريب اذن ليس تعصبا قوميا، ولا نزوعا الى انغلاق وانما هو قمة التفتح على العالم اخذا وعطاء، مما شهد مثله تاريخنا في عصر «بيت الحكمة»، فقد بدأ الابداع العربي الانساني

باستيعاب المعارف الاجنبية، وصياغتها صياغة عربية، نقلا وتعريبا وتمثيلا. . .

ان الانتقـال من التبعية والتخلف الى الابداع والى الاصالة، يعني تعريب العلوم، وسبيل ذلك هو تعريب لغة التدريس في الكليات العلمية والمهنية في الجـامعـات وتعـريب لغـة الانتاج العلمي في مراكز البحوث العلمية العربية، ومن تمام هذا العمل، ان يتم اعداد هيئة التدريس وهيئة البحـوث العلمية القادرة على الاداء باللغة العربية، وقد اتخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من خلال مؤتمرها العام اجراءات من شأنها ان تحقق هذا الهدف، بانشاء المؤسسات القومية التي تتضمن بذلك سواء في توسيع وعاء الترجمة والتعريب والتأليف والنشر أم في اعداد الاطارات العلمية في المستويات العليا.

ايها الاخوة، ان هذا المؤتمر، هو المؤتمر الخامس للتعريب، وهو ينعقد بتعاون حميـم وقادر مع مجمع اللغة العربية الاردني الذي يسر له كريما من الظروف ما حقق له اسباب انعقاده وعوامل انجاحه. ويتهيأ العلماء العـرب المشتـركـون فيه، من المجمعيين والمتخصصين والخبراء لدراسة موضوعاته التي تمثل مشروعات عشرة معاجم في مختلف المجالات يتم تنسيقهـا وتـوحيدهـا واكسـابهـا الصفة القومية، لتصبح هي المصطلحات المعبـرة وحـدهـا عن المفـاهيم المحـددة لها. سبعة من مشروعات هذه المعـاجم يقـدمهـا المكتب حول مصـطلحـات علم الاجتمـاع والتـربية واللسانيات، والفيزياء العامة والفيزياء النووية، والكيمياء، والرياضة البدنية، وثـلاثـة منهـا قدمتهـا مؤسسـات قومية وهي: مشروع المعجم العـربي

للمصطلحات الاحصائية والسكانية من المركز العربي للاحصاء والتوثيق، ومشـروع القـامـوس العـربي لمصطلحات السكك الحديدية من الاتحاد العـربي للسكـك الحديدية، ومشروع المعجم الزراعي من الفاظ العلوم الزراعية من المنظمة العربية للتنمية والزراعة.

وسوف يقدم العلماء العرب المشاركون بحوثا أساسية في موضوعات هي: قضايا التعريب، المشكلات والحلول و«تعريب العلوم الطبية» و«نحو نظام للرموز العلمية»... هذا وقد كان المؤتمر الرابع الذي انعقد في طنجة عام ١٩٨١ قد ركز على اقرار توحيد معاجم المصطلحات المهنية والتقنية، في مرحـلة الـتعليم العــام، في مختلف الشعب والفــروع، الى جانب المصادقة على مشروع معاجم في مستوى التعليم العالي والجامعي، في تخصصـات النفط والجيولوجيا، والاعلاميات، اما المؤتمر الثالث، الذي عقد، في طرابلس، في الجماهيرية الليبية، عام ١٩٧٧ فقد درس وصَادق على مشـروعـات معـاجم، في التعليم العام، في مصطلحات الجغرافيا والتـاريخ، والفلسفة، والفلك والرياضيات، والصحة، ذلك الى مصادقته على مشروعي معجمين في مادتي الاحصاء والرياضيات في مستوى التعليم العالي والجامعي..

وفي المؤتمـر الثـاني الـذي اجتمـع في الجـزائر العاصمة في عام ١٩٧٣، وحد المصطلح العربي في مواد الكيمياء والجيولوجيا، والرياضيات والنبات والحيوان والفيزياء، في مستوى التعليم العام.

وقد كان المؤتمر الاول للتعريب الذي التأم في الرباط عام ١٩٦١، تدارس الخـطة العـامـة لمنهجية التعـريب، وتـوحيد المصـطلح العـربي

بتخصيص المقابل العربي الموحد، للمصطلح الاجنبي، في مراحل التعليم، الامر الذي قامت المؤتمرات المتعاقبة بتنفيذها.

ايها الاخوة:

ان مكتب تنسيق التعريب، وهو يجد التعاون الايجابي، والاستجابة الكريمة، من الحكومات الاعضاء، ومن المؤسسات والاتحادات والهيئات والمنظمات القومية، ومن المجامع العربية، ومن اتحاد المجامع، ومن الجامعات العربية، ومؤسسات التعليم العالي، ومراكز البحوث العلمية، ومن العلماء والمفكرين والكتّاب، يتقدم في مشروعاته، على اساس خطته المتوسطة المدى، والطويلة المدى، في تنسيق مع اجهزة المنظمة الاخرى تحقيقا لرسالته في توحيد المصطلح العربي، وفي توفيره، وفي تحديثه، وفي متابعة التطور العلمي، والتدفق المعرفي، المذهل، الذي يسرته تكنولوجيا الاتصال، والثورة العلمية الثالثة، مواكبة للتقدم العالمي، وطلبا للمعاصرة التكنولوجية، هذا، والمكتب يعمل على تحديث اساليب عمله وتطويرها والاستعانة بأجهزة الجمع والتخزين والاسترجاع والاتصال الآلية والحديثة.

أيها الأخوة:

واني أعيد الشكر هنا، مستحقا للاخوة ممثلي الحكومات العربية، وللاخوة العلماء والخبراء الذين اعانوا بآرائهم، وبحوثهم، على استكمال اسباب عقد هذا المؤتمر، ولمجمع اللغة العربية، ولرئيسه، وزملائه ومعاونيه، على كل ما قدموه من خير، وان الشكر يتجه الى ابنائي من العاملين في مكتب التنسيق، مديرا، وفنيين على جهدهم الطويل، وصبرهم الجميل وعطائهم الأصيل.

واننا اذ نعلق آمالا مشروعة على مؤتمركم هذا، فاننا نسأل الله لكم فيه التوفيق بما تتحقق به آمال امتنا، والسلام.

كلمة مندوب جلالة الملك المعظم
الدكتور ناصر الدين الأسد

أيها العلماء الأجلاّء

أيها السيدات والسادة

ليس أبهج لنفسي، ولا أدعى الى اعتزازي، من أن أقف هذا الموقف، لأنقل تحيات صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين، الى هذا النفر الكريم من علماء العربية وحُماتِها، الذين وفدوا الى بلدهم الأردن من أقطار وطننا العربي الكبير، يحدوهم الحرص على لغتهم التي هي رابطة شملهم، ونظام عقدهم، وقوام شخصيتهم، ووعاء حضارتهم، ومستودع فكرهم، والتي كرّمها ربّ العالمين، وكرّمنا معها، حين جعل بها كلامه ووحيه «نزل به الروح الأمين» «بلسان عربي مبين».

ولولا دواعي الواجب المتلاحقة التي تهيب بجلالة الحسين، فيوزّع عليها جهده، ويقسم بينها وقته، في الداخل والخارج، وفي الحلّ والترحال، لكان الآن بينكم : يرحّب بكم، ويسعد بالتحدث اليكم

والاستماع منكم، ويفضي لكم بمكنون نفسه، في أمر هذه اللغة التي تشغل باله، والتي يراها أمانة آلت اليه، ورسالة ورثها من الثورة العربية الكبرى التي قادها جدّه الحسين بن علي طيّب الله ثراه منذ سبعين عاما، غضبا لدينه وأمته ولغته، حين أخذت القوى المغالية المتعصبة في الدولة الحاكمة آنذاك تضطهد هذه الأمة العربية، وتستهين بلغتها، وتستبدل بها لغة أخرى: في التعليم، والصحافة، وميادين الثقافة والحياة المتعددة. وورث شبلا الحسين بن علي: عبدالله وفيصل، هذه الامانة، فلم يكد يتسلّم الملك فيصل مقاليد الامور في سورية حتى قلب موازين اللغة هناك، فقد جاءها وليس في أعمالها الرسمية والتعليمية الا اللغة التركية، وتركها بعد سنة واحدة واشهر، وليس فيها الا اللغة العربية بفضل من أحاط به، وعمل معه، من رجالات العرب الأشاوس الحرصاء على امتهم ولغتهم. فأنشئ حينئذ المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتشر استعمال اللغة العربية في الادارة ودواوين الحكومة والجيش، وفي التعليم في جميع مراحله، وخاصة التعليم الجامعي في الحقوق والطب، وكان ذلك كلّه هو الأساس المتين الراسخ، الذي قام عليه البنيان الشامخ، في التعليم الجامعي السوري حتى يومنا هذا، ظلّ ثابتا تتكسّر دونه صيحات الناقمين من جهلاء امتنا والحاقدين من اعدائنا، واخفقت دونه جهود المستعمر الفرنسي على مدى ربع قرن.

وبدأ عبدالله بن الحسين منذ الايام الاولى لتأسيس امارة شرقي الاردن باعلاء شأن اللغة العربية وتوطيد دعائمها، حتى اصبحت هي اللغة، في كل جوانب الحياة، لا تعلو عليها لغة اخرى، وان جاورتها لغات كانت دائما وراءها، لا تجرؤ على ان تحلّ محلها.

ان هذا البلد الذي ورث رسالة الثورة العربية الكبرى، وإن ملكه العربي الهاشمي الذي ورث رسالة جدِّهِ الكبير الحسين بن علي، انما ورثا - فيما ورثاه - حماية اللغة العربية، واعلاء شأنها، وتوطيد مكانتها، فهي لغة الاسلام ولغة العرب، بغيرها لا استمرار لهما ولا بقاء. وتحية الحسين لكم، وترحيبه بكم، وفرحته بهذا اللقاء، في مجمعكم الاردني للغة العربية، وفي بلدكم الاردن، انما هو على اساس من رسالة يؤمن بها، وليس مجرد كلام يقال في مناسبات عابرة. واذا رأيتم في هذا البلد مظاهر تختلف عمّا قلت، فهي من الشوائب التي اندسّت الى بعض جوانب حياتنا العامة وحياتنا التعليمية، ولا بد من التخلص منها لتصفو لنا أصالة وجودنا وليتحقق ازدهار مستقبلنا.

أما بعد،

فاني استأذنكم - أيها العلماء الأجلّاء - في ان اجوس خلال دياركم، متفيئا ظلالها، لأقطف بعض ثمارها، فأعرضها عليكم لتروا فيها رأيكم: ذلك اننا نرى احيانا عند غيرنا من الامر ما يستهوينا، فنحب ان يكون عندنا، ونظنّ انه وسيلة الحضارة وسبب التقدم. نرى امرا هنالك فنريده هنا، دون معرفة بتغاير الحالتين واختلاف الطبيعتين، وشتّان ما هما، وما أبعد الذي بينهما! رأينا هناك المظهر فلم نسبر المخبر، واعجبتنا هناك الصفة فلم ندرك حقيقة الموصوف، على حين اتضح ذلك كله لشاعرنا ابي الطيب حين قال:

وقد يتقارب الوصفان جدّاً ... وموصوفاهما متباعدان

والأساليب التي تصلح للغة واحدة - او لمجموعة من اللغات - لأنها تتفق وخصائصها وتناسب طبيعتها، لا تصلح بالضرورة للغة اخرى تختلف

عنها في الطبيعة والخصائص. واللغة العربية لغة اشتقاقية، وأكثر اللغات الاوروبية تركيبية، واللغة العربية معربة، واللغات الاوروبية الحديثة فقدت ابنية اعـرابهـا كلّهـا او جُلّها. ولا بدّ للناظر في أساليب النهوض باللغات وتطويرها من ان ينظر في طبائع تلك اللغات لمعرفة مدى مناسبة الاسلوب لتحقيق غايته، والّا انتهى الامر الى نقيض المقصود.

ومن أمثلة ذلك اننا تعلمنا ـ فيما تعلمنا ـ ضرورة تعويد الطلاب القراءة الصامتة التي لا تتحرك فيها شفاههم، والتي تخطف فيها عيونهم الكلمات والجمـل خطفا، لأن هذه القراءة الصامتة تزيد من سرعة القراءة وتختصر الـوقت الذي يقضيه المرء في المطالعة، في زمن تكاثر فيه نتاج المطابع وتفجـرت فيه المعرفة، واصبح المرء لا يستطيع ان يتابع كل ذلك اذا لم يسـرع في القراءة ويوفر اكبر وقت ممكن. وهذا كله صحيح عندهم وفي لغتهم الانجليزية، لأن كلمات لغتهم ـ كما يقولون ـ تكتب كما تقرأ وتقرأ كمـا تكتب، وهو قول يحتاج الى فضل تمحيص، ولانهم ايضا يتعلمون لغتهم من الكتاب ولا يحتاجون الى السماع، ولذلك كثرت في لغاتهم كتب بعنوان «تعلم اللغة بغير معلم». ولكن الامر في لغتنا على خلاف ذلك، فهي لغة اشتقاقية معربة منقوطة، والاختلاف في أبنية كلماتها وفي موازينها للدلالة على المعاني المختلفة انما يكون بتغير الحركات وبعض الحروف.
ومن قديم وقع التصحيف والتحريف لان بعض المتعلمين كانوا يأخذون من الكتب، ولم يسمعوا من الشيوخ المعلمين. وأصبح الاخذ عن الشيخ عرفاً تتميز به مجالس العلم ودور التعليم في حضارتنا، استمر قرونا الى ان اخذنا طريقة «القراءة الصامتة» وطبقناها على اطفالنا وناشئتنا، قبل ان يتمكنوا من

لغتهم، ويسيطروا على مخارج حروفها واساليب نطقها؟ ألا يحتاج الامر اذن الى رويّة، والى فحص الأسلوب المستورد وطبيعة اللغة لمعرفة مدى التوافق بينهما، حتى لا يكون الاسلوب المرجوّ للنجاة سببا آخر من اسباب الضياع والهلاك؟

ومن أمثلة ذلك أيضا أن أهل التعليم في بعض البلاد الأخرى أخذوا بطريقة تعليم الاطفال الكلمة كلها، جملة واحدة، قبل البدء بتعليم الحروف مفردة. وتعبنا في اقتباس هذا الاسلوب، وتخبطنا، الى ان صار الطفل يقضي في المدرسة اربع سنوات او تزيد ولا يزال يجهل قراءة سطر واحد من غير الكلمات التي حفظها، واصبحنا نشكو من ان بعض هؤلاء الاطفال لا يزالون يجهلون كتابة اسمائهم صحيحة بعد هذه السنوات من التعلّم. وقد ادركت امم اوربية أخرى الفروق بين لغاتها في الطبيعة والاصول وبناء الكلمات وصياغة التراكيب، وخاصة تلك اللغات الأوربية التي لا تزال تحتفظ ببقايا من الاعراب، فلم تأخذ بهذا الاسلوب في تعليم لغاتها، لانه لا يستقيم به امرها. ونحن اجدر من تلك الامم بأن نتأنّى وندرس الفروق بين طبائع اللغات، ونعرف ما يصلح للغتنا فنأخذ به، قبل أن يستهوينا اسلوب غريب عن طبيعة هذه اللغة لأنه نجح عند غيرنا.

ومن أمثلة ذلك ايضا: أنه شاعت عند غيرنا طريقة تعليم الادب وتاريخه: نثره وشعره، على اساس البدء بالعصور الحديثة ثم الرجوع منها الى العصور التي سبقتها عصراً عصراً. وتلك طريقة لا مفرّ منها، ولا بديل عنها، في آداب تلك الامم، لأن لغاتهم التي يستطيع معرفتها صغارهم وكبارهم ومثقفوهم ومتعلموهم، هي اللغة المعاصرة او اللغة الحديثة التي

لا تمتدّ في العمر الى اكثر من ثلاثمئة عام، فاذا وصلت الى ما قبل اربعمئة عام استعصت عليهم، وانبهمت آدابهـا، واضـطروا الى تيسيرها وتقريبها للدارسين في مختلف المراحل بتعليمهم نماذج مختصرة مبسّطة في طبعات خاصـة، ثم بتقديم الاصول مقرونة بشروح مسهبة لتوضيح غوامض اللغة وغرائب الاسلوب. اما ما قبل ذلك فتكاد تكون لغات آدابهم لغات اخرى مختلفة عن لغتهم التي يعرفونها ويفهمونها الآن. ولكن اللغة العربية التي نعرفها ونكتبها ويتحدث بها فصحاؤنا انما هي لغة واحدة مستمرة ممتدة على مدى سبعة عشر قرنا، وكثيراً ما نقرأ شعراً جاهلياً وأموياً وعباسياً فنحسّ كأنه كتب لنا في ايامنا هذه. ولا حجّة لمن يستشهد بأبيات فيها كلمات غريبة وتـراكيب مستعصية من وصف الصحـراء او حيوانهـا او ما يشبـه ذلك من المـوضوعات التي انفصلت عن حياتنا، وأصبحت غريبة عنا، فانفصلت بذلك ألفاظها وتعابيرها وأصبحت عسيرة على فهمنا. فهذا ارتباط طبيعي بين المـوضوع والتعبير، أو بين المضمون والشكل. ونستطيع ان نختار مئات النماذج من نثرنا وشعرنا خلال العصور المتعاقبة من مأنوس الكلام ومفهوم المعنى، وننشّيء عليها اطفالنا، ونربي من خلالها اذواقهم، ليتمرسوا ـ في المـراحـل المختلفة ـ بأسرار بيان لغتهم، ويألفوا بهجة ديباجتها ونصاعة تعابيرها، بدل الاغتراب عنها، والتخبّط فيما يلقّنونه من بعض هذه الأساليب الحديثة، التي ارتضخ اكثرها العجمة، وارتضع الضعف، فألفاظها ـ حين تتفرق ـ عربية، ولكنها تتناكر وتتنافر حين تجتمع في جملة متصلة.

أليس هذا ايضا موضعا من مواضع التفكير والتدبّر، ومعرفة اختلاف اللغات وآدابها وما يناسبها من أساليب التدريس؟

وأسباب ضعف تعلم اللغة العربية كثيرة، بعضها منّا، وبعضها مدسوس علينا، تضافرت جميعها، فاستعان بها غيرنا ليوهمنا ان هذه اللغة في جوهرها معقدة صعبة، وان ضعف تحصيلها والمعرفة بها انما سببه اللغة نفسها، وليس هذه الاساليب الغريبة عنها المخالفة لطبيعتها. واخذ هذا الوهم يشيع بيننا، ويستقرّ في نفوسنا، حتى اصبحنا نحن الذين نردده ونؤكده. ونسينا تاريخ هذه اللغة حين اشترك كثير من غير اهلها في بنائها الثقافي الحضاري، فكان من هؤلاء المفسّرون والمحدّثون والرواة والكتّاب والشعراء والعلماء والنحاة واللغويون، ينتسبون الى مختلف البقاع الاسلامية في اصولهم او في نشأتهم، ومنهم من تعلّم العربية ولم تكن لسان طفولته، فنبغ فيها، وكتب وألّف، بل صار معلما للعرب يعلمهم قواعد لغتهم ونحوها وصرفها وبلاغتها ونقدها. ولم يقل احد منهم حينئذ ان العربية لغة صعبة ليصرف نفسه ويصرف الناس عنها. فما بالنا اليوم نسمع هذا، ونقوله. ونصدّقه، ونجد فيه العذر الذي نتكّىء عليه ليسوّغ لنا جهلنا بلغتنا أو ضعفنا فيها.

أيها العلماء الأجلاء

أيها السيدات والسادة

هذه مجموعة خواطر أضعها امامكم وانتم تبدأون اعمال مؤتمركم. ولا يجوز لها ولا لغيرها ان تكون سببا لاغلاق الابواب امام الجديد، ولا سببا للجهل بتجارب الامم واساليبها، وانما هي دعوة الى الدراسة وامعان الفكر، لنقبل من كل ذلك ما نقبل عن بيّنة ومعرفة، ولنختار منها ما يناسبنا لا ما يدسّ لنا أو يفرض علينا.

أيها العلماء أعضاء المؤتمر

كما أسعدني أن أستهلّ حديثي بنقل تحيات جلالة الحسين المعظم وترحيبه، فانه يسعدني ان اختم هذا الحديث بابلاغكم اطيب أماني جلالته لكم أن يتعهّد الله تعالى جهودكم، وأن يوفقكم في اعمالكم، وان يكلأ منظمتنا العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب، ومجامعنا اللغوية واتحادها، وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية، وان يجعلها دائما عامرة بالمخلصين مزدهرة بالعلماء المتبصرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقرير لجنة
مشروع معجم التربية

أولا : تشكيل اللجنة :

تشكلت اللجنة من الأساتذة الآتية أسماؤهم :

١ ـ الدكتور عبدالعزيز الدوري / المملكة الاردنية الهاشمية

٢ ـ الدكتور اسحق احمد الفرحان / المملكة الاردنية الهاشمية

٣ ـ الدكتور احسان عباس / المملكة الأردنية الهاشمية.

٤ ـ الدكتور أنور أبو سويلم / المملكة الاردنية الهاشمية / جامعة مؤتة.

٥ ـ الدكتور رشدي حسن / المملكة الاردنية الهاشمية / جامعة مؤتة.

٦ ـ الأستاذ سعدي قشطة / المملكة الاردنية الهاشمية / نقابة المحامين.

٧ ـ الأستاذ أبو يعرب المرزوقي الجمهورية االتونسية / كلية الآداب.

٨ ـ الدكتور محمود ابراهيم / المملكة الاردنية الهاشمية / الجامعة الاردنية

٩ ـ الأستاذ أحمد رجب عبدالمجيد / دولة قطر ـ وزارة التربية

١٠ ـ الأستاذة بدرية عبدالرحيم المنصوري / دولة البحرين ـ وزارة التربية
١١ ـ الدكتور عبدالعزيز غانم الغانم / دولة الكويت ـ مركز بحوث المناهج

وقد حضر جانبا من اجتماعاتها كل من الأساتذة:

١ ـ الدكتور محيي الدين صابر / المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
٢ ـ الدكتور عبدالكريم خليفة / رئيس مجمع اللغة العربية الأردني
٣ ـ الأستاذ أديب اللجمي / المقرر العام للمؤتمر

ثانيا : اجتماعات اللجنة :

عقدت اللجنة سبعة اجتماعات بيانها كالتالي :

الاجتماع الاول من الساعة ١٧٫٠٠ ـ ١٩٫٣٠ من مساء يوم السبت ٢١ / ٩
الاجتماع الثاني من الساعة ٩٫٠٠ ـ ١١٫٠٠ من صباح يوم الاحد ٢٢ / ٩
الاجتماع الثالث من الساعة ١١٫١٥ ـ ١٣٫٠٠ من صباح يوم الاحد ٢٢ / ٩
الاجتماع الرابع من الساعة ١٧٫٠٠ ـ ١٩٫٣٠ من مساء يوم الاحد ٢٢ / ٩
الاجتماع الخامس من الساعة ٩٫٠٠ ـ ١١٫٠٠ من صباح يوم الاثنين ٢٣ / ٩
الاجتماع السادس من الساعة ١٧٫٠٠ ـ ١٩٫٣٠ من مساء يوم الاثنين ٢٣ / ٩

وقد تخللت كلا من الجلسات المسائية صلاة المغرب.

ثالثا : مكتب اللجنة :

اختارت اللجنة كلا من :

١ ـ الدكتور اسحق احمد الفرحان / رئيسا.
٢ ـ الدكتور أحمد رجب عبدالمجيد / مقررا.

رابعا: الوثائق المرجعية لعمل اللجنة:

تسلمت اللجنة الوثائق المرجعية التالية:

١ - مشروع معجم التربية.
٢ - ورقة حول مراحل اعداد مشروع المعجم.
٣ - ورقة حول مشروع المعجم من المملكة الاردنية الهاشمية.
٤ - ورقة حول مشروع المعجم من دولة الكويت.
٥ - ورقة حول مشروع المعجم من دولة البحرين.
٦ - ورقة حول مشروع المعجم من سلطنة عمان.
٧ - عدة أوراق اعلامية حول اهمية التعريب وأصوله وأساسياته، ومجريات التعريب في بعض الدول العربية.

خامسا: اسلوب عمل اللجنة:

اتفقت اللجنة في اجتماعها الاول على اتباع اسلوب العمل الآتي:

١ - تتبع كل اقتراح جاء حول المشروع في أوراق العمل الأربع المقدمة حوله، اصطلاحا اصطلاحا، ولفظة لفظة، وتبادل الرأي في اجراء اثبات الاصل او تعديله او ابداله او تصحيحه.. الخ.
٢ - اختيار المعنى الاصح لغة والأدق تعبيرا والأكثر شيوعا في مشرق العالم العربي ومغربه لاثباته كمعنى للمصطلح الأجنبي.
٣ - عدم اللجوء الى الترجمة الحرفية، واختيار المعنى التربوي الشائع والمتعارف عليه في العالم العربي، وفي حال وجود أكثر من معنى تغليب أحدها.

٤ ـ اختيار بديل واحد من البدائل المطروحة للمعاني ، حرصا على توحيد المصطلحات التربوية في وطننا العربي ما امكن .

٥ ـ الأخـذ بمـدلـول الاصـطلاح الانجليزي عند وجود خلاف بينه وبين مدلول الاصطلاح الفرنسي .

٦ ـ اختيار نسخة واحدة من مشروع المعجم واعتبارها اساسا يجري عليه التعديل والتنقيح والالغاء والابدال لتسليمها مع التقرير، ليتم الاعتماد عليها عند طباعة المعجم .

٧ ـ الحـرص على اجمـاع اعضاء اللجنة على كل مقترح، بحيث تتوافر القناعة بالمعجم لدى كل الاقطار المشاركة ما امكن .

٨ ـ ابقاء بعض الالفاظ الاجنبية التي اصبحت عالمية بين قوسين مجاورة للمعنى العربي للمصطلح ، بحيث يستفيد منها القارىء أو الباحث .

وبناء على هذا الاسلوب جرى عمل اللجنة في اجتماعاتها السبعة المشار اليها، وأنجزت عملها في الوقت المحدد لها، مما يحدوها ان تتقدم للمؤتمر الكريم بالمقترحات التالية :

خامسا : اقتراحات اللجنة :

١ ـ **اعتمـاد مشروع المعجم** : تقترح اللجنة على المؤتمر الكريم اعتماد مشروع المعجم بصورته المنقحة المرافقة لهذا التقرير، على اعتبار انه اصبح في افضل صورة امكن ان تتوصل اليها اللجنة في الوقت القصير المتاح لها، وباعتباره اساسا صالحا للبناء عليه مستقبلا .

٢ ـ **التصحيح قبل الطبع** : ترى اللجنة ان هناك كثيرا من الأخطاء الطباعية وقعت في الكلمات الانجليزية او الفرنسية ، وفي بعض الاحيان في

العــربية، وحيث ان اللجنـة لم تتمكن من مراجعـة جميع الالفـاظ والمصطلحات، فانها توصي بأن تجرى مراجعة شاملة للمعجم قبل دفعـه للمـطابع لتصحيح ما فيه من أخطاء وتحقيق الترتيب الهجائي للكلمات، وتعديل ما تقتضي الضرورة تعديله.

٣ ـ هناك عدد من الاصطلاحات تكررت بذاتها في أكثر من موضع، الأمر الذي يوجب عند تجهيز المشروع للطباعة ـ مراجعتها وحذف المتكرر منهـا، وهناك اصطلاحات صححت على الاصل وبقيت في موضع تصحيحها مما يستدعي نقلها الى مكان ترتيبها الهجائي.

٤ ـ **البناء على الطبعة الأولى**: ترى اللجنة ان هذا المشروع للمعجم يعتبر أساسا جيدا للبناء عليه، لذلك تقترح أن يطلب ـ لدى توزيع الطبعة الأولى منه على الدول الاعضاء ـ ابداء ملاحظاتها وتعديلاتها واضافاتها عليه، وتكـوين لجنة متابعة تتولى متابعة اخراج الطبعة الثانية منقحة ومزيدة بما يحقق نموا حقيقيا للمعجم.

تقديـــــر:

واللجنة اذ ترفع تقريرها هذا للمؤتمر العام الخامس للتعريب، يسرها أن تعـرب عن فائق تقـديرهـا واكبارها للجهد الكبير الذي بذل في اعداد مشروع معجم التربية، راجية الله تعالى أن يكلل هذا الجهد بالنجاح وأن ينفع به أجيال مستقبل أمتنا العربية.

والله تعالى من وراء القصد ويهدي السبيل

تقرير لجنة مشروع معجم
الفيزياء العامة والفيزياء النووية

١ ـ تكوّنت هذه اللجنة من الأساتذة التالية أسماؤهم:

المملكة الاردنية الهاشمية:

الدكتور احمد سعيدان

الدكتور عبدالمجيد نصير

الدكتور همام غصيب (مقرراً)

المهندس عبدالرؤوف أبو كبير

الدكتور محمود الكوفحي

الجمهورية العراقية:

الدكتور جميل الملائكة (رئيساً)

الدكتور علاء الدين عبدالله النعيمي

دولة قطر:

الدكتور حسني احمد اسماعيل

الجماهيرية العربية الليبية الديمقراطية الشعبية:

الدكتور علي محمد جمعة

اتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب:
الدكتور حميد النعيمي

٢ ـ وقد وزّعت اللجنة أعمالها على خمس جلسات خلال المدة ٧ الى ٩ محرم ١٤٠٦هـ (٢١-٢٣ ايلول ١٩٨٥م)، فتدارست مشروع معجم الفيزياء العامة بجزأيه ومعجم الفيزياء النووية المكون من جزء واحد، وذلك على ضوء الملاحظات التي وردتها من الاقطار العربية التالية:

(أ) المملكة الاردنية الهاشمية (مجمع اللغة العربية الاردني ومديرية المناهج بوزارة التربية والتعليم).

(ب) الجمهورية العربية السورية (مجمع اللغة العربية بدمشق).

(جـ) سلطنة عمان (وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب).

(د) دولة الكويت (وزارة التربية؛ مركز بحوث المناهج؛ لجنة تنسيق التعريب ونشره).

٣ ـ بذلت اللجنة جهدها للتوفيق بين وجهات النظر المختلفة التي عبرت عنها هذه الملاحظات، وذلك بغية توحيد المصطلحات العربية. ولهذا الغرض فقد اختارت مقابلا عربيا واحدا لكل مصطلح اجنبي، الا اذا كان المصطلح يحتمل اكثر من مدلول واحد، حيث ميزت بين المدلولات المختلفة باعطائها ارقاما مختلفة. مثلا:

resolution: ‎٠١ تحليل؛ ‎٠٢ ميز

٤ ـ قامت اللجنة بتصحيح عدد كبير من الاخطاء المطبعية واللغوية والعلمية وبتشكيل بعض الكلمات منعا للبس والابهام.

٥ ـ ملاحظات عامة:

أولا: تعدل كلمة «نيوترون» الى «نترون» أينما وردت.

ثانيا: تبقى كل التفاسير الواردة بين قوسين في مشروع المعجمين.

ثالثا: تضبط الأسماء كما ينطقها اهلها، الا اذا كانت شائعة في العربية بصيغة مغايرة، فيحتفظ بتلك الصيغة.

٦ ـ توصيات عامة:

أولا: تصوير نسخ من كلّ من معجمي الفيزياء العامة والنووية وايداع نسخة منها في كل مجمع من المجامع العلمية واللغوية العربية لاستخدامها مراجع ريثما يتم طبعها ونشرها حسب الاصول.

ثانيا: ضبط حركات الكلمات بالشكل بقدر الإمكان.

ثالثا: ترتيب كل معجم ـ على الاقل في مرحلة لاحقة ـ وفق الحروف الهجائية العربية (بالاضافة الى الترتيب الحالي وفق الابجدية الاجنبية).

رابعا: العمل على زيادة الوقت المخصص لجلسات اللجان المتخصصة وتنقيص حجم المهام في مؤتمرات التعريب المقبلة، بحيث يتسنى لهذه اللجان اتقان عملها.

٧ ـ امّا حصيلة عمل اللجنة، فتمثلها النسخ المرفقة من مشروع كل من المعجمين والتي تحتوي على التعديلات والتصويبات المقترحة، واكتمالا للفائدة، فقد ارفقنا ايضا نسخا من ملاحظات الاقطار العربية الاربعة المذكورة اعلاه.

. . . وفقنا الله لما فيه خير لغتنا وامتنا.

مقرر اللجنة

د. همام غصيب

التقرير العام
للجنة مشروع معجم الكيمياء العامة

لقد اجتمعت اللجنة المكوّنة من التالية اسماؤهم :ـ

١ ـ د. حسني سَبَحْ : رئيس مجمع اللغة العربية ـ دمشق (رئيس اللجنة).

٢ ـ د. أحمد يوسف علي محمد : الكلية الجامعية / دولة البحرين (مقرر اللجنة).

٣ ـ د. عبدالله صالح بابقي : جامعة صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية.

٤ ـ د. ابراهيم السامرائي : الجامعة الأردنية / المملكة الاردنية الهاشمية.

٥ ـ الأستاذة جهاد فوزي الهدمي : وزارة التربية والتعليم / المملكة الاردنية الهاشمية.

٦ ـ د. راشد عبدالعزيز المبارك : جامعة الملك سعود / الرياض / المملكة العربية السعودية.

٧ ـ د. حمزة الكتاني : جامعة محمد الخامس / الرباط (معهد الدراسات والابحاث للتعريب ـ المملكة المغربية.

٨ ـ د. اسحق الفرحان : جامعة اليرموك / المملكة الأردنية الهاشمية.

٩ ـ الأستاذة رجاء القميش: كلية العلوم الصحية / دولة البحرين.

١٠ ـ د. محمود الفيتوري فرحات: جامعة الفاتح ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

١١ ـ د. سلطان أبو عرابي: جامعة اليرموك / المملكة الاردنية الهاشمية.

١٢ ـ د. محمد أحمد سليمان: الجامعة الاردنية / المملكة الاردنية الهاشمية.

١٣ ـ الأستاذ توفيق عمارين: وزارة الاعلام الاردنية / المملكة الاردنية الهاشمية.

١٤ ـ د. سعيد عساف: المؤسسة العلمية العربية للابحاث ونقل التكنولوجيا البيرة ـ فلسطين.

١٥ ـ د. ذيب مرجي: جامعة اليرموك / المملكة الاردنية الهاشمية.

ونظرت في التقارير المقدمة من الوفود (الاردن ـ البحرين ـ الكويت ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ المغرب وعمان). وبعد دراسة مستفيضة لكلّ هذه المقترحات وللمعجم ذاته تمت الموافقة على التعديلات والاضافات المبينة في النسخة المرفقة بهذا التقرير. هذا وقد جاء المعجم بدون مقدمة توضح منهجية المعجم وطريقة استعماله. كما احتوى المعجم على كلمات او اصطلاحات عديدة تقدر (4%) بعيدة عن مجال الكيمياء. كما ظهر بعض النقص في المصطلحات الكيميائية التي كان من المفروض وجودها.

ولقد خرجت اللجنة بالاقتراحات والتوصيات التالية:ـ

١ ـ وضع مقدمة ومنهجية للمعجم وطريقة استعماله.

٢ ـ الاتفاق على وجوب حضور احد المشرفين على وضع مشروع المعجم وأن يكون أحد أعضاء اللجنة من اللغويين.

٣ ـ الاتفاق على أن تكون هناك تعاريف لبعض المصطلحات التي بحاجة الى تعريف وتشكيل ما يحتاج الى شكل.

٤ ـ اضافة رسوم توضيحية أو تخطيطية توضح معاني المصطلحات عند الضرورة.

٥ ـ اضافة ملحق لبعض المصطلحات باللغة الانجليزية والفرنسية ليسهل على المراجع ان يرجع الى التفاصيل او التنقيح ليوضح المعنى الحقيقي للمصطلح دون اي التباس.

٦ ـ تنقية المعجم من بعض الاصطلاحات التي ليس لها علاقة مباشرة بالكيمياء.

٧ ـ مراعــاة أن يكــون هنــاك تنسيق في اختيار التعـريب السليم لبعض المصطلحات المتكررة في كثير من المعاجم مثل الكيمياء والفيزياء.

٨ ـ نقترح أن يعرض المعجم لفترة تجريبية وان يرسل الى الجامعات العربية بأقسام الكيمياء لتدارسه لابداء الرأي فيه.

هذا ونشكر كل من ساهم في انجاز هذا الجهد الطيب، سواء من شارك في وضعه، او مراجعته، او تدقيقه.

هذا واللجنة تأمل أن تكون قد وفقت في هذه الدراسة والله ولي التوفيق.

المقــــرر

الدكتور احمد يوسف علي محمد

سعادة المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

الموضوع : تقرير خاص عن لجنة معجم اللسانيات

بعد التحيـة :

فقـد أسعدنا وجود معجم اللسانيات ضمن مشروعات المعاجم التي أعدتها المنظمة وتمت دراستها في مؤتمر التعريب الخامس الذي عقد في المملكة الاردنية الهاشمية بعمان بين ٢١ ـ ١٩٨٥/٩/٢٥، ذلك ان هذا المعجم هو الاول من نوعه، والاول في موضوعه في العالم العربي، اذ ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كانت أعدت مشروعات معاجم عديدة في مجالات العلوم الاخـرى كالفيزياء والكيمياء والاجتماع والرياضيات وغيرها، اما في مجال اللسانيات فهذه اول تجربة تصدر عن مؤسسة عربية رسمية ، وحرصا منا على نجـاح هذه التجـربـة واخراجها في احسن صورة ممكنة فاننا نتقدم الى سعادتكم بهذا التقرير الذي يتضمن بعض التوصيات الخاصة ـ ان جاز التعبير ـ، ونرجو المنظمة ان تعمل على تحقيقها في المعجم في طبعته الاولى نظرا لما للسانيات من اثر كبير في مجال التعريب، ولان وجود هذا المعجم على الصورة التي نأمل ان تتحقق له، هو رد علمي على ما يشيع عند بعض المعرضين من

ان اللسانيات موضوع ثانوي لا شأن له في مجال التعريب، وأن اهميته لا تضارع أهمية التعريب في الموضوعات الاخرى، وما ذلك - في رأي اللجنة - الا محاولة خفية للوقوف في وجه التعريب، ولمنع ضبط لغة عربية موحدة، تتيح للانسان العربي فرصة العلم والابداع والابتكار، فالمصطلح هو العلم، والابداع والابتكار والبحث والتحصيل في اي علم من العلوم لا يتأتّى للمرء الذي يصطنع لغة غريبة عنه؛ فاللغة هي وسيلة الفكر قبل ان تكون وسيلة الاتصال والتفاهم.

من هنا تلتمس اللجنة من سعادة المدير العام ان يجعل لمعجم اللسانيات خصوصية في النظرة، لما لهذا الموضوع نفسه من خصوصية في الاهمية، فهو ميدان اساسي في التعريب، ويعد النجاح فيه بمثابة وضع استراتيجية منظمة هادفة لاقامة البحث العلمي في اسلوبه الصحيح وللرد العملي على من يدّعي أن اللغة العربية قاصرة عن متابعة الانجازات المعاصرة في مجال اللسانيات والصوتيات:

وتوصيات اللجنة في هذا المجال هي :-

١ - ان توضع شروح علمية بازاء كل مصطلح يعسر فهمه، وبخاصة المصطلحات التراثية التي اخذت من المصادر العربية الاصيلة، والتي قد تبدو غريبة في العصر الحاضر مثل الحرقدة، والحكلة، والرتّة، وكذلك المصطلحات التي نقلت عن اللغات الاجنبية واخذت صيغ الاشتقاق العربي، على ان يشير الشرح الى الاصل الذي اشتق منه المصطلح، والى مصدره، والعالم الذي استعمله اول مرة او اجاز استعماله.

وهذا الشرح يشعر القارىء ان المصطلح شيء حي واقع ملموس يتحرك في سياق طبيعي، ويقدم دلالة المصطلح واضحة للقارىء والباحث.

٢ ـ ان توضع بازاء بعض المصطلحات ـ كلما لزم الامر ـ رموز مفسرة متفق عليها، تدل على موضوع المصطلح والحقل الذي ينتسب اليه مثال ذلك وضع حرف (ص) اذا كان المصطلح من باب الصوتيات وحرف (ت) اذا كان من التربية، وهكذا، على ان تكون هذه الرموز واضحة ومفسرة.

٣ ـ ان ينظم هذا المعجم على اساس المصطلح الانجليزي مرتبا وفق الحروف الهجائية ثم يطبع في نهايته ملحق يتكون من مسردين: الاول بالمصطلحات العربية، والثاني بالمصطلحات الفرنسية، مرتبة حسب تسلسل الحروف الهجائية، مع الاشارة الى رقم المصطلح الانجليزي في المعجم بازاء كل مصطلح عربي او فرنسي.

٤ ـ ان يعد الى جانب معجم اللسانيات هذا معجم مواز (عربي عربي) اي يعتمد المصطلح العربي اساسا لترتيبه، ويشرح ايضا باللغة العربية مع التمثيل الموضح للمعنى، والاشارة الى مصادر المصطلح وتطوره وميدان استعماله، والمدرسة اللغوية التي انبثق عنها والعالم اللغوي الذي استخدمه.

وترى اللجنة ان هذا المعجم يشكل تطورا لا بد منه للمعجم المقترح الآن، واذا تعذر اخراج هذا المعجم في الظروف الراهنة فان لجنة اللسانيات ترجو سعادتكم وضع هذه الفكرة ضمن الخطط التي تضعها المنظمة في برامجها القادمة، او ان تكلف هيئات علمية متخصصة في مجال اللسانيات والصوتيات ان تبدأ العمل فيه او التعاون في سبيل انجازه.

والله من وراء القصد

رئيس اللجنة	مقرر اللجنة
الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح	عودة ابو عودة

الموضوع: تقرير عن مشروع معجم اللسانيات

تألفت لجنة «اللسانيات» من السادة:

١ - الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح: رئيس اللجنة / الجزائر.

٢ - الأستاذ عودة أبو عودة: مقرر اللجنة / وزارة التربية والتعليم / الاردن.

٣ - الأستاذ الدكتور نهاد الموسى: الجامعة الاردنية.

٤ - الأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي: الجامعة الاردنية.

٥ - الأستاذ عبدالعزيز اكبر: الكويت.

٦ - الدكتور تاج السر الحسن: السودان.

٧ - الدكتور زكي مجيد حسن: العراق.

٨ - الدكتور يوئيل يوسف عزيز: العراق.

٩ - الأنسة ندوى النوري: سوريا.

١٠ - الدكتور وحيد السعفي: تونس.

١١ - الدكتور خضر بن عليان القرشي: السعودية.

١٢ - الأستاذ احمد سالم آل جمعه: سلطنة عمان.

١٣ - الأستاذ علي محسن علي آل حفيظ: سلطنة عمان.

١٤ - الأستاذ سالم أحمد الزيات: ليبيـا.

١٥ - الدكتور عبدالفتاح الحموز: جامعة مؤتة / الاردن.

وقد عقدت لجنة اللسانيات اجتماعات متوالية على مدى ايام السبت والأحد والاثنين من تاريخ ٢١-٢٣/٩/١٩٨٥، وناقشت في هذه الاجتماعات المتصلة ستا من أوراق العمل حول مشروع معجم اللسانيات، وقد قدمت هذه التقارير من:

١ - مجمع اللغة العربية الأردني: بورقة اعدها د. ابراهيم السامرائي والدكتور نهاد الموسى.

٢ - وزارة التربية والتعليم في الأردن.

٣ - وفد الكويت.

٤ - سلطنة عمان.

٥ - دوة البحرين.

٦ - السعودية.

وتجد اللجنة لزاما عليها ان تنوه بالجهد الكبير، والاخلاص الوفير الذي بذل في اعداد هذا المعجم وانجازه، خاصة اذا علمنا ان معجم اللسانيات هو اول معجم في موضوعه، تضعه هيئة عربية وانه وفق الى حد كبير بين المصطلحات الانجليزية والفرنسية والعربية في مجال اللسانيات، وهو أمر يبدو أكثر صعوبة منه في مجال العلوم الاخرى.

وترجو اللجنة وهي تقر هذا المعجم - بعد الاخذ بالتوصيات اللاحقة - ان يوضع هذا المعجم - وبقية المعاجم الاخرى، فورا في مجال الاستعمال الرسمي والواقعي في مضمار الحياة العلمية في شتى اقطار الوطن العربي، لكي تؤتي جهود التعريب المتصلة ثمارها، ويشهد العالم العربي انطلاقة العلم والابداع في البحث والتحصيل بلغة عربية اصيلة.

على ان اللجنة قد لمست خلال مناقشة اوراق العمل التي تقدمت بها الوفود المشاركة بعض الملاحظات التي رأت ان الاخذ بها يكمل هذا المعجم ويسهم في إخراجه بالصورة المرجوة التي تحقق الغاية من اعداده.

وفيما يلي التوصيات التي اقرتها اللجنة:

١ ـ وضع مقدمة علمية للمعجم تتضمن اهمية المعجم ودوره في توحيد لغة هذا العلم، والخطوات التي سار فيها، والهيئات والاشخاص الذين اشتركوا في اعداده ومراجعته ومناقشته، كما تشمل ايضا وصفا كاملا لمنهج العمل فيه، وبيانا شافيا لطريقة استخدامه، وثبتا وافيا بالمصادر والمراجع التي اعتمدت فيه.

٢ ـ وضع شروح وافية بازاء كل مصطلح يعسر فهمه، وبخاصة بعض المصطلحات التراثية التي اخذت من مصادرها الاصلية كالحرقدة على ما يسمى تفاحة آدم والحكلة والرتّة من أمراض اللسان والنطق، وكذلك بعض المصطلحات التي نقلت عن اللغات الأجنبية وأخضعت للاشتقاق العربي، على ان يتضمن الشرح اصل اشتقاق المصطلح ومصدره، والمدرسة اللغوية التي استخدمته.

٣ ـ مراعاة الاصول المنهجية المتبعة في وضع المعاجم، كالتنسيق في سرد المصطلحات المترادفة بين اللغات المختلفة في المادة اللغوية الواحدة، فان كان المصطلح الاجنبي على صورة الجمع او كان على صورة المفرد كان المصطلح العربي على الصورة نفسها.

وكذلك كتابة المعاني المتعددة للمصطلح الواحد بأرقام متسلسلة، وضبط اسلوب الاحالة من مصطلح الى آخر في المصطلحات التي تتشابه موضوعاتها العامة.

٤ ـ ضبط مفردات المصطلح العربي ضبطا وافيا بالشكل التام حتى لا يقع خلاف في نطق بعض المصطلحات ولمعالجة بعض الأخطاء الشائعة في نطق بعضها الآخر.

٥ ـ إضافة عدد من المصطلحات في مواضعها المناسبة، فقد لاحظت اللجنة خلوّ المعجم من بعض المصطلحات الأساسية في بعض الحقول اللغوية التي أوردت عددا من المصطلحات الاخرى في الحقل نفسه، مثال ذلك اضافة:

Formalism. accent, Pausal, Nonpausal, category

٦ ـ وضع رموز، او مصطلحات تفسيرية ـ يُتفق عليها ـ عند المصطلحات التي يدعو الامر فيها الى بيان موضوعها العام، او اصلها اللغوي، او النظرية اللغوية التي اعتمدتها.

٧ ـ تنظيم المعجم على اساس المصطلح الانجليزي مرتبا وفق تسلسل الحروف الهجائية، على ان يلحق به مسردان: الاول بالمصطلحات العربية والثاني بالمصطلحات الفرنسية، مرتبان وفق تسلسل الحروف الهجائية، مع الاشارة الى رقم المصطلح الانجليزي بازاء كل مصطلح فيهما.

٨ ـ أن يعد الى جانب معجم اللسانيات هذا معجم موازٍ (عربي عربي) يعتمد المصطلح العربي أساسا لترتيبه ثم يشرحه باللغة العربية مع الاشارة الى مصدر المصطلح وتطوره وميدان استعماله والعلماء الذين اجازوه، وترى اللجنة ان هذا المعجم المقترح يشكل تطورا لا بد منه للمصطلح القائم الآن. واذا تعذر اخراجه الآن فان اللجنة ترجو المنظمة ان تضع هذا

الاقتراح ضمن خططها العملية في السنوات المقبلة، او ان تكلف هيئات علمية متخصصة للبدء فيه او التعاون في سبيل انجازه.

٩ - ضرورة قيام اشخاص متخصصين باللغة الانجليزية والفرنسية بمراجعة ضبط المصطلحات الانجليزية والفرنسية من حيث الطباعة والاملاء في اثناء طباعة المعجم، فقد لاحظت اللجنة وقوع عدد من الاخطاء الطباعية والاملائية فيه.

١٠ - ان يعتمد مبدأ المصطلح العربي الواحد بازاء المصطلح الأجنبي الواحد الا اذا كان المصطلح الآخر المرادف قد شاع شيوعا كبيرا.

١١ - توحيد المصطلحات المشتركة بين عدة علوم في كل المعاجم التي توردها ويكون بينها اتفاق في المفاهيم. فمصطلحات الأصوات مثلا ترد في معجم الفيزياء عند التحدث عن ألفاظ تشريح الصوت، وهكذا في العلوم الاخرى.

والحمد لله رب العالمين

رئيس اللجنة	**مقرر اللجنة**
الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح	**عودة ابو عودة**
	١٩٨٥/٩/٢٤

تقرير اللجنة المختصة بدراسة
معجم مصطلحات الألعاب الرياضية

* اجتمعت اللجنة المكلفة بدراسة معجم الالعاب الرياضية والذي تم تشكيلها خلال المؤتمر الخامس للتعريب المنعقد في الفترة الواقعة ما بين ٢١ - ٢٥/ ايلول ١٩٨٥م في مقر مجمع اللغة العربية الأردني في عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية والمؤلفة من :-

١) السيد محمد جميل موسى ابو الطيب: المملكة الأردنية الهاشمية.

٢) السيد عرفان اوبري : من الاتحاد العربي للألعاب الرياضية

٣) الدكتور محمد خير مامسر: من الجامعة الاردنية.

٤) السيد تيسير عرفة : من وزارة التربية والتعليم الاردنية.

٥) السيد يحيى ابو حرب : من وزارة التربية والتعليم الاردنية.

وفي اول اجتماع للجنة اختارت الاستاذ محمد جميل موسى / رئيسا والاستاذ عرفان اوبري / مقررا.

* وضعت اللجنة خطة العمل التي ستسير بموجبها خلال ايام المؤتمر والتي تتمشى مع البرنامج اليومي للمؤتمر.
* درست اللجنة الملاحظات التي وردت للمؤتمر حول المعجم من :-

١) وفد دولة الكويت.

٢) وفد سلطنة عمان.

٣) وفد وزارة التربية والتعليم بالمملكة الاردنية الهاشمية.

٤) الملاحظات التي اعدها كل من السادة محمد جميل ابو الطيب، الدكتور محمد خير مامسر، السيد تيسير عرفة.

* تناولت اللجنة دراسة مشروع المعجم بالتفصيل ولكل لعبة على حدة وتم تثبيت المتفق عليه على النسخ الموجودة مع الاعضاء، مع مراعاة الاخذ بعين الاعتبار ما ورد في الملاحظات المقدمة حول المعجم من الوفود والمشاركين المذكورين اعلاه.
* اعتمدت اللجنة اسلوب الحوار والمناقشة حول بعض المصطلحات التي ظهر فيها تباين في وجهات النظر بين اعضاء اللجنة، وتمت الاستعانة بالقواميس الرياضية العربية والاجنبية.

وفي نهاية اجتماعات اللجنة التي استمرت اربعة ايام متتالية توصي اللجنة بما يلي:

أولا: اعتماد المعجم المرفق مع التعديلات المقترحة على بعض مصطلحاته والموضحة على المعجم بجانب كل منها.

ثانيا: توجيه الشكر والتقدير للجهد الكبير المبذول من كل من ساهم في اعداد هذا المعجم خلال السنوات السابقة للمؤتمر وتخص بالذكر الاتحاد

العربي للالعاب الرياضية ومكتب تنسيق التعريب في الرباط.

ثالثا: حيث ان هذا المعجم يتضمن مصطلحات الالعاب الرياضية التالية:

كرة القدم، كرة السلة، الكرة الطائرة، كرة اليد، العاب القوى، السباحة، الغطس، كرة الماء، رفع الاثقال،الجودو. توصي اللجنة بالاسراع في انهاء معجم مصطلحات الالعاب الرياضية المتبقية في الجزء الثاني من المعجم الذي يقوم باعداده حاليا الاتحاد العربي للالعاب الرياضية بالتعان مع مكتب تنسيق التعريب في الرباط ومراعاة ما يلي:-

١) الاستعانة بالرسوم التوضيحية كلما امكن ذلك، وحبذا لو امكن اضافة مثل هذه الرسوم على الجزء الاول من المعجم الذي تمت دراسته والموافقة عليه من اللجنة المذكورة.

٢) تعريب المصطلحات الرياضية الدولية الخاصة بالادارة والتنظيم وكذلك ما يتعلق بمختلف العلوم الرياضية الاكاديمية مثل الطب الرياضي وعلم النفس الرياضي والتدريب... الخ.

٣) تبويب المعجم حسب الالعاب واهميتها وشيوعها في الوطن العربي وفصل الالعاب الجماعية عن الالعاب الفردية.

٤) ملاحظة المصطلحات التي الغيت من القوانين الدولية لبعض الالعاب وادراج المصطلحات البديلة لها.

٥) عمل ملاحق لما يستجد مستقبلا من تعديلات او اية اضافات مفيدة وضرورية وخاصة ان قوانين الالعاب وطرق تدريبها تتطور وتتغير بين الحين الأخر، حتى يصبح المعجم متجددا ومتكاملا.

٦) اعتبار هذا المعجم بمثابة تعريب للمصطلحات الرياضية المستخدمة في الوطن العربي كخطوة لتوحيد المصطلحات المتداولة في مصطلح واحد يمكن استعمالـه في جميع انحـاء الوطن العربي. والارتقاء به مستقبلا ليكون قاموسا اكاديميا شاملا.

٧) الـطلب من الاتحـاد العربي للالعاب الرياضية اعتماد هذا المعجم بعد اقراره من المؤتمر باذن الله وتعميمه على الاتحادات العربية النوعية واللجان الاولمبية العربية الوطنية لتقوم بتصحيح القوانين والأنظمة الخاصة بهذه الالعـاب وفق المصـطلحـات المعتمدة، والعمل بكل الوسائل الممكنة لاشاعة هذه المصطلحات في الوطن العربي بوسائل الاعلام المسموعة والمرئية.

٨) الـطلب من مكتب تنسيق التعـريب ملاحـظة بعض الاختلافات بين المصـطلح الانجليزي والفرنسي ويفضل الاخذ عن النص الانجليزي اولا والنص الفرنسي ثانيا في حالة عدم الوضوح وفي الحالة التي يكون فيها الاتحاد الدولي للعبة معتمدا اللغة الفرنسية كمرجع اصلي مثل الاتحاد الدولي للكرة الطائرة فيراعـى حينئذ الاخذ من الاصل الفرنسي.

وعلى هذا الشكل تم اعداد هذا التقرير ورفعه للمؤتمر الخامس للتعريب للنظر فيه مع رجاء اعتماد المعجم المرفق والله من وراء القصد.

رئيس اللجنة	مقرر اللجنة
محمد جميل موسى ابو الطيب	عرفان عبدالله اوبري
	١٩٨٥/٩/٢٥

التقرير الختامي لاجتماعات لجنة دراسة مشروع معجم علم الإجتماع والانثروبولوجيا

عقدت لجنة دراسة مشروع معجم علم الاجتماع والانثروبولوجيا، المكونة من التالية اسماؤهم :

د. عبدالعزيز الدوري / الجامعة الاردنية / رئيسا

د. احمد زكي بدوي / أستاذ بجامعة الاسكندرية / عضوا

د. عبدالكريم الغرايبة / الجامعة الاردنية / عضوا

د. عبدالعزيز بو شعيب / الجامعة الجزائرية / عضوا

الاستاذ احمد يوسف جبر / وزارة التربية والتعليم في الاردن / مقررا

عدة اجتماعات تدارست خلالها مشروع المعجم المذكور، من خلال ما يلي :

أ ـ قراءة مراحل اعداد المشروع .

ب ـ دراسة الملاحظات المقدمة من بعض وفود الدول العربية .

ج ـ دراسة المعجم نفسه من قبل الاعضاء مجتمعين .

قراءة مراحل اعداد المشروع :

تمت مناقشة الورقة التي تبين المنهجية التي سار عليها معدو مشروع معجم علم الاجتماع والانثروبولوجيا، وقد ابدى اعضاء اللجنة ارتياحهم وتقديرهم للجهد المبذول، والاسلوب العلمي المستخدم في استنباط مواد المعجم وتنظيمها.

دراسة الملاحظات المقدمة من وفود الدول العربية :

درست اللجنة الملاحظات والاقتراحات المقدمة من الدول العربية حول مشروع المعجم، فدرست التقرير المقدم من الدكتور عبدالكريم الغرايبة، عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية، والتقرير المقدم من الدكتور محمد برهوم، الاستاذ في قسم الاجتماع بكلية الآداب في الجامعة الاردنية، (كما ان الدكتور محمد برهوم قد زوّد اللجنة بنسخة عليها بعض الملاحظات الجيدة)، وتقرير وفد دولة البحرين، وتقرير وفد دولة الكويت، وتقرير وزارة التربية والتعليم في المملكة الاردنية الهاشمية.

وقد تميز تقرير كلّ من دولة الكويت، ووزارة التربية والتعليم في الاردن بالتحديد والشمول والوضوح، سواء فيما يتعلق بالمفردات والاصطلاحات الواردة في مشروع المعجم، ام باقتراح، مفردات واصطلاحات اخرى تضاف الى محتوياته.

وبعد الانتهاء من دراسة تلك التقارير ومقابلتها مع مشروع المعجم، تم التوصل الى اتفاق عام بين اعضاء اللجنة حول ما يجب ادخاله او تعديله او حذفه من مشروع المعجم، وسيرفق ذلك في ورقة مستقلة مع المشروع.

دراسة المعجم من قبل اعضاء اللجنة:

بعد ان فرغت اللجنة من دراسة التقارير المقدمة من الدول العربية، شرعت في دراسة مواد مشروع المعجم، كلمة كلمة، واصطلاحا اصطلاحا، وكانت خلال الدراسة تتأكد من سلامة المحتوى من خلال عرضه على المألوف المستعمل والمستخدم في واقع المجتمع، وعلى بعض ما تم تأليفه في مجال علم الاجتماع والانثروبولوجيا، وعلى ما تيسر من القواميس المستخدمة سواء منها العربية والانجليزية والفرنسية، فتحقق لمشروع المعجم ما يلي:

١ ـ اقتصر على مدلول واحد في الاعم الاغلب لكل مادة من مواد المعجم، وما تم ابقاء اكثر من مدلول له، فراجع الى استعمال المصطلح نفسه في مجالين مختلفين، وهو قليل ونادر.

٢ ـ تخليص المشروع من بعض الكلمات والاصطلاحات التي يكون مجالها غير علم الاجتماع والانثروبولوجيا.

٣ ـ اعتمدت صيغة الافراد بدل الجمع، الا عندما يكون الجمع اقوى في الدلالة على المعنى المقصود.

٤ ـ تمّ ادخال بعض المصطلحات والمفردات التي هي من صميم علم الاجتماع، فضلا عن تلك التي اقترحتها تقارير الدول العربية.

٥ ـ تمّ تصحيح الأخطاء الطباعية، سواء أكانت في اللغة العربية ام في اللغتين الاخريين: الانجليزية والفرنسية.

٦ ـ تمّ الاستغناء عن الافعال وبعض الصفات في مشروع المعجم، وذلك عند وضوح الدلالة من المصدر او المصطلح المستخدم.

التوصـــيات :

انّ اللجنة اذ تقدّر سلامة التوجه لتوحيد مصطلحات العلوم كافة، واذ تقدّر لواضعي مشروع هذا المعجم جهدهم وانجازهم، ورغبة منها في اثراء هذا المعجم بما اجتهـدت من تعـديل او اضافة او حذف، لترجو ان تضع التوصيات التالية، وصولا بالمعجم الى أكبر قدر من الفائدة والانتفاع :

١ ـ اقرار هذا المعجم، بشكل أولي، وذلك لأن العلوم الاجتماعية في تطور دائم، وحتى يتسنى ادخال ما يجد من ملاحظات واقتراحات من الدول والمؤسسات عليه.

٢ ـ تعريف بعض المفردات والمصطلحات التي اقترحت اللجنة تعريفها وقد اثبتت ذلك امام الكلمة او المصطلح في نسخة مشروع القاموس، وذلك في الطبعة الثانية منه.

٣ ـ التأكيد على وضع كشافين للمعجم : أحدهما باللغة العربية والثاني باللغة الفرنسية، لتسهيل الترجمة من / والى اللغات الثلاث.

٤ ـ توحيد كتابة الحروف الموجودة في اللغتين الفرنسية والانكليزية والتي لا نظير لها في اللغة العربية مثل الحرف (G) .

المقـرر

أحمـد يوسـف جبـر

تقريـــر
لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الاحصائية والديموغرافية

عقـدت لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الاحصائية والديموغرافية اجتماعاتها خلال الفترة ٢١-٢٤/٩/١٩٨٥، حيث شارك في اعمالها كل من السادة :

- الاستاذ الدكتور موسى سمحة
- الاستاذ انور عبدالرحمن خليل
- الاستاذ الدكتور شلال الجبوري
- الاستاذ الدكتور شفيق العتوم
- الاستاذ الدكتور محمد الطيب حسن
- الاستاذ الدكتور مصطفى بن يخلف

وبدأت اللجنة اجتماعاتها باختيار الاستاذ موسى سمحه رئيسا والاستاذ انور عبدالرحمن خليل مقررا .

وبعد مناقشة المصطلحات الاحصائية العربية ومقابلاتها الاجنبية الموجودة في المجلدات الثلاثة التي يضمها الجزء الاول من المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الاحصائية والديموغرافية المعدة من المكتب المركزي العربي للاحصاء والتوثيق بالامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية، وذلك في ضوء الملاحظات الواردة والمقترحات والآراء التي ابداها اعضاء اللجنة، انتهت اللجنة الى ما يلي:

١ - الاشادة بالجهد الذي بذله المكتب المركزي العربي للاحصاء والتوثيق بالامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية في اعداد مجلدات الجزء الاول والخاصة بالمصطلحات الاحصائية من المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الاحصائية والديموغرافية.

٢ - التأكيد على اهمية تسريع الجهود المبذولة في مجال اصدار الجزء الثاني من المعجم والخاصة بالاحصاءات السكانية وكذلك تلك المتعلقة باعداد الفهارس الانجليزية والفرنسية للمعجم بشقيه الاحصائي والسكاني.

٣ - من اجل ضمان استمرارية وفاعلية الجهود المتعلقة بمتابعة تحديث المعاجم ذات العلاقة بالعمل الاحصائي، تؤكد اللجنة على ضرورة توسيع مجالات مهام واهتمامات اللجنة الفنية للتصانيف التي تعمل في نطاق مجلس الوحدة الاقتصادية العربية لتشمل المعاجم ذات العلاقة بالعمل الاحصائي، مع الاستعانة بذوي الاختصاص في المجالات الاحصائية المختلفة.

٤ - اقرار المصطلحات الاحصائية مع الأخذ في الاعتبار التعديلات التي تمّ الاتفاق عليها والموضحة على النسخة المرفقة بالتقرير، مع عدم التعرّض للشروحات وما تضمّه من رمز للاسباب الاتية :-

أ ـ بالنسبة للشروحات :ـ

ـ عدم كفاية الفترة الزمنية المحددة لعمل اللجنة للقيام بمراجعة الشروحات .

ـ ان اقتران الشـــروحات بالمصطلحات العربية تعتبر مرحلة تالية ويتم انجازها في اطار آخر.

ب ـ بالنسبة للرموز :ـ

تفضيل تأجيل النـظر في تعـريب الـرموز المستخدمة في المجال الاحصائي الى حين اقرار مبدأ تعريب الرموز في بقية مجالات العلوم .

٥ ـ استبدال كلمة «الديموغرافية» بكلمة «السكانية» ليكون اسم المعجم : «المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الاحصائية والسكانية» .

المقـــــرر	**الرئيس**
انور عبدالرحمن خليل	**الدكتور موسى سمحه**

مؤتمر التعريب الخامس

لجنة مشروع القاموس العام لمصطلحات السكك الحديدية

تقرير اللجنة:

١ ـ استعرض السيد الامين العام للاتحاد العربي للسكك الحديدية المشروع المؤلف من حوالي (١٢) الف مصطلح وبيّن الاسس والطريقة التي اتبعت في ترجمته حيث بين ان الاتحاد قد ابتدأ بالقاموس الدولي لمصطلحات السكك الحديدية الذي وضعه الاتحاد الدولي، وقد اعتبرت اللغة الاصل فيه الفرنسية وترجم الى الالمانية والانكليزية. فكان عمل اتحادنا هو اخذ هذا القاموس العام ووضع الترجمة العربية عليه، وتم توزيع المسودات على الشبكات السككية في الوطن العربي لدراستها وتقديم توصياتها، بعد ذلك عقدت ندوة موسعة بين الشبكات ومكتب تنسيق التعريب لوضع القاموس بهيئته الحالية المقدمة.

٢ ـ لغرض التهيئة للمؤتمر ارسل المشروع الى جهات مختلفة ولكن الجهة الوحيدة التي اجابت وبينت ملاحظاتها هي الجامعة الاردنية، ومرفقة نسخة من هذه الملاحظات مع هذا التقرير.

٣ ـ قامت لجنتنا بمناقشة الملاحظات الواردة اليها ومطابقتها مع المشروع وقد تبين لنا بأن الترجمة الانجليزية ليست متطابقة تماما مع الاصل الفرنسي وان اثنين من أعضاء اللجنةالمتخصصة يجيدون الانكليزية فقط كأساس للترجمة وهذا ادى الى وجود بعض التناقضات في المعاني المعطاة في الترجمة المتعددة .

٤ ـ احتوى القاموس على فهرس ابجدي باللغة العربية فقط وضع في نهاية القاموس .

٥ ـ قدمت اللجنة ملاحظاتها حول هذا المشروع الى السيد الامين العام للاتحاد العربي للسكك لدراستها والافادة منها .

٦ ـ تقدر اللجنة الجهود القيمة التي بذلها الاتحاد العربي في وضع هذا القاموس .

توصية اللجنة :

١ ـ توصي اللجنة باضافة فهرس ابجدي باللغة الانكليزية يضاف الى الفهرس الابجدي العربي لكي يصبح القاموس مفيدا .

٢ ـ توصي اللجنة باعتماد القاموس العام وطبعه للافادة منه .

د. محمد السعد   مرهف الصابوني   خزعل ياسين محمود

رئيس ومقرّر اللجنة

عمان / الاردن

تقرير

لجنة المعجم الزراعي العربي

تألفت لجنة المعجم الزراعي على النحو الآتي :ـ

١ ـ الدكتور مصطفى حداد : من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٢ ـ الدكتور وليد المراني : من المنظمة العربية للتنمية الزراعية

٣ ـ الدكتور غبوش الضاوي : من وفد السودان

٤ ـ الدكتور ضيف الله داوود : من الوفد الاردني / الجامعة الاردنية

٥ـ الدكتور محمد شطناوي : من الوفد الاردني / الجامعة الاردنية

٦ ـ الدكتور محمد حرب : من الوفد الاردني / الجامعة الاردنية

٧ ـ الدكتور خليل الشوابكة : من الوفد الاردني / الجامعة الاردنية

٨ ـ الدكتور رشاد الناطور : من الوفد الاردني / الجامعة الاردنية

٩ ـ الدكتور سليمان عربيات : من الوفد الاردني / الجامعة الاردنية

وبعد أن اختارت اللجنة الدكتور مصطفى حداد رئيسا للجنة والدكتور وليد المراني مقررا لها بدأت اعمالها، وكان امام اللجنة ثلاثة مجلدات في الانتاج النباتي وثلاثة مجلدات في الانتاج الحيواني ومجلد واحد في الاقتصاد الزراعي.

كما ان امامها التقارير التالية المتعلقة بهذه المعاجم:

١ - تقرير المركز العربي لبحوث التعليم العالي.

٢ - تقرير الوفد الاردني.

٣ - تقرير الوفد المغربي.

٤ - تقرير الوفد السوداني.

٥ - تقرير مجمع اللغة العربية في القاهرة.

٦ - تقرير الوفد العماني

٧ - تقرير وفد البحرين

٨ - تقرير الوفد الكويتي

٩ - تقرير الامارات العربية المتحدة

منهج العمل في اللجنة:

تم الاتفاق في اللجنة على اعتماد المصطلحات الكيميائية التي يقرها الكيميائيون والمصطلحات الفيزيائية التي يقرها الفيزيائيون والمصطلحات الطبية كما جاءت في المعجم الطبي الموحد (الطبعة الثالثة)، الا اذا كان للمصطلح مفهوم خاص في الطب البيطري.

كما تم الاتفاق على اختيار مصطلح علمي عربي واحد للمصطلح الاجنبي الواحد من بين المصطلحات الواردة في المعاجم العربية الزراعية او في المعجم الطبي او في التقارير المقدمة الى المؤتمر.

ما انجزته اللجنة :

ودرست اللجنة جميع الملاحظات التي وردت في التقارير والتي تناولت المقابل العربي للمصطلح او تعريف هذا المصطلح باللغات الثلاث، وبعد مناقشة هذه الملاحظات تم وضع اشارة (+) على الملاحظة المقبولة في نسخ التقارير المرافقة.

ولقد شملت الملاحظات بصورة واسعة المجلد الاول من الانتاج النباتي والمجلدين الأول والثاني من الانتاج الحيواني. أمّا الملاحظات على المجلدات الأخرى فلم تكن كافية.

وقد أوضح مندوب المنظمة العربية للتنمية الزراعية الدكتور وليد المراني ان هناك مجلدين آخرين تم طبعهما وتوزيعهما على الاقطار العربية. كما ان هناك سبعة مجلدات قيد الطبع سيتم توزيعهما على الدول العربية والمختصين والمنظمات العربية والهيئات ذات العلاقة لابداء الرأي في المصطلحات الواردة فيها. واضاف بأن المنظمة عمدت الى تشكيل لجنة باسم لجنة المراجعة برئاسة المدير العام للمنظمة الدكتور حسن فهمي جمعة وعضوية كل من أعضاء لجنة الخبرة الرئيسية وعدد من كبار المختصين في أمور التعريب في الوطن العربي والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما ان المنظمة الزراعية قد اقتنت مصرفا للمعلومات ادخلت فيه جميع المداخل التي تقارب (٢٠٫٠٠٠) عشرين الفا، ويستفاد من هذا المصرف بوضع الملاحظات الواردة على كل مصطلح، ويمنع التكرار في حال وروده. وستوضع جميع هذه المعلومات امام لجنة المراجعة.
واعتمدت جهات فرنسية وانكليزية متخصصة للنظر في النصوص الفرنسية والانكليزية.

توصيات اللجنة للمؤتمر الخامس للتعريب:

١ ـ الموافقة على مشروع المعجم الزراعي العربي بمجلداته الثلاثة: الاول من الانتاج النباتي والاول والثاني من الانتاج الحيواني بعد الاخذ بالملاحظات التي أقرتها اللجنة.

٢ ـ الموافقة على بقية المجلدات بعد ان نظرت فيها لجنة المراجعة التي شكلتها المنظمة العربية للتنمية الزراعية بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٣ ـ الاشادة بالجهد القومي الكبير الذي قامت به المنظمة العربية للتنمية الزراعية في تحملها اعباء اصدار هذه الموسوعة العلمية المتميزة، الثلاثية اللغة، في مداخلها وتعريفاتها.

٤ ـ تقديم الشكر للذين اعدوا التقارير التي كانت عونا للجنة في اداء مهمتها.

مقرر اللجنة	**رئيس اللجنة**
الدكتور وليد المراني	**الدكتور مصطفى حداد**

كلمة الختام - للدكتور عبدالكريم خليفة
رئيس المؤتمر، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

أيها العلماء أعضاء وفود أمتنا العربية

أيها الزملاء الكرام

سيداتي سادتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن الحمد لله وحده على ما أنعم وفضّل، بأن جمعنا على لغة واحدة وعلى عقيدة واحدة وعلى مصالح واحدة وعلى مصير واحد. فقد تجشمتم أيها الاخوة العلماء مشاق السفر من اقصى مغربنا العربي الى اقصى مشرقه، من رباط الفتح الى بغداد المنصور، فتحية لكم أيها العلماء الاجلاء، فقد لبيتم دعوة العربية، لغة القرآن الكريم، لغة العروبة والاسلام، وجئتم الى مؤتمرنا الخامس، مؤتمر التعريب الخامس الذي كرمتم به بلدكم الاردن، ومجمعكم، مجمع اللغة العربية بعمان. وقد أسبغتم عليّ شرفاً، أرجو أن أكون أهلاً له،

فوقع اختياركم عليّ رئيساً لهذا المؤتمر، ولست بخيركم . فإن بان نقص أو تقصير أو تسللت هفوة من خلال النيّة الصادقة المخلصة، فان أملنا كبير بأن تتلمسوا لنا عذراً.

أيها الأخوة العلماء، فان الواجب يقضي عليّ بأن أشيد بما بذلتم من جهود خيرة مباركة تحتسبونها عند الله سبحانه وتعالى خدمة للغة القرآن، وخدمة لأمتنا العربية وهي تتململ في فجر نهضتها القادمة ان شاء الله . فقد واصلتم العمل الحثيث طيلة ايام المؤتمر يحدوكم الحماس وروح المثابرة، لا تتفاوت مطلقا بين شيوخنا وشبابنا من العلماء. فجزاكم الله خير الجزاء.

وان مؤتمركم هذا، مؤتمر التعريب الخامس، هو استمرار لجهود خيّرة بذلها علماؤنا خلال ربع قرن من الزمان. ولتسمحوا لي ان اسجل، وقد واكبت جميع هذه المؤتمرات ان اقول، ان مؤتمركم هذا يتميز بظاهرتين اثنتين: اولاهما، هذه البحوث القيمة التي تكوّن جزءاً مكملاً لأعمال المؤتمر، والظاهرة الثانية هي افساح المجال امام المنظمات العربية الاخرى في ريادتها لتعريب المصطلحات في مجالاتها المتخصصة، في الزراعة والاحصاء والسكك الحديدية. . . هذا فضلاً عن المعاجم الستة التي جرى اعدادها خلال السنوات الاربع الماضية.

وها هو مؤتمركم العتيد وقد توج هذا الجهد العلمي الضخم، الذي يتجاوز الخمسين الف مصطلح بمناقشة ملاحظات الوفود والاتفاق على ما اختلف عليه، ليعرب عن امله في ان تجد هذه المعاجم طريقها الى الاستعمال، فالاستعمال وحده هو الذي يفي هذه الجهود العلمية حقّها، والاستعمال وحده هو الذي يوفر للغة العربية أسباب نموها وحياتها.

واسمحـوا لي ان أوجه باسم مؤتمركم، مؤتمر التعريب الخامس النداء الخـالص لجميع علمائنـا ومؤسساتنا العلمية للمبادرة لتدريس العلوم باللغة العربية، وان يجعلوا من اللغة العربية لغة بحوثهم العلمية.

وأخيرا اوجه الشكر خالصا الى الأستاذ الدكتور المدير العام للمنظمة العربية والى الاخوة في مكتب تنسيق التعريب بالرباط على ما بذلوا من جهد لانجـاح مؤتمرنا، وأقدم التهنئة مشفوعة بالاحترام والتقدير الى جميع الاخوة العلماء الذين شاركوا في هذا المؤتمر، للانجازات المهمة التي كان لهم الفضل في وضعها بهذه الهيئة التي نرجو ان تكون أساسا لبناء ضخم، نامٍ ومتكامل في المستقبل ان شاء الله.

وأخيراً فباسم مجمع اللغة العربية الاردني، بجميع اعضائه، وباسمي اتمنى لكم دوام الصحة والعافية وسلامة العودة الى اوطانكم الحبيبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

برنامج
المؤتمر الخامس للتعريب
٧ - ١١ محرم ١٤٠٦هـ
٢١-٢٥ أيلول ١٩٨٥ م

السبت ٢١ أيلول

صباحاً ـ الساعة ١١ جلالة الملك المعظّم يفتتح المؤتمر

استــــراحــــة

الساعة ١٢ ـ انتخاب رئيس المؤتمر، ونائبي الرئيس، والمقرّر

ـ اقرار مشروع جدول الأعمال

ـ تشكيل لجنة الصياغة

ـ تشكيل اللجان التالية:

١ـ لجنة مشروع معجم التربية
٢ـ لجنة مشروع معجم الفيزياء العامة والفيزياء النووية
٣ـ لجنة مشروع معجم اللسانيات
٤ـ لجنة مشروع معجم الكيمياء العامة
٥ـ لجنة مشروع معجم الألعاب الرياضية (القسم الأول)
٦ـ لجنة مشروع معجم علم الاجتماع
٧ـ لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات الاحصائية والديموغرافية
٨ـ لجنة مشروع القاموس العربي لمصطلحات السكك الحديدية
٩ـ لجنة مشروع المعجم العربي لألفاظ العلوم الزراعية ومصطلحاتها

الساعة ١٣ ـ ١٧ الغداء في الفندق

الساعة ١٧ ـ ٣٠ر١٩ جلسة العمل الأولى:

ـ اجتماع اللجان المتخصصة
ـ انتخاب رئيس ونائب رئيس ومقرر لكل لجنة
ـ اقرار خطة العمل

الساعة ٢٠ حفلة عشاء تكريمية بدعوة من رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

الأحـد ٢٢ أيلول

الساعة ٩ ـ ١٣	جلســـة العمل الثانية اجتماع اللجان المتخصّصة
الساعة ١٣ ـ ١٧	استراحة غداء في الفندق
الساعة ١٧ ـ ١٩٫٣٠	جلسة العمل الثالثة اجتماع اللجان المتخصّصة
الساعة ٢٠	حفلة عشاء تكريمية بدعوة من معالي وزير التربية والتعليم

الاثنين ٢٣ أيلول

الساعة ٩ ـ ١٣	جلسة العمل الرابعة اجتماع اللجان المتخصّصة
الساعة ١٣ ـ ١٧	استراحة غداء في الفندق
الساعة ١٧ ـ ١٩٫٣٠	جلسة العمل الخامسة اجتماع اللجان المتخصّصة
الساعة ٢٠	حفلة عشاء تكريمية بدعوة من معالي وزير التعليم العالي

الثلاثاء ٢٤ أيلول

الساعة ٨ ـ ٣٠ر٨	تسليم تقارير اللجان المتخصّصة الى رئاسة المؤتمر
الساعة ٣٠ر٨ ـ ١٣	جلسة العمل السادسة
	بحوث المؤتمر :
الساعة ٣٠ر٨ ـ ١٠	ـ البحث الأول : «قضايا التعريب : المشكلات والحلول» **يقدّمه الأستاذ الدكتور جميل الملائكة** **مناقشـــــة**
الساعة ١٠ ـ ٣٠ر١١	ـ البحث الثاني : «تعريب العلوم الطبية» **يقدّمه الأستاذ الدكتور حسني سبح** **مناقشـــــة**
الساعة ٣٠ر١١ ـ ١٣	البحث الثالث: «نحو نظام للرموز العلمية» **يقدّمه الأستاذ الدكتور أحمد سعيدان** **مناقشـــــة**
الساعة ١٣	حفلة غداء تكريمية بدعوة من معالي رئيس الجامعة الأردنية
الساعة ٣٠ر١٦ ـ ١٨	جلسة العمل السابعة
الساعة ١٨ ـ ٢٠	جلسة العمل الثامنة : اجتماع الهيئة العامة للمؤتمر عرض تقارير اللجان المتخصّصة وتوصياتها

الأربعاء ٢٥ أيلول

الساعة ٨ ـ ١٠	جلسة العمل التاسعة : عرض تقارير اللجان المتخصّصة وتوصياتها
الساعة ١٠ ـ ١٢	الجلسة الختامية ـ اقرار توصيات المؤتمر ـ اختتام المؤتمر

الخميس ٢٦ أيلول

رحلة الى الأغوار الشماليّة لزيارة أضرحة الصحابة ،

ورؤية الخطوط الأمامية على نهر الأردن

حفلة غداء تكريمية بدعوة من عطوفة رئيس جامعة اليرموك

مناقشة رسالتي ماجستير في المجمع

١ ـ في الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ١٩٨٥/٨/٧م، نوقشت في قاعة الندوات والمحاضرات في مجمع اللغة العربية الأردني رسالة ماجستير، للطالب السيد ياسين توفيق، موضوعها: «نجيب الكيلاني روائياً»، باشراف الدكتور سمير قطامي، وعضوية الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، والدكتور خالد الكركي.

٢ ـ وفي الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ١٩٨٥/٨/٣١م، نوقشت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع رسالة ماجستير للطالب السيد عبدالكريم محمد عناد، عنوانها: «معين بسيسو والمسرح الشعري» باشراف الدكتور محمود السمرة، وعضوية الدكتور سمير قطامي، والدكتور خالد الكركي.

الدكتور شكري فيصل في ذمّة الله

فقد المجمع زميلاً عزيزاً بوفاة المرحوم الدكتور شكري فيصل، العضو المؤازر في المجمع، وعضو مجمع دمشق الشقيق، وكانت وفاته على أثر عمليّة جراحية في القلب، أجريت له في جنيف يوم السبت ١٩٨٥/٨/٣٠، ونقل جثمانه الطاهر الى المملكة العربية السعودية، حيث ووري في ثرى المدينة المنورة يوم السبت ١٠ /١٩٨٥/٨م.

وقد بعث رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ببرقية التعزية التالية الى الزميل رئيس مجمع دمشق، والى رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، التي كان الفقيد يعمل فيها قبل وفاته، وهذا نص البرقية:

باسم مجمع اللغة العربية الأردني واسمي أبعث اليكم بأحرّ التعازي بفقد الزميل الغالي المرحوم الدكتور شكري فيصل الذي فقدناه جميعا أغزر ما يكون علماً ومعرفة، وأكرم ما يكون خلقاً وسيرة رحمه الله رحمة واسعة وألهمنا جميعا جميل الصبر والعزاء. وأرجو أن تتفضلوا فتنقلوا الى اسرته وذويه بالغ تعازينا ومشاركتنا لهم في الفجيعة لفقده. وانّا لله وانّا اليه راجعون.

رئيس المجمع / الدكتور عبدالكريم خليفة

وفيما يلي نبذة عن الحياة العلمية للفقيد الغالي :

ولد المرحوم الدكتور شكري فيصل في دمشق عام ١٩١٨، ويحمل المؤهلات العلمية التالية :

- ليسانس في الآداب من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٢ .
- ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق سنة ١٩٤٢ .
- ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٨ .
- دبلوم معهد اللغات الشرقية من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٩ .
- دكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً من جامعة فؤاد سنة ١٩٥١ .

وقد حصل على عدة درجات ومناصب تعليمية في جامعة دمشق، والجامعة اللبنانية، والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة.

وهو عضو في مجمع اللغة العربية في دمشق وامين سره منذ عام ١٩٥٠ .

- وعضو في مجمع اللغة العربية الأردني، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في عمان، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، وبيت الحكمة في تونس.

توزع انتاجه العلمي بين التحقيق والتأليف وكتابة المقالات والبحوث، ومن أهم الكتب التي حققها ما يلي :

١ - خريدة القصر وجريدة العصر «أربعة أجزاء» قسم شعراء الشام.

٢ - ديوان النابغة صنعة ابن السكيت.

٣ - أبو العتاهية أخباره وأشعاره.

٤ - وشارك في تحقيق كتاب، تاريخ دمشق لابن عساكر.

٥ ـ والوافي للصفدي «الجزء الخامس عشر» يبدأ بحرف الثاء الى الحاء اضافة الى الكتب المؤلفة واهمها:

ـ مناهج الدراسة الأدبية «عرض ونقد واقتراح» رسالة ماجستير.

ـ حركة الفتح العربي في القرن الأول، (بحث تمهيدي لنشأة المجتمعات الاسلامية).

ـ المجتمعات الاسلامية في القرن الأول، (نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي).

ـ تطور الغزل في الجاهلية والاسلام، (من امرىء القيس الى عمر بن ابي ربيعة).

ـ الصحافة الادبية (منهج جديد للدراسة الادبية).

ـ نثر شوقي.

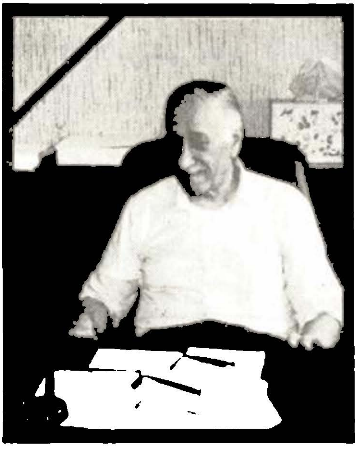
ـ الشاعر القروي (حياته وشعره).

ـ من تراث الدكتور طه حسين.

وله مجموعة من البحوث والمقالات في مجلات (الوطن العربي، الثقافة، الرسالة، الكتاب، المعرفة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق).

توفي رحمه الله في جنيف في ١٩٨٥/٨/٣، ودفن في المدينة المنورة يوم السبت ١٩٨٥/٨/١٠.

عليه رحمة الله ورضوانه



المجمع ينعى زميلاً عزيزاً

نعى مجمع اللغة العربية الأردني الفقيد الراحل الأستاذ عيسى الناعوري، العضو العامل في المجمع، والعضو المراسل في المجمع العلمي العراقي، وفي المجمع العلمي الهندي.

وقد بعث رئيس المجمع الى زملائه رؤساء أعضاء المجامع العلمية اللغوية في دمشق والقاهرة وبغداد، والهند، برسالة النعي التالية:

فانه ليعزّ عليّ أن أنعى اليكم الزميل الأستاذ عيسى الناعوري، العضو العامل في مجمع اللغة العربية الأردني الذي وافته المنية يوم الجمعة ٤/١٠/١٩٨٥ اثر نوبة قلبية أثناء مشاركته في ندوة مجلة الفكر في جمهورية تونس.

لقد خسر المجمع بوفاة الزميل الراحل عضواً عاملاً نشيطاً، وأديباً كبيراً،

«انّا لله وانّا إليه راجعون»

ونقـل جثمان الفقيد الى عمّان، ودفن في مدينة عمّان يوم الثلاثاء الثامن من شهر تشرين الأول ١٩٨٥م.

وقد تلقى المجمع رسائل تعزية من الزملاء رؤساء المجامع الشقيقة، ومن بعض أصدقاء الفقيد، تعرب عن مشاركتهم وأسفهم لفقد الزميل الراحل.

وفي ما يلي نبذة عن حياته ومؤلفاته:

تلقى الفقيد تعليمـه الابتـدائي في مدرسـة القـرية، والثـانوي في المدرسة الاكليركية في القدس. حاز على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعـة باليرمـو / ايطاليا، سنة ١٩٧٦م، ومن الأكاديمية العالمية للفنون والثقافة - تايبي / الصين الوطنية سنة ١٩٨٢م، كما حاز على بعض الأوسمة التقديرية، وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات والمهرجانات العربية والاستشراقية والدولية.

عمل الفقيد في تدريس اللغة العربية وآدابها في مدارس أهلية في فلسـطين والأردن مدة خمسة عشر عاماً، كما عمل سكرتيراً ومفتشاً لادارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الأردن (١٩٤٩ - ١٩٥٢)، وموظفاً في وزارة التربية والتعليم (٥٤ - ١٩٧٥)، وأميناً عاماً لمجمع اللغة العربية الأردني (١٩٧٦ - ١٩٨٥).

كان الفقيد غزير الانتـاج الأدبي، تنـوّع انتاجه بين القصة القصيرة والرواية والشعر والنقد الأدبي، والتراجم والسير والترجمة من اللغات الغربية واليها، وقد تُرجم بعض نتاجه الأدبي الى عدد من اللغات الأجنبية. ومن مؤلفاته:

١. ايليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث.